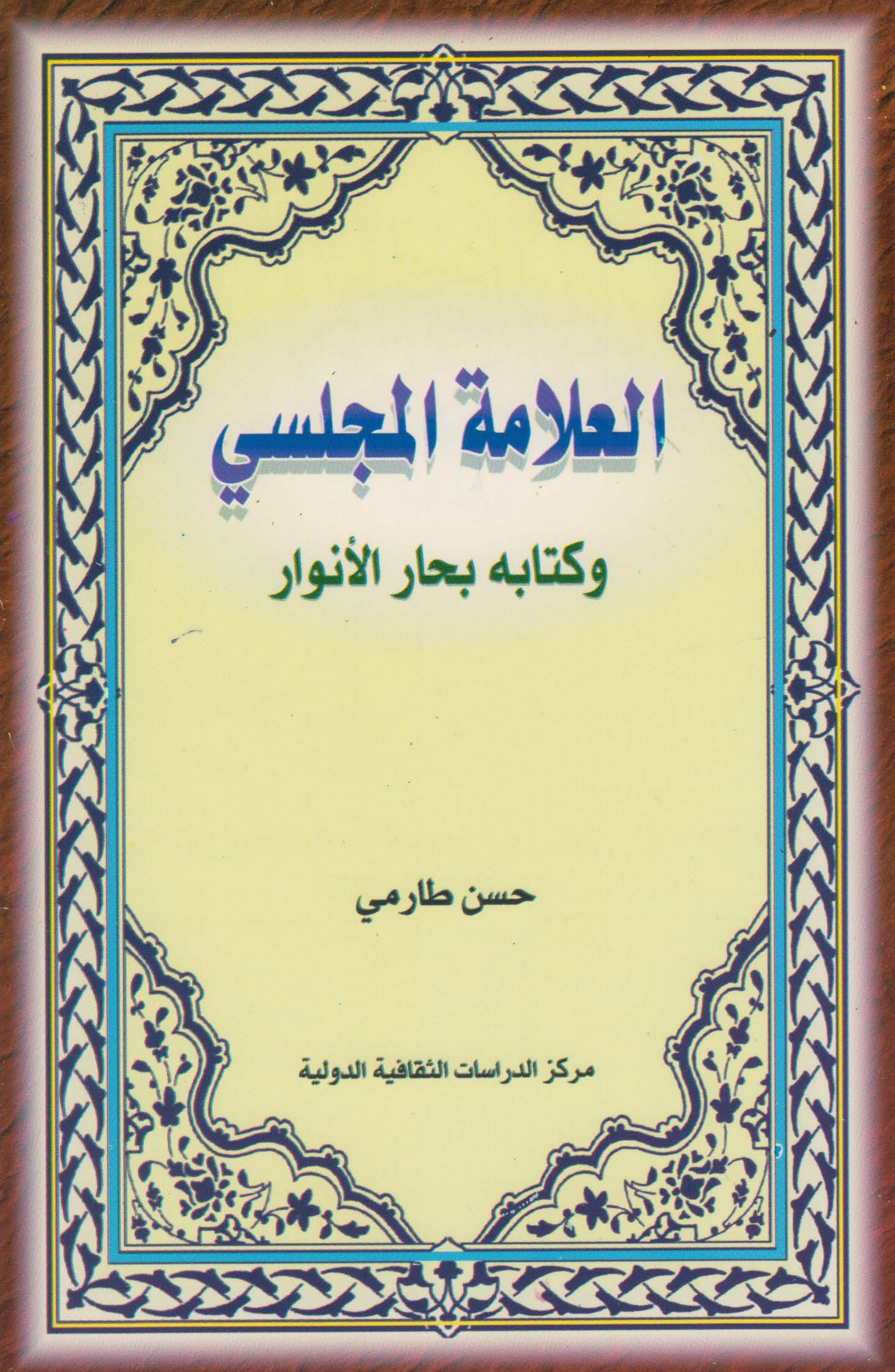


العلامة المجلسي

وكتابه بحار الأنوار

حسن طارمي

مركز الدراسات الثقافية الدولية



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن طارمي

العلامة المجلسي
وكتابه
بحار الأنوار

المترجم

رعد هادي جباره

مركز الدراسات الثقافية الدولية

طارمی راد، حسن، ۱۳۳۴ ـ
العلامه المجلسی و کتابه بحارالانوار / حسن
طارمی؛ المترجم رعد هادی جباره ـ تهران: الهدی ،
۱۳۷۸.
۴۲۹ ص. ISBN: 964 - 472 - 214 - 0
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
عنوان اصلی: علامه مجلسی و بحارالانوار.
عربی.
کتابنامه: ص. ۴۱۵ ـ ۴۲۹ ؛ همچنین به صورت
زیرنویس.
۱.مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، ۱۰۳۷ ـ ۱۱۱۱ ق.
بحارالانوار ـ ـ نقد و تفسیر. ۲. مجلسی، محمد باقر بن
محمد تقی، ۱۰۳۷ ـ ۱۱۱۱ ق. ـ ـ سرگذشتنامه. ۳. ۱۰ احادیث
شیعه قرن ۱۲ ق. الف. جباره، رعد هادی، مترجم.
ب. عنوان.
۸۶ ۳۰ب ۳م / ۱۳۶ BP ۲۹۷/۲۱۲
ط س / ب۲۸۱م
کتابخانه ملی ایران ۲۰۳۶۲ـ۷۸ م



مؤسسة الهدىٰ للنشر و التوزيع
ص. ب: ۴۳۶۳ ـ ۱۴۱۵۵
تلفون: ٦٤٠٦٢٦١ فاكس: ٦٤٠٦٢٤٠

الكتاب: العلامة المجلسي و كتابه بحار الأنوار.
المؤلف: حسن طارمي
إعداد: رابطة الثقافة و العلاقات الاسلامية
معاونية البحوث والتعليم ـ مركز الدراسات الثقافية الدولية
المترجم: رعد هادي جبارة
الناشر: مؤسسة الهدى للنشر والاعلان
عدد النسخ: ٣٠٠٠
السعر: ٢٥٠٠ تومان
ISBN:964 - 472 - 214 - 0

مقدمة الناشر

الحمدلله رب العالمين، و الصلاة و السلام على الرسول الامين محـمد و على آله الطاهرين.

و بعد؛

فانه ممالا يخفى على كل ذي لبّ أن الحضارة الاسلامية و الفكر الاسلامي كانا ـ و سيبقيان ـ مَدينين لماقدّمه النبي الاعظم و أهل بيته الكرام من فكر معطاء، و قيم سامية، و علم ثرّ، و مفاهيم نيّرة، رسمت للامـة الاسـلامية طريق الهداية و الرشاد، و العزة و الفلاح، على مرالعصور.

و للوقوف على ذلك كله، بادر عملاق من عمالقة العلم و الفضل، و أُحد جهابذة القرن الحادي عشر الهجري العلامة محمد باقر المجلسي الى تكريس كل جهوده و بذل مساعيه لجمع و تدوين و نشر تراث أهل البيت الجـمّ فكانت حصيلة ما أنجزه ماينا هز السبعين كتاباً و رسالة، من أبرزها و أهمها (بحارالانوار).

و نظراً لانعقاد المؤتمر العالمي للذكرىٰ المئوية لوفاة هذا العلامة الكبير، فقد صدر هذا الكتاب القيّم. كـما صـدرت بهـذه المـناسبة كـتب اخـرىٰ للمجلسي و عنه هي:

١ ـ تلخيص بحار الانوار في ١٠ مجلدات

٢ ـ التعريف بمؤلفات العلامة المجلسي

٣ ـ قاموس مصطلحات كتب المجلسي

٤ ـ العلامة المجلسي و كتابه بحار الانوار

٥ ـ و العديد من المقالات و الدراسات المطروحة في المؤتمر

و قامت دارالهدىٰ بطبعها و نشرها.

والله ولي التوفيق

تصدير:

يعتبر اسم (**المجلسي**) أو (**العلامة المجلسي**) من أشهر الأسماء المعروفة منذ القدم لدى جميع العارفين بالمؤلفات الدينية والكتب التأريخية والأدبية في العصر الصفوي وماتبعه. وتحظى الكتب التي ألّفها المجلسي ــ ومن ضمنها كُتُبه باللغة الفارسية ــ باحترام واهتمام بالغين عند المتديّنين، وهي تتناول الأخلاق، والادعية، والعقائد، وتاريخ سيرة النبيّ الأكرم محمد (ص) والأئمة (ع). ويُعَدُّ كتابه (**بحار الأنوار**) من بين أكبر موسوعات الأحاديث الشيعية، وغالباً ما يصفونه بأنه جامع لعدد كبير من الأحاديث التي فيها الغثّ والسمين. ولقد جعله دفاعه المستميت وذوده الشديد عن المذهب الشيعيّ ونقده لباقي المذاهب يوصف بأنه من ذوي الاتجاه الطائفي المتعصّب.

وعلاقته بالملك الصفويّ تعدُّ هي الأخرى من الصفات البارزة والملامح الأساسية لنهجه السياسي الديني. وليس قليلاً عدد الذين انتقدوا المجلسي، انطلاقاً من هذا الأمر، وخاصة في ضوء سقوط الدولة الصفوية بعد قليل من وفاة المجلسي، فتحولت ايران ــ مرّة أخرى ــ الى مسرح لصولات وجولات القوى الأجنبية.

بعض المؤرّخين يعتبرون ان سقوط الدولة الصفوية جاء نتيجة لاجراءات

وأساليب علماء كالمجلسي، بالرغم من أن محبّي المجلسي يرون ان الأمر على العكس من ذلك تماماً وأن صيانة ووحدة كيان الاراضي الايرانية في أواخر العهد الصفوي مدينة لجهود ومساعي العالِم المذكور، ودليلهم على ذلك هو أن اصفهان ــ وبمجرد أن توفي المجلسي ــ سقطت نتيجة لتراخي السلطان حسين وعدم كفاءته[1].

كثير من المتدينين يصفون المجلسي بأنه أكبر محي للأحاديث الشيعية ومبلغ وداع ناجح للمذهب الامامي قل نظيره، واستخدمت في وصف المجلسي عبارات فذة منها: [**وحيد عصره، وغواص بحور الحقائق الالهية، وموضح القضايا المعقدة في الشريعة، وجامع كل المحاسن والفضائل، والعالم الرباني، وخادم أخبار الأئمة، وخاتم المحدثين، وجامع المعقول والمنقول، وكشاف الحقائق الظاهرية والباطنية في القرآن، وقدوة الغابرين والحاضرين والمقبلين**] وهذا مارأيناه في كتب علماء كالأردبيلي والشيخ الحر العاملي ويوسف البحراني والسيد بحر العلوم[2]، وهذه العبارات تدل على مترلته السامية ومكانته العالية لدى علماء الدين. وكان ــ ومايزال ــ هناك أناس يستشيطون غضباً من أدنى استشكال أو انتقاد يوجّه للمجلسي بل ذهب

---

[1] ــ راجع: يوسف البحراني (لؤلؤة البحرين) ص٥٥ ــ وتاريخ أدبيات ايران (من بداية العهد الصفوي حتى الآن) ص١١٥ ــ وقصص العلماء، ص٢٠٥.

[2] ــ راجع: المحدث النوري، الفيض القدسي (مطبوع بمعية بحار الأنوار،ج١٠٢) ص٩-٣٦ ــ والبحراني نفس المكان المذكور في الهامش السابق ــ والاردبيلي، جامع الرواة،ج٢،ص٧٨-٧٩ ــ ومحمد بن حسن الحر العاملي ــ وأمل الآمل، ج٢، ص٢٤٨ ــ ٢٥٠.

بعضهم في بعض المؤلّفات الى نسبة الكرامات العجيبة له وإعطائـــه هالـــة مقدّسة[٣].

فمن هو هذا المجلسي؟ وماذا عمل؟ وكيف كانت نظرته الى الحديـــث؟ وماذا كانت مترلته ومكانته الاجتماعية والدينية؟ ومـــاهو تأثـــيره علـــى الحركات العلمية والاجتماعية بعده؟ وماهي أبرز سمة علمية اتصف بهـــا؟ وماهي طبيعة علاقته بالشاه الصفوي وما مغزى دعمه وتأييده ـــ لو صـــحّ ـــ للدولة الصفوية؟ والأهم من كلّ ذلك ماهو كتابه (**بحار الأنوار**) الـــذي اقترن اسمه بذكره وماهي مترلته بين مصادر الحديث؟

وطالما سمع مؤلّف الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ باسم هـــــذا العالم الديني، وسمع آراء محبّيه ومبغضيه دائماً، فوجد أنه يحظـــى بـــاحترام وإكبار الكثير من المتدينين ـــ من ناحية ـــ ووجد أن الخطبـــاء والوعّـــاظ طالماً استشهدوا بكتبه واستدلّوا بمؤلّفاته، وطالع كتبه المؤلّفة باللغة الفارسية ـــ ومن ضمنها ترجمة توحيد المفضّل ـــ في فترة الشباب والفتوّة، واستفاد منها.

وفي المقابل، فان عدداً من المتدينين يذكرون المجلسي بـــالغمز واللمـــز، وأحياناً يصفونه بعبارات الاستهزاء والاستخفاف. وعلى سبيل المثال فـلهم يوردون تصديره لكتاب (زاد المعاد) وثناءه فيه على الشاه حسين الصفوي،

---

[٣]ـــ المحدث النوري في الفيض القدسي (ص١٦٣ -١٦٤) يشير الى احد الكتـــب وينتقده في معرض ذكره خرافاتٍ وقصصاً كاذبة اريد منها رفع مكانة المجلســـي ومدحه، وفي ص ٣٥و٣٦ أشار الى نموذج آخر لهذه الكرامات المزيّفة، وفنّدها.

وهذا ما يصعب هضمه على كاتب هذه السطور، إذ أن التأريخ يؤكـد أن تفكك البلاد وانفراط عقد ايران الناشئة للتو ــ آنذاك ــ حصلا في عــهد نفس هذا السلطان المهمل التافه العاجز، وان مرد كل ذلك الى عدم كفاءته هو ومن كان يحيط به !

وبالطبع، فان الوضع يختلف بين الخواص والعلماء، فعندما يجري الحديث بينهم نجد أن محور حديثهم يتمركز على العمل الروائي للمجلسي، فــهم كانوا ــ وما فتئوا ــ يقولون أنه وضع أكبر موسوعة لجمع الحديث، بيـد إنهم يشيرون في الوقت نفسه الى نقطة أخرى هي أنه يحتوي على مضـامين ضعيفة ولا يمكن القبول بها، وهي كثيرة.

وفي كتب الفقه والاصول يذكرونه مقترنا بأهم سمة له وهي أنه (**المحدث المجلسي**) ورغم أن هذا اللقب هو أدق تعبير وأصدق وصـف يمكـن أن يوصف به، فان له معنى سلبيا في أذهان كثير من أهـل العلـم والمعرفـة (واصطلاحا أنه له مفهوما مضادا) أي أن المجلسي لم يكـن (محققـا) ولم يتوفر على العلوم والمباحث العقلية أو على الاقل كان قليل الحظ منـها أو قليل الرغبة فيها[4].

---

[4] ــ يقول التنكابني مؤلف (قصص العلماء) ــ ص٢٠٤: (والعجيب أن الحـاج الملا أحمد النراقي يصف المجلسي في كتبه بالمحدث. وهذا التعبير من وجهـة نظري ليس لائقا به أبدا إذ أن المعروف هو أن المحدث صفة للشخص العـارف بالاحاديث)، وشاع هذا التعبير الى درجة بحيث ان الشيخ الأعظم الأنصاري مـع كل ما عرف عنه من احترام واجلال في حق علماء السلف ذكر المجلسي بـهذه

وبمقتضى تعلق المؤلف بدراسات الحديث فقد حصل على معرفة أوسع بالمجلسي، وأتاحت له مراجعاته المتكررة لبحار الأنوار الإطلاع على حقيقة المجلسي وخصائصه، فعرض على محكّ التجربة كل مسموعاته ومقروءاته.

وهاهي حصيلة هذه الجولة المطوّلة والمراجعة المعمقة يعرضها على أهل الفكر والرأي، ويودّ أن يُذكّر بهذه النقطة، قبل كل شيء، وهي انه يحلول — بقدر ما تسمح الظروف — أن يعرض ماتوصَّل إليه لا بهدف كتابة لائحة دفاع عن شخص بعينه. وفي الاساس، فان المجلسي ونظراءه من الشخصيات التأريخية المعروفة في ميادين العلم والسياسة والاجتماع والدين... الخ يواصلون حياهم المعنوية بما يتناسب مع الآثار والتركة التي تركوها، فلا الدفاع الفج عنهم يزيدهم احتراماً وسموّاً وعراقة ولا القسوة والتحطيم والنقد اللاذع يقلل من المكانة السامية التي حازوها ابّان كونهم على قيد الحياة.

على أي حال، فان من أبرز الحوافز الكثيرة التي حملتني على تأليف هذا الكتاب هو الوفاء والعرفان لمكانة عالم من علماء الدين. فقد استفدت سنين طوال من كنوز علوم هذا العالِم وثمار مساعيه، وتعلمت الكثير مما سطّره في بحار الانوار، ولا مناصّ من الوفاء له والاقرار بسمو مترلته.

وأرى لزاماً عليَّ أن أقدم جزيل شكري وتقديري لجميع الاعزاء الذين أعانوني بكل تواضع واخلاص وصبر في الايام الخوالي. الايام العجاف

الصفة أيضاً (راجع: فرائد الاصول، ص٩٣ــ٩٤) على الرغم من ثنائه على علو مرتبته في معرفة الحديث وهذا ماسوف نذكره فيما بعد.

والمرة، ووقفوا معي دون تردد رافعي الرؤوس واذاقوني حلاوة كلام الله وأحاديث المعصومين، وأسأل الله للذين مازالوا على قيد الحياة السلامة والتوفيق، وللراحلين الثواب والأجر الإلهي، وخاصة للعالم الورع الوالد الفقيد[٥].

حسن طارمي

آذر ١٣٧٤ ـ تشرين الثاني١٩٩٥

---

[٥] ـ هو الفقيد السعيد المرحوم آية الله الحاج الميرزا جعفر طارمي زنجاني (قدس سره) من خريجي الحوزة العلمية السبّاقين، وكان معاصراً للمرحوم آية الله الحائري، وتتلمذ على يديه. وقد استفاد منه المؤلف كثيراً، وتوفي الوالد عن عمر يناهز ٩٢ عاماً ليلة عرفة ١٤١٥فرحمه الله رحمة واسعة.

✱ الرموز والاختصارات

ــ الاجازات ــــــــــــــــــــ اجازات الحديث.

ــ البحار ــــــــــــــــــــــــــــ بحار الأنوار.

ــ تأريخ ادبيات (تاريخ الادب) ــــــ تاريخ ادبيات در ايران (تـــاريخ الادب الايراني).

ــ مرآت (المرآة) ـــــــــ مرآت الاحوال جهان نما (مـــرآة أحـــوال العالم).

ــ وقايع (الوقائع) ـــــــــ وقائع السنين والأعوام.

✱ ملاحظة:

١ــ اسماء المصادر الفارسية ترجمت مع وضع لفظها باللغة الفارسية في المرة الاولى فقط، وبعض الكتب اسماؤها عربية لكنها ألّفت باللغة الفارسية.

٢ــ استعمل المؤلف التاريخ الهجري القمري، و لم يكتبه بعـــد الرقـــم و لم نكتبه في الترجمة.

١

ترجمة حياة المجلسي

– ترجمة حياته

وُلِدَ محمد باقر المجلسي عام ١٠٣٧ في أصفهان. ذكر هذا التاريخ المير عبد الحسين الخاتون آبادي العالِم المعاصر للمجلسي وتلميذ أبيه، في كتاب **وقائع السنين والأعوام**[١] ونقلاً عنه ذكر ذلك المحدث النوري في **الفيض القدسي**[٢].

أما الشيخ يوسف البحراني فقد ذكر هو الآخر في "**لؤلؤة البحرين**" التاريخ نفسه وأشار الى أنه وجد ذلك مكتوباً في هامش إحدى نسخ بحار الأنوار بخط المجلسي نفسه، وقال إن بعض اصدقائي ارّخ تاريخ ولادتي بالحروف الابجدية بعبارة "**جامع بحار الأنوار**" ــ (١٠٣٧)[٣].

ولكن مؤلف "**المرآة**" آقا أحمد البهبهاني ذكر أن ولادة المجلسي كانت في اوائل عام (١٠٣٨)[٤].

ومحمد باقر هو الإبن الأصغر لمحمد تقي المجلسي العالم الكبير في العهد الصفوي[٥]. وتشير البراهين والادلة الى أنه كان يتمتع بذكاء وفطنة كبيرين

---

[١] ــ الوقائع، ص٥٠٨، ألّف الخاتون آبادي كتابه في شهر رمضان ١٠٩٧ (ص٥٣٨) ثم تدرّج فيه حسب تسلسل الأعوام، وكانت وفاته عام ١١٠٥ لكن أولاده واصلوا عمله حتى عام ١١٩٣، وطبع الكتاب عام ١٣٥٢ وفقاً للنسخة الموجودة في مكتبة المرحوم آية الله المرعشي.

[٢] ــ الفيض القدسي، ص١٤٩.

[٣] ــ لؤلؤة البحرين، ص٥٩.

[٤] ــ (مرآت الاحوال جهان نما) مرآة احوال العالم،ص١١٣.

وعاشقا للمطالعة والدراسة كثيرا، ومن جملة ما ورد في هذا الشأن ما ذكره في الإجازة التي كتبها المجلسي للملا احمد البحراني العالم البارز (وبتعبير يوسف البحراني: افضل علماء البحرين[٦] حيث قال المجلسي إن احد اساتذته الشيخ عبد الله بن جابر العاملي وانه حصل على الاجازة منه في عهد الطفولة[٧]. ومع كل ذلك فليس ثمة تقرير واضح عن مراحل دراسته وتحصيله العلمي.

يقول صاحب "**رياض العلماء**" الذي كان من تلامذة المجلسي ومساعديه في تدوين "**بحار الانوار**" إن المجلسي "**استاذ الاستناد**" وقد كتب في سيرته انه درس العلوم العقلية لدى آقاحسين الخونساري، والعلوم النقلية عند ابيه[٨].

اما المجلسي فانه لم يذكر في كتاباته أستاذا له ما عدا ابيه استاذا آخر[٩]، وذكر البهبهاني عند التطرق للمجلسي هذا الامر فقط وقال: إنه درس

---

[٥] ـ لمعرفة أحوال والد المجلسي وعائلته راجع الملحق رقم١.

[٦] ـ لؤلؤة البحرين، ص٣٨.

[٧] ـ السيد أحمد الحسيني، اجازات الحديث، ص٢٣، والفيض القدسي، ص١٠٥.

[٨] ـ عبد الله افندي (رياض العلماء) ج٥، ص٤٠.

[٩] ـ ورد التصريح من المجلسي في إجازاته لتلاميذه ومعاصريه، مرارا ان اباه كان من مشايخه واساتذته، ومن جملة ذلك ما ورد في الاجازات، ص٢٢، ٢٥،٤٨،٥٣،٥٤،٦٠،٦٦،٩٧ و١٠٨. وطبعا يعلم من تعبيراته بوضوح انه كان له اساتذة ومشايخ آخرون. ومن ذلك ما ورد في شرح الاربعين (ص١٩٢)

العلوم وطوى مراتبها عند والده واستطاع ان يجمع اطرافها خـــلال مـــده قصيرة.. وان صيته ذاع وانتشر مجده وفضله في البقاع والاكناف مع وجود ابيه الفاضل)[١٠].

وتشير هذه العبارة الى نقطة اخرى وهي ان المجلسي كـــان ذا شـــهرة علمية كبيرة وصيت ذائع خلال حياة والده. وكانت وفاة والـــده عـــام ١٠٧٠ حيث كان للمجلسي آنذاك ثلاثون عاماً. وعلى هذا الاساس فـــان دراسته عند الاساتذة ـــ على فرض وقوعه ـــ ينبغي ان يكون قد تم بحوالي سنّ الخامسة والعشرين. أي انه درس مقدمات العلوم عند ثلة من الاساتذة ثم طوى المراتب العلمية العليا واستلهم معظم الفوائد العلمية من ابيه.

لكن المسلّم به ان المجلسي حصل على اجازات عدد كبير من المشـــايخ والأفاضل المعاصرين لأبيه، وبعضهم من معاصريه هو.

ومنهم الملا محسن الفيض الكاشاني (المتـــوفى عـــام١٠٩١)، والمـــلا المازندراني (المتوفى عام١٠٨٠) والشيخ الحر العاملي (المتوفى عـــام ١٠٩٦) [١١]. والملا محمد طاهر القمي (المتوفى عام ١٠٩٨) [١٢].

بمناسبة ذكره لحسابات العقود صرح انه درس ذلك لدى استاذه في الرياضيـــات لكنه لم يذكر اسمه، بيد أنه يمكن ان يكون قطب الدين اللاهيجي.

[١٠] ـــ مرآة الاحوال، ص١١٣.

[١١] ـــ منحت هذه الاجازة من الطرفين لأحدهما الآخر في مشـــهد عـــام ١٠٨٥ (الفيـــض القدســـي،ص٨٠ ـــ ووســـائل الشـــيعة،ج٢،ص٥١ ـــ وبحـــار الأنوار،ج١٠٧،ص١٠٣-١٠٦).

بيد إنه وكما ورد في بعض الاجازات فان الغرض من أخـــذ الاجـــازة واعطائها ــ خصوصاً إجازة المتعاصرين لبعضـــهم بعضـــاً ــ الاتصـــال والارتباط من طرق عديدة بسلسلة رواة الحديث وفي الواقع تقوية الاستناد اليهم[13]. وهذا لا يعكس بأيّ نحو من الأنحاء وجود علاقة المعلّم والمتعلـــم بين معطي الاجازة وآخذها.

وجاء في عبارة المجلسي التي كتبها بمقدمة اجازته للاردبيلـــي مؤلـــف الكتاب القيم والمهم المسمى **"جامع الرواة"** مايلي: (ان طُرقي الى مؤلفـــي الآثار ــ أي كل ماصدر في العالم الاسلامي من مؤلّفات في شتى فـــروع العلوم كالتفسير والحديث والكلام وأصول الفقه والمنطق والأدب ــ أكـثر من ان تحصى، وأوفر من أن أُحصيها هنا، (ومن هؤلاء عدد من الأفـاضل وثلة من العلماء الذين قرأت عليهم أو سمعت منـــهم أو حصلـت علـى إجازتهم) [14] وهذه العبارة تدلُّ على ان بعض المشايخ كانت لهـــم علاقـة تعليمية بالمجلسي.

على هذا الاساس، لايمكن معرفة جميع أساتذة المجلسي في شتى فروع

---

[12] ــ وردت فـي إحـدى إجـازات المجلسـي أسـماء بعـض مشـايخه (الاجازات،ص١٢٢).

[13] ــ على سبيل المثال: يشير المجلسي في عدد من إجازاته أنه يتصل من عـدة طرق بمؤلفات الامامية، ولكنه ومراعاة للاختصار يشير الى إحداها (الاجازات: ص٥٣،و٦٤و٧٢،٨٢،٩٨،١٠٧،١٣٧) ويراجـع كذلـك (وسـائل الشـيعة) ج٢٠،ص٤٩.

[14] ــ الاجازات ،ص١٢٢.

العلم، ومن ثم الحكم على كيفية ومراحل دراسته ونظراته العلمية، فيما عدا انه نَهل من علوم ابيه واستفاد منها اكثر من استفادته من غيره، وأثرت فيه تعليمات أبيه أكثر من غيره، ومن هنا فينبغي اعتباره من خريجي حوزة جبل عامل ــ بعد التغييرات والاصلاحات التي طرأت عليها إثر انتقالها الى ايران وازدهار اصفهان ــ[١٥].

ولا ينبغي الغفلة عن هذه النقطة وهي ان والد المجلسي درس على يد الشيخ البهائي و لم ينهل من فيض علومه وفنونه المختلفة فحسب وانما بادر الى شرح كتب الحديث بتعليم وبتوجيه منه (اي الشيخ البهائي).

وفي شرح (**من لا يحضره الفقيه**) وبمناسبة ذكره لاستاذه الشيخ البهائي صرح والد المجلسي انه ألف هذا الكتاب بتوجيه وارشاد من أستاذه: (بل هذا الشرح أيضا من فوائده).

ثم يشير الى الحلم الذي رآه في منامه ويحكي ما حصل فيه فيقول: إنه رأى الشيخ البهائي في عالم الرؤيا فطلب منه ان يشرح أحايث أهل البيت، فقرر أن يقوم بهذا العمل القيم، ولذلك فان تعلق محمد باقر المجلسي واهتمامه به هو السمة الابرز والصفة العلمية المشهودة لديه وقد ورثها عن

---

[١٥] ــ ازدهرت حوزة جبل عامل العلمية بمساعي وجهود الشهيد الاول ويعتبرونها في تاريخ فقه الشيعة امتدادا لحوزة الحلة، وفي الفصول القادمة سنذكر أن المتعلمين والخريجين في حوزة جبل عامل جاءوا الى ايران مع تأسيس الحكومة الصفوية وقدموا نتائج وثمار هذه الحوزة في ايران وخاصة باصفهان.

أبيه[١٦].

والمجلسي ــ كما صرح هو ــ لديه اطلاع على مختلف المعارف وتضلع في شتى العلوم[١٧]. وهو يشرح في مقدمة "**بحار الأنوار**" مراحل تكامله العلمي فيقول:

[اني كنت في عنفوان شبابي حريصاً على طلب العلوم بأنواعها، مولعاً باجتناء فنون المعالي من أفنانها فبفضل الله سبحانه وردت حياضها وأتيت رياضها، وعثرت على صحاحها ومراضها، حتى ملأت كُمّي من ألوان ثمارها، وأحتوى جيبي على أصناف خيارها، وشربت من كل منهل جرعة روّية وأخذت من كل بيدر حفنة مغنية، فنظرت الى ثمرات تلك العلوم وغاياتها، وتفكرّت في أغراض المحصّلين وما يحثّهم على

---

[١٦] ــ يذكر محمد تقي المجلسي الملا محمد امين الاسترآبادي مؤسس المدرسة الأخبارية، فيثني عليه، وسوف يرد فيما بعد توضيح ذلك.

[١٧] ــ على سبيل المثال: راجع الاجازات،ص٣٦و٨٧و١٠٦وفي الاجازة الأخيرة ذاتها يقول: ان طالب الاجازة درس عنده جانباً كبيراً من المعارف العقلية والمروية والعلوم الفقهية والاصولية وخاصة كتب الحديث، وهذه الجملة تدلّ على أن المحلسي كان يدرّس حتى العلوم العقلية، وقد ذكر في بعض التقريرات سبب عزوفه عن تدريس العلوم العقلية، فيما بعد.

البلوغ الى نهاياتها، وتأملت فيما ينفع منـــها في المعاد، و تبصّرت فيما يهدي منها الى الرشـــاد، فأيقنت بفضله وإلهامه تعـــالى أن زلال العلـــم لاينفع إلا إذا أخذ من عين صافية نبعـــث عـــن ينابيع الوحي والإلهام، وأن الحكمة لاتنجع إذا لم تؤخذ من نواميس الدين ومعاقل الأنام][18].

وبذلك فانه ادعى في هذا التقرير الوجيز انه ضليـــع في شـــتى العلـــوم المختلفة أو ـــ على الأقل ـــ في العلوم الدينية، وأنه أطّلع منها على كل مـــا ينبغي له الاطلاع عليه، وكتب محمد بن الحسن الحر العاملي مؤلّف"**وسائل الشيعة**" في إجازته للمجلسي:

"لقد صرف كل اهتمامه لتعلُّم علوم الحديث والفقـــه بـــل وجميـــع المعارف، واستخدم كل فكره العميق وذهنه الوقّاد في كسب كل صـــور الكمال" [19].

والالتفات الى هذه النقطة مفيد وهي أنه أثناء اصدار هـــــذه الاجـــازة للمجلسي لم يبلغ المجلسي يومها الخمسين من العمر ومع ذلك فان مكانتـــه العلمية ولياقته المعرفية كانت ثابتة ومحرزة لدى امرئ كالشيخ الحر العاملي.

---

[18] ـــ بحار الأنوار، ج١، ص٢.

[19] ـــ البحار، ج١٠٧، ١٠٤وهذه هي الاجازة التي بعدها أعطى المجلسي للشـــيخ الحر العاملي الاجازة وقال الشيخ عنها: (هو آخر من أجازني وأجزته" (وســـائل الشيعة) ج٢٠،ص٥١.

وقال الفيض الكاشاني في اجازته للمجلسي:" **انه جامع للعلوم العقلية والنقلية**" [20].

ولكن، وكما سرى فيما بعد لدى دراسة كتبه وخاصة "**بحار الانوار**" فان المجلسي وقبل ان يتتلمذ على يد باقي الاساتذة كان من ذوي الشغف بالمطالعة والاقبال على البحث والتعليم الذاتي والدراسة وكان يطلّع على آخر ماطالعه وقرأه المعاصرون له وما صدر من مؤلفات علمية، وكان يستفيد منها في كثير من الأحيان، إضافة الى ذلك فقد كان يتدارس ويتباحث مع علماء عصره ويتذاكر معهم في حل مشكلات الحديث والرواية ويطلب عونهم في احيان كثيرة، وقد أشار الى ذلك في العديد من المواضع بالبحار.

وعلى سبيل المثال ، قال في اجازته للملا مسيح الدين الشيرازي، وبعد التصريح بمترلته العلمية وكفاءته وقابلياته العقلية والادبية، قال إنه قضى عدة ايام مصاحباً ومعاشراً لهذا العالم الذي سبق وان تعرّف اليه، وتذاكر معه في المسائل العلمية، ويوضح (**وفاوضته في فنون من العلوم العقلية والنقلية**) فوقف على غزارة علمه وعمق معارفه [21].

وذكر ما يماثل ذلك في اجازته للملا رفيع الدين الكيلاني وفي إجازته لمير محمد أشرف العاملي [22].

---

[20] ــ البحار، ج١٠٧، ص١٢٤

[21] ــ البحار، ج١٠٧،ص١٤٠ ــ والاجازات، ص١١٤ ــ ١١٥.

[22] ــ الاجازات، ص١٣٠و١٥٨ ــ ١٥٩.

وقضى المجلسي معظم عمره بالتدريس والتحقيق والتأليف، وحتى خلال سفره للحج أو أسفاره لزيارة مشهد الامام الرضا "ع" والعتبات المقدسة في العراق، لم يترك هذا الامر، وخلال العقدين الاخيرين من عمره حيث عين في المسؤوليات الرسمية الدينية، لم يتخلّ عن الكتابة والبحث، ولا عزف عن التحقيق والتدريس، وقد عين بمنصب المفتي الأكبر في اصفهان (شيخ الاسلام) في عهد الشاه سليمان الصفوي عام ١٠٩٨.

وينقل المحدّث النوري عن السيد نعمة الله الجزائري، تلميذ المجلسي وصاحبه، أن الشاه سليمان الصفوي طلب في العقد التاسع من القرن الحادي عشر الهجري القمري، من (**شيخنا باقر العلوم**) العلامة المجلسي التصدي لرئاسة شؤون الاحكام الشرعية في اصفهان[٢٣].

ويذكر الخاتون آبادي في أحداث عام ١٠٩٨ أن العلامة المجلسي عين بمنصب (شيخ الاسلام) وان الشاه تكلم بألفاظ الرجاء والالتماس مراراً. وقام برعاية العلماء واسترضاء خاطر الآخوند (يعني المجلسي) [٢٤].

واشار الى احداث عام ١٠٣٧ وتطرق الى تعيين المجلسي بمنصب (**شيخ الاسلام**) عام ١٠٩٨، وقال "حتى هذا اليوم الخميس ١٩صفر عام١١٠٤ مازال عامة الناس وخاصتهم يستفيدون من توجيهاته وكتبه بحمد الله تعالى"[٢٥].

---

[٢٣] ــ الفيض القدسي،ص٢٠.

[٢٤] ــ الوقائع، ص٥٤٠ (قبل المجلسي، كان آقا حسين الانصاري يشغل منصب شيخ الاسلام لكنه توفي في رجب من العام المذكور).

[٢٥] ــ الوقائع، ص٥٠٨.

وبعد وفاة الشاه سليمان في الخامس من ذي الحجة الحرام عام ١١٠٥هـ [٢٦]، وتسنم الشاه سلطان حسين الصفوي عرش السلطنة، عين مرة اخرى في هذا المنصب وصدر أمر رسمي بهذا الشأن، وورد التصريح في هذا الأمر الرسمي "الفرمان" بذكر تولي المجلسي منصب (شيخ الاسلام) في عهد الشاه سليمان[٢٧].

وسنذكر بعض خصائص وسمات هذا المنصب ومستلزماته في الفصول المقبلة، ومايجب ان نبحثه هنا هو اعطاء منصب آخر للمجلسي.

وكتب مينورسكي في تعليقاته وحواشيه على كتاب "**تذكرة الملوك**" تحت عنوان "التنظيم الاداري للحكم الصفوي" أنه تم في عهد الشاه سلطان حسين صفوي، اعطاء منصب "**ملا باشي**" لمحمد باقر المجلسي"[٢٨].

ووصف لكهارت ــ هو الآخر ــ المجلسي بانه صاحب منصب الـ (ملا باشي)، وان هذا المنصب استحدث في عهد السلطان حسين، وكان

---

[٢٦] ــ الوقائع،ص٥٤٩.

[٢٧] ــ نشر السيد رسول جعفريان الأمر (الفرمان) الصادر بتعيين المجلسي بمنصب (شيخ الاسلام) وذلك بناء على النسخة المحفوظة في المكتبة التابعة للروضة الرضوية بمشهد (راجع "دين وسياست در دوران صفوية") (الدين والسياسة في العهد الصفوي)، ص٩٧ ــ ١٠١ ونصه في ص٤١٢ ــ ٤١٤).

[٢٨] ــ (سازمان اداری حکومت صفویان) التنظيم الاداري لحكومة الصفويين، ص٧٢.

الشاه يريد التعبير عن احترامه وتقديره للمجلسي بترفيعه الى منصب الملا باشي.[29]

وذكر لكهارت عدداً من أعمال وانجازات المجلسي بهذه المناسبة حيث سنتطرق اليها في الفصل الثالث.

وقد ذكر بعض المؤلفين ــ تبعاً لما كتبه لكهارت ومينورسكي ــ منصب الملا باشي.[30]

ومن المؤكد عدم صحة هذا الامر، اذ ان الذي قبل منصب الملا باشي لم يكن محمد باقر المجلسي، فقد جاء في عبارة مؤلف **"تذكرة الملوك"** مايلي:

[في اواخر عهد الشاه سلطان حسين، تشرف المير محمد باقر ــ الذي كان فاضلاً لكنه لا يضاهي في الفضل آقا جمال المعاصر له بل يقلّ عنه ــ تشرف بنيل منصب الملا باشي، والحظوة

---

[29] ــ (انقراض سلسلة صفوية) انقراض سلسلة الحكام الصفويين، ص٨٣.

[30] ــ من جملة ذلك راجع: مريم مير احمدي، (دين ومذهب در عصر صفوى) "الدين والمذهب في العصر الصفوي" ص٧٤ ــ ورسول جعفريان في (دين وسياست دوره صفوى) أي (الدين والسياسة في العهد الصفوي) ص٩٧ ــ وذبيح الله صفا "تاريخ ادبيات" تاريخ الادب، ج٥، الفصل الاول، ص١٨١ و٢٥٩ ــ وروجر سيفوري (ايران در عصر صفوى) أي ايران في العصر الصفوي، ص٢٣٤ و٢٥١ ــ وعبد الهادي الحائري، دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ليدن) مقالة المجلسي، ج٧، ص٨٧).

والقرب لدى الشاه ـــ فبنى مدرسة جهار بـــاغ، وعمل استاذاً فيها، وغـــــدا يتســـلم الحقـــوق الشرعية المحللة]. [31]

ويستشف من هذه العبارة ان المير محمد باقر لم يكُ يتمتع بالدرجــــة الاولى من الفضل بل حازها آقا جمال الخونساري، وزاد فضل الاخير على الأول، لكن هذا الـــ (**مير محمد باقر**) هو غير (**محمد باقر المجلسي**) إذ:

اولاً: ان (**مير**) كان عنواناً للسادات (من ذرية فاطمة الزهراء وعلـــي بن ابي طالب عليهما السلام) و لم يذكر أحد أن المجلسي كان ســــيداً أو يسمى (**مير محمد باقر**).

ثانياً: ان محمد باقر المجلسي توفي في السنة الخامسة بعد بـــدء ســـلطنة الشاه سلطان حسين الصفوي، بينما كان هذا التعيين ـــ كمـــا ذكرتـــه العبارة بصراحة ووضوح ـــ في أواخر حكومته، وطبعاً لم يكن ممكنـــاً ان يكون المجلسي هو الشخص المعين حينذاك في المنصب المذكور.

ثالثاً : ان إنشاء مدرسة (جهار باغ) بدأ في عـــام ١١١٦ هجـــري وانتهى عام ١١١٨ هجري وافتتحت المدرسة في شهر ذي الحجـــة مـــن العام المذكور ومارس التدريس فيها المير محمد باقر. [32]

---

[31] ـــ تذكرة الملوك، ص١ ـــ٢.

[32] ـــ الوقائع، ص٥٥٦، وردت بعض الادلة والشواهد التي تبرهن على خطـــأ مينورسكي وغيره في بحث قيم لمهدي تديُّن عنوانـــه "المستشـــرقون والعلامـــة المجلسي" ـــ طبع في المجلد الثالث لابحاث المؤتمر الثامن للتحقيقات الايرانيـــة

أجل، ان المير محمد باقر المشار إليه في **تذكرة الملوك** هو مير محمد باقر الخاتون آبادي ابن المير اسماعيل الخاتون آبادي الذي تولى تعليم السلطان الصفوي وحظي عنده بالقرب وحاز لديه بالاهتمام الوافر، وسنذكر معلومات مفصلة عن هذا العالم المعروف في العهد الصفوي في الملحق رقم (٢) للكتاب، لكننا نكتفي هنا بالقول ان تشابه اسم المير محمد باقر وتماثله مع اسم محمد باقر المجلسي هو الذي أدى الى حصول هذا الخطأ والالتباس. ولم يؤد هذا الالتباس والاشتباه الى منح المجلسي منصب "الملا باشي" بل أكسبه صفة "معلم الشاه" على يد هؤلاء المؤلفين، واقرن ذلك بكيلهم له الانتقاد الشديد، فقد كتب ويلم فور حول سقوط الصفويين وغلبة محمود الأفغاني:

[كان الشاه سلطان حسين قد قضى ستا وعشرين سنة من عمره قبل وصوله الى منصب السلطنة في أروقة وغرف قسم الحريم من القصر الملكي، وظل طيلة تلك الاعوام تحت سيطرة وتوجيه عبيدهن المخصيين والملا محمد باقر المجلسي]. [٣٣]

(ص ٥٦٠ ــ ٥٧٠). وذكر المرحوم مصلح الدين مهدوي ايضا في "زندكينامة علامه مجلسى" ترجمة حياة العلامة المجلسي (ج١، ص١٤٠ ــ ١٤٥) أمورا تدخل في هذا الباب.

[٣٣] ــ "بر افتادن صفويان" أي سقوط الصفويين، ص١١.

وارتكب لكهارت ومينورسكي خطأ آخر. فبعد وفاة المير محمد باقر الخاتون آبادي في عام ١١٢٧ هجرية خلفه في منصبه شخص اسمه الملا محمد حسين ابن الملا محمد شاه التبريزي، من علماء اصفهان، وقبل ان يصبح هو الملا باشي، شغل منصب شيخ الاسلام في اصفهان.[٣٤]

لكن لكهارت ومينورسكي ظنا ان الملا محمد حسين هو المير محمد حسين الخاتون آبادي سبط محمد باقر المجلسي، وبناءً على هذا الظن السلبي والتصور غير المستند الى الحقيقة اخذا يذمان حفيد المجلسي وينتقدانه.

وذكر مينورسكي المير محمد حسين الخاتون آبادي قائلاً إنه ورث السلطة عن جده، وبعد سطرين وصفه بالملا باشي.[٣٥] وصرح لكهارت في عدة مواضع من كتابه قائلاً ان المير محمد حسين الخاتون آبادي هو حفيد المجلسي لابنته ـ أي سبطه ـ وقد تسنم منصب الملاباشي مدة. ومن جملة ما قال لكهارت:

[وبعد وفاة محمد باقر، خلفه في منصب الملا باشي سبطه المير محمد حسين الذي كان يتميز بذات نفوذ كلامه ـ الى حدّ ما ـ ويتصف ـ لسوء الحظ ـ بنفس تعصبه وضيق نظرته اللذين ورثهما منه.[٣٦]

---

[٣٤] ـ الوقائع، ص٥٦٧ ـ ٥٦٩.

[٣٥] ـ التنظيم الاداري للصفويين، ص٧٣.

[٣٦] ـ انقراض سلسلة الحكام الصفويين، ص٨٤.

وورث محمد حسين الملا باشي.. النظرة الضيقة والتعصب في العقيدة ــ بأشد ما تكونان ــ من محمد باقر المجلسي، جده المشهور وسلفه].[37]

وكتب مصحح مذكرات كروسينسكي ــ تبعاً لهؤلاء المحققين ــ في سياق تعريفه الملا باشي الذي اشار اليه القسيس البولندي "ان الملا باشي في عهد الشاه سلطان حسين هو المير محمد حسين سبط محمد باقر المجلسي"[38] وكرر روجر سيفوري الخطأ ذاته.[39]

وبذلك فان السادة المؤلفين المذكورين حبوا "السيادة" لمحمد باقر المجلسي على اعتبار انه جد المير محمد باقر الخاتون آبادي، ووهبوا "السيادة" للملا محمد حسين التبريزي تبعاً لسيادة المير محمد حسين الخاتون آبادي وجعلوه حفيداً للمجلسي.

نعود الى الموضوع: وبعد تطرق آقا أحمد البهبهاني الى تعيين محمد باقر المجلسي في منصب (شيخ الاسلام) باصفهان على يد السلاطين الصفويين، وهو ما يستتبع كثيراً من المقتضيات والالتزامات والمهام، قال: إن المجلسي قام بتدبير وتصريف امور القضاء وحل دعاوى وشكاوى المسلمين،

---

[37]ــ انقراض سلسلة الحكام الصفويين، ص١٣٤.

[38]ــ (سفرنامة كروسينسكي) مذكرات اسفار كروسينسكي، هامش ص٤٦.

[39]ــ ايران في العصر الصفوي، ص٢٥١.

والمشاركة في المراسم الدينية وصلاة الجمعة والجماعة وعيـــادة مرضـــى المؤمنين، والأهم من أي شيء آخر، كان له ولع وشغف بـــالتدريس.[٤٠] ويعود تاريخ عدد من اجازاته العلمية الى هذه الفترة.[٤١] وذكر الملا عبـــد الله افندي الذي كان هو من تلاميذ وزملاء المجلسي، في كتابـــه **ريـــاض العلماء** أن عدد تلاميذ المجلسي يربو على الالف شخص.[٤٢]

وفي عـــام ١٠٨١ سافر المجلسي الى مكـــة لاداء فريضة الحـــج وكـــانت

حصيلة سفره هذا تأليف المجلد الثاني والعشرين من **بحار الأنوار**. وفي عـــام ١٠٨٥ توجه لزيارة مرقد الإمام الرضا (ع) في مدينة مشـــهد المقدســـة وكانت له هناك مباحثات ومناظرات علمية مع الشيخ الحـــر العـــاملي، واعطى كل منهما للآخر إجازة، وتم خلال هذه السفرة تأليف كتـــابَي الجزء الاول من **حياة القلوب وشرح الاربعين**[٤٣]. واخيراً توفي المجلسي في السابع والعشرين من شهر رمضان ١١١٠ وكان له من العمر (٧٣) عاماً

---

[٤٠] ـ المرآة، ص١١٣.

[٤١] ـ الاجازات، ص٩٤ و١٣٨.

[٤٢] ـ الفيض القدسي، ص٨٣ ـ وتلامذة العلامة المجلسي، ص٣.

[٤٣] ـ الوقائع، ص٥٣٣ ـ وشرح الاربعين، ص٣.

ودفن الى جوار مرقد أبيه بأصفهان[44] في المكان المسمى اليوم بـ "بقعة المجلسي".[45]

---

[44] ـ ذكر الخونساري في **روضات الجنات** (ج٢، ص٨٧ ـ٨٨) ان مرقده يقع في ناحية باب القبلة من المسجد الجامع القديم. في هذه البقعة وفضلا عن والد المجلسي، دفن كثير من افراد هذه العائلة، وكذلك الملا صالح المازندراني (راجع ايضا: عبد الكريم كزي اصفهاني، تذكرة القبور، ص٦٣ ـ ٧٣).

[45] ـ كتب تاريخ وفاة المجلسي ـ كما هو متعارف في ذلك الحين ـ بعبارة تتضمن من الحروف الابجدية ما يساوي عدد سنة وفاته، منها ما كتبه **البهبهاني (المرآة،ص١١٣) عبارة (قدس الله روحهم الشريف)**، وفي **لؤلؤة البحرين** (ص٥٩) عبارة "**غم وحزن**" وهي تساوي ١١١١. اما **مكمل الوقائع** (٥٥١) فذكر ان وفاته كانت في ٢٧ رمضان ١١١١ بينما قال ان عمره بلغ ٧٣ عاما وهذا لا ينسجم مع ما ذكره المحدث النوري (**الفيض القدسي**، ص١٥١) من تاريخ ولادته ويبدو ان عام ١١١٠ هو الصحيح، وفي بيت من الشعر الفارسي اشير الى تاريخ وفاة المجلسي، باليوم والشهر والسنة فورد فيه:

ماه رمضان جوبيست وهفتش كم شد   تاريخ وفات باقر أعلم شد

وقد ترجمتها شعرا هكذا:

ولما ان مضى سبع وعشرون   على رمضان مات المجلسي

او:

ومن رمضان لما فات سبع   وعشرونا وفاة المجلسي

(المترجم: رعد جباره)

٢

الاوضاع الاجتماعية والدينية في العصر الصفوي

- الأوضاع التاريخية والسياسية:

على الرغم من أن مجيء الصفويين الى الحكم لم يتم بشكل مفاجئ ومرة واحدة، وأن محاولاتهم ومساعيهم للوصول الى السلطة تعود على الأقل الى زمن الشيخ الجنيد والشيخ حيدر، إلا أن تشكيل الحكومة الصفوية تم رسمياً على يد الشاه اسماعيل بن الشيخ حيدر عام ٩٠٥، وذلك غيّر الملامح العامة لايران من النواحي السياسية والدينية والاجتماعية، وصار منعطفاً كبيراً في المسيرة التأريخية لهذا البلد ترك أثراً حتى على أوضاع الدولة العثمانية، والعلاقات بينها وبين الهند وأوروبا أيضاً، والترابط الوثيق بين الأوضاع الدينية والاجتماعية مع القضايا السياسية يقتضي أن نسلط الضوء على الوضع السياسي لايران ــ بشكل إجمالي ــ في هذه الفترة من تاريخ ايران.

هناك اتفاق في وجهات النظر بين المؤرخين والمحققين في كون الحكومة الصفوية أول حكومة ايرانية تميزت بالمحافظة على وحدة وسيادة واستقلال ايران، لاول مرة بعد اعتناق الايرانيين للدين الاسلامي[1]. ودراسة هذا

---

[1] ــ عبد الرضا هوشنك مهدوي "تاريخ روابط خارجي ايران" تاريخ العلاقات الخارجية الايرانية، ص٤و١١- ونظام الدين مجير شيباني " تشكيل شاهنشاهي صفوية" تاسيس الدولة الشاهنشاهية الصفوية، صفحات مختلفة وخاصة ٩٧-١٣٨، وروجر سيفوري، ايران في العصر الصفوي ،ص٣٠، وكذلك "مطالعاتى در تاريخ صفويان" دراسات في تاريخ الصفويين، المقال IX،ص١٧٩ ت ٢١٢

الموضوع خارجة عن استيعاب هذا البحث والباحث لكننا نشير إليها بشكل اجمالي وبايجاز ونشير الى نقطة دقيقة فيها.

لقد كان قبول الايرانيين للاسلام ــ كما تشير الوثائق التأريخية ــ ناشئاً في معظمه من الاطلاع القليل الذي حصلوا عليه من التعاليم الاسلامية منذ بدء عهد البعثة النبوية حتى عهد الخلفاء، وخاصة أن تلك التعاليم تجسّدت في السلوك الاخلاقي والاجتماعي للمسلمين آنذاك وكان تصرف الحكام لم يكن قد ابتعد كثيراً عن التعاليم الدينية الأصيلة، ومن المفيد هنا ذِكْر نموذج من هذا السلوك الديني وتأثيره في اذهان وقرار الشعب الايراني وباقي الشعوب لاعتناق الاسلام.

يذكر الطبري في أحداث عام ٢٢هـ حول قضية فتح مدينة اصفهان (باب الأبواب) كان يديرها شخص ايراني أسمه شهربراز[٢].

وقال الطبري ان شهربراز عندما علم بقدوم الجيش الاسلامي بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، واقترابه من هذه المدينة، طلب من الباهلي ان يلتقيه، وخلال اللقاء اقترح شهربراز الصلح معه والتعاون مع المسلمين لفتح المناطق بشرط اعفاء أهل هذه المدينة من دفع الجزية، فأخذه عبد الرحمن الباهلي الى القائد العام سراقة بن عمرو ليطرح عليه اقتراحه،

ــ وذبيح الله صفا، تأريخ الادب، المجلد الخامس، الفصل الأول، الصفحات ٦-٦٣-٧٢.

[٢] ــ تقع مدينة باب الأبواب او دربند على الساحل الغربي لبحر الخزر في شمال باكو وتعتبر بوابة العبور الى القفقاس [حول فتح هذه المدينة راجع موسوعة العالم الاسلامي، مادة باب الابواب].

وعندما سمع سراقة الطلب بادر من فوره فبعث رسالة الى الخليفة ليعلم ماذا يقرر، وأخيراً تحقق ذلك.

وكتب سراقة وشهربراز معاهدة ووقعاها وبعدها وقع المسلمون معاهدة مماثلة مع أهالي ارمينيا، وكانت النتيجة أن المسلمين حققوا فتحاً عظيماً دون الحاجة الى الحرب والقتال.

وقال الطبري في تاريخه موضحاً أهمية هذا الحدث أن فارس (ايران) كانت تنتظر النتيجة لتقرر هل تحارب أم تصالح، ثم قال: وهكذا استقر المسلمون في تلك المناطق وتذوق أهالي تلك الديار عذوبة العدالة الاسلامية (واستحلوا عدل الاسلام).

وبقي عبد الرحمن والجيش الاسلامي عدة سنوات في باب الأبواب من أجل التمكن من نشر الاسلام وفتح المناطق المحيطة ببحر الخزر مما أتاح لأهالي هذه المناطق التعرف على التعاليم الاسلامية.

وفي يوم من الايام كان عبد الرحمن حاضراً في مجلس شهربراز يتحدث عن ياقوتة اهديت اليه من أحد الملوك في منطقة قريبة، ثم قدمها الى عبد الرحمن كي يراها، فنظرها عبد الرحمن وأعادها اليه، فتعجّب شهربراز من ذلك وقال "إن قيمة هذه الياقوتة تفوق عندي كل هذه المدينة ـــ يعني باب الأبواب ـــ والله إني لأودّ أن تحكمونا أنتم لا الساسانيون، ولو كنت اليوم تحت سلطتهم وبلغهم خبر وصول هذه الهدية لي لطلبوها على الفور مني وأخذوها، فما دمتم على عهدكم معنا، لاأحد يستطيع مقاومتكم"[٣].

---

[٣] ـــ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢،ص٥٤٠-٥٤٢.

لكن يبدو أن الفاتحين العرب المسلمين ــ أو قسما منهم على الاقــل ــ لم يكونوا يخوضون غمار معارك هذا الفتح بدافع نشر الدعوة الاســـلامية والبلاغ بل بدافع النظرة الجاهلية القائمة على اساس تفوق العرب على غير العرب، وربما كان الانتقام من الاسلاف له دور مهم في ماقاموا بـــه مـــن الأعمال، وكانت تلك الأعمال تجسد وجود هذه الرؤية السقيمة والحقيقـة المرة.[احتفظ برأيي الخاص حول هذه الفقرة ــ المترجم]

و لم يتجسد هذا الشعور بالتفوق في ميدان الحكم والسلطة، وأشـــكال التمييز والتفرقة بين العرب والعجم، بل كتب المنظرون والمؤلفـــون كتبـا لتكريس هذه الرؤية أو عمقوها في كتبهم وأشعلوا أوارها.

وكان ابن قتيبة الدينوري ــ الاديب والمتخصص الشـــهير في معرفـة الحديث في العهد العباسي ــ من مواليد دينور بكردستان أحد أبرز وجـوه هذه الحركة السلبية التي أدت الى تأليب أبي ريحان البيروني لطرح أجوبـــة شديدة وردود حادة[4].

[4] ــ عاش ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري وذكــر أن ولادتــه كــانت عــام ٢٠٣هــ ووفاته في ٢٧٦هــ ، ورغم أن المؤرخين قالوا إن نسبه يصـــل الـــى قبيلة باهلة العربية، إلا انه هو يصرح انه من العجم، وكـــان ســنوات طويلــة يمارس القضاء في دينور، وهناك العديد من كتبه في الادب العربـــي والحديــث والقرآن ومنها كتاب **كلام العرب** الذي يدافع فيه عن نظرية تفوق العرب علـــى العجم، وخصصه لذلك الهدف، كما أنه ألف كتاب **الأنواء** حول المعارف التـــي يتمتع بها العرب في مجال النجوم والفلك، وإبداء الرأي بشأن دوافع ابن قتيبة من هذه المؤلفات يستلزم دراسة شاملة وبحثا واسعا في تاريخ القرون الاولـــى مـــن

وان الاساليب المتطرفة لحكام ذلك الحين لم تكن تلقى التأييد من خريجي مدرسة الوحي الذين يصفهم علي (ع) " **هم عيش العلم وموت الجهل**"[٥].

وأسفرت تلك الاساليب عن ردود فعل سلبية من قبل الشعوبية، وهي تستلزم بحد ذاتها بحثاً مستقلاً ودراسة مستفيضة.

لكن النقطة التي نشير اليها هنا هي ان معظم الايرانيين المسلمين أدركوا ان ماجاء به لهم الاسلام هو "**القرآن**" لا الحكم العربي، ولذلك فانهم لعبوا الدور الاكبر في ترسيخ أسس الحضارة الاسلامية في ذلك الحين، حيث كان الحكام مضطرين لاستشارتهم والاستفادة من تجاربهم ومعارفهم.

وبدأ تعلّق الايرانيين وميلهم الى التشيّع منذ ذلك الحين وأخذت تتدفق أمواج كبار المحدثين الشيعة المهاجرين الى قم[٦]. واستمرت هذه الهجرة

عصر صدر الاسلام، لكن المسلّم به هو أنه كان متطرفاً في دفاعه، ويبدي ابن عبد ربه في **العقد الفريد** دهشته من اسلوب ابن قتيبة ومن مقولته في تفضيل العرب عبر الاستدلال بكل دليل ممكن، لكن **أبا ريحان البيروني** غضب من حدة اسلوب ابن قتيبة واتهمه بالحقد على الفرس، وذكر ابو ريحان البيروني أشياء اعتبرها من المعلومات الفلكية للعرب في زمن الجاهلية من التي اعتبرها ابن قتيبة في الانواء من علوم العرب، ويعلّق البيروني على ذلك بأنها معلومات عامة يعرفها كل الفلاحين والبدو، ولا يمكن ــ استناداً اليها ــ اعتبار العرب أعلم الشعوب في النجوم والفلك.

[٥] ــ نهج البلاغة، الخطبة٢٣٩.

[٦] ــ حول تاريخ التشيّع في قم، يراجع: تاريخ قم لحسن بن محمد بن حسن **القمي**،

تقوى وتضعف حتى ظهور الصفويين، وتأثرت بهذا الوعي والمعرفة.

وكان **ابو ريحان البيروني** ــ الذي تضمنت مؤلفاته طابعاً معادياً للعرب بشكل سافر بل وأحتوت على علائم من النهج الشعوبي ــ يدافع عن الاسلام بكل كيانه، وفي الواقع أنه كان يدرك ويؤكد على حقيقة هي التفريق والفصل والتمييز بين كنه الاسلام وسلوك اتباع نظرية العروبة.

وذكر البيروني في أوائل (**تحديد نهايات الاماكن**) نقطة ارى من الجدير أن يشار اليها هنا، وهي:

[ان اشخاصاً يعيشون في زماننا هذا، بلغ بهم التعقُّب درجةً صاروا معها ــ وعداءً لارسطو طاليس ــ يكفّرون كل من ينتهي اسمه بحرف السين، لكن ليس من الحق الاعراض عن قول امرئ للحق، بسبب الحنق والغضب على ذلك الشخص، بل حتى وليس من الصحيح الاعراض عن كل ما يقوله شخص معين لانه ضال، فالله تعالى يقول في القرآن: {**الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله**}[٧].

ولنعُد الى موضوعنا* ، وعلى كلّ حال فبعد أن صارت ايران في عداد البلدان الاسلامية، وبغضّ النظر عن أشكال المقاومة والتمرد والثورات

وتاريخ قم للاستاذ علي أصغر فقيهي، ودائرة معارف التشيع، المجلد الخاص بالتشيّع.

[٧] ــ تحديد نهايات الاماكن،ص٧.

* ــ عبّر الكاتب عن وجهة نظره الخاصة هو في الصفحات الأخيرة التي مرت عليك تواً عن موضوع لم أتبيّن ما علاقته بمبحث الكتاب، وانما ترجمته مراعاة للامانة كما هو بغضّ النظر عن اختلافي مع كاتبه واعتقادي ان طرحه الان

المحلية الصغيرة ضدّ الخلفاء الأمويين والعباسيين والتي كان بعضها مذهبياً والاخرى في مواجهة المذهب أديرت ايران طيلة عدة قرون بواسطة حكومات معيّنة من قبل الخلفاء، ثم حكمها حكام محليون وبعد ذلك سيطر عليها المغول والتتر.

لكن قيام الحكم الصفوي على يدالشاه اسماعيل الصفوي كان يمتاز بثلاث خصائص هي المحافظة على السيادة والوحدة الوطنية والاستقلال، ولذلك تعتبر منعطفاً مهماً في تاريخ ايران المسلمة، خاصة وان الحكومة العثمانية كانت ترفع عقيرتها وتتباهى بأنها تمثل الخلافة الاسلامية، راميةً الى توسيع نطاق البلدان الداخلة تحت نفوذها وبسط سلطانها ولذلك كانت تبذل الجهود والمساعي الدائبة والمحاولات المستمرة لفرض سلطتها على ايران، حتى خلال العهود التالية أيضاً[٨].

وبعد انقضاء قرنين من الزمان على الحكم العباسي وسقوط الدولة العباسية على يد هولاكو، ظلّوا يحلمون بتجديد قيام الخلافة، وقد أدى اضطراب الاوضاع الداخلية لايران على يد التيموريين والحروب الطويلة

وفي فترة العصر الذهبي للعلاقات العربية الايرانية غير مناسب ولا ينسجم مع سعي ايران والعرب للتقارب والانسجام وللتفاهم مع باقي الحضارات والاديان والمذاهب (المترجم: رعد جباره).

[٨] ــ وكنموذج لآخر مصاديق ونماذج هذه الاطماع التوسعية يشار الى المحادثات الرسمية للحكومة العثمانية مع الشهيد السيد حسن المدرس إبّان هجرة الشخصيات الوطنية الى اسلامبول راجع: (مدرس قهرمان آزادي) مدرس بطل الحرية،ج١،ص١٤٠-١٤٣.

بين التركمان من قبيلتي آق قويونلو وقره قويونلو، ادى الى تشجيع الأتراك في السعي نحو تحقيق طموحاتهم وأمانيهم.

بيد أن تأسيس الحكومة الصفوية وقيام الدولة الصفوية أدى الى تغيير الامور، حيث إن الشاه الصفوي لم يكن حاكماً فحسب وانما مرشد فرقة من فرق الصوفية الشيعية ايضاً[٩]. وقد بادر الى السيطرة على مقاليد الحكم بعد بيعة قبائل الترك معه، وبالطبع فقد كان ذا نفوذ معنوي و لم يخضع قط لنفوذ الخلافة العثمانية، خاصة وأنه أعلن رسمياً ــ المذهب الشيعي في ايران ــ وكان يحمي الاراضي الايرانية من غارات الحكام والولاة العثمانين في الشمال الغربي والغرب، ومن هجمات الاوزبك في الشرق، ومن تحرشات واعتداءات البرتغاليين في جنوب البلاد.

والاكثر من ذلك، أنه كان يريد تخليص العتبات المقدسة والمراقد المشرّفة لأئمة الشيعة في العراق من سيطرة الحكام العثمانيين وقد تحقّق له ذلك لفترة قصيرة.

وعلى الرغم من التطمينات التي قدّمت لبايزيد الثاني من قبل الشاه اسماعيل بانه لاينوي الاعتداء والتطاول على منطقة حكومته ومجال سيطرته، الا أنه ظل ينظر بعين الشك والعداء الى الشاه الصفوي، وظل يؤلّب امراء قبيلة آق قويونلو الذين بقوا حتى عام ٩١٩ يحاولون الاحتفاظ

---

[٩] ــ تضمنت معظم كتب تاريخ الصفويين تعابير امثال (المرشد الكامل) و (الصوفي الكامل) وغيرها، راجع مثلاً:"زندكاني شاه عباس اول" ترجمة حياة الشاه عباس ج١،ص٢٣٥.

بحكمهم وصون حكومتهم من السقوط، ألبهم بايزيد ضد الشـــاه لكـــي يستعيدوا سيطرتهم على المناطق التي سبق ان انتزعها من سيطرتهم الشـــاه، وامدّهم بايزيد بالسلاح والعدة والمؤن العسكرية.

الا ان بايزيد قرر أخيراً إقامة علاقات ودية مع الحكومة الصفوية، بيـــد أنها لم تلبث ان تبدّلت وعادت الى ما كانت عليه، وتدل الرسائل المتبادلـــة بينهما بان كلاً منهما كان يبعث الرسل والموفدين ويشكو من ممارســـات وتصرفات الطرف المقابل، ويبلغه تذمره من ذلك.

وكان الشاه اسماعيل والصوفيين المحيطون به يسيؤن معاملة السنة، علـــى الرغم من مطالبة بايزيد لهم بتحسين تلك المعاملة، وبالمقابل منـــع بـــايزيد اتباع الشيخ صفي الدين الاردبيلي ــ وكانوا كثيرين في الأناضول ــ مـــن السفر الى ايران لغرض زيارة صفي الدين، وأدت هزيمـــة شـــيبك خـــان الاوزبكي الى فتور العلاقات بين الجانبين، وعلى الرغم من أنها لم تـــؤدّ الى قيام بايزيد بخطوة تذكر.

وأخيراً، إضطر بايزيد الى الاستقالة والتنحي عـــن الحكـــم عـــام ٩١٨ وتنازل عن الحكم لابنه الذي كان حاقداً أيّما حقد على الشاه اسمـــــاعيل الصفوي، مما أدى الى تدهور العلاقات بين الجانبين، أكثر من السابق.

وقد وقعت بعض الحوادث التي أدت بمجملها الى قيام السلطان ســـليم الاول بمهاجمة ايران عام ٩٢٠ منها: لجوء الامير مراد العثماني (أخ السلطان سليم) الى ايران وعدم اعادته من قبل الشاه الصفـــوي، وارســـال الشـــاه اسماعيل اثنين من قادة قزلباش على رأس فرقة عسكرية الى تركيا لغـــرض

تجميع الشيعة (او الصوفيين) في الأناضول والسيطرة على مدينتي قره حصار وملاطية على يديهم مما خلق حالة من البلبلة والاضطــراب في الولايــات الشرقية للدولة العثمانية، بالاضافة الى ارتكاب مجزرة طالت (٤٠) ألفاً مــن الشيعة في الدولة العثمانية استناداً الى فتــوى اصدرهــا شــيخ الاســلام باسطنبول.

وقد أدى الهجوم العثماني على ايران الى وقوع دمار كبير وهزيمة القوات الايرانية، نظراً لتفوّق الجيش العثماني على الجيش الايراني من حيث العــدة والعدد ونوعية الاسلحة وخاصة المدفعية، وحصلت المعركـــة في منطقــة جالداران وانتهت باندحار القوات الايرانية ونتج عنها دمار واسع كمـــا ذكر المؤرخون، وعلى الرغم من المبادرات الايجابية التي تلت ذلك من قبـل الشاه اسماعيل الصفوي الا أن أعمال السلطان ســـليم كرســت توتــير العلاقات.

- وواصل خليفة سليم (سليمان القانوني) نفس الاسلوب العدواني تجـــاه ايران و لم يعاصر سليمان اسماعيل الصفوي سوى (٤) سنوات وطمـــع في احتلال ايران والاستحواذ عليها، وقد أغار على ايران وتغلّب عليها عـــام ٩٤٠ وزحفت قواته حتى وصلت قريباً من سلطانية وتمركزت هناك، بـــل وقام بالسيطرة على مدن العراق وبغداد أيضاً والتي خضعت للحكم الايراني ٢٥سنة، واستمرت الهجمات العثمانية بين مدة وأخرى لكنها لم تــؤد الى تحقيق النصر، حتى وضعت الحروب اوزارها وعقدت معاهدة السلام بـــين الجانبين عـــام ٩٦٢، وتجددت نفس الاتفاقيـــــــــة عام ٩٦٩ وتم

التأكيد عليها.

وبعد ذلك التأريخ، عم الهدوء والاطمئنان النسبي شعبي البلدين، وكما كتب اسكندر بيك التركماني فان تاريخ هذه الاتفاقية يساوي عدد حروف عبارة (**الصُلحُ خَيرٌ**) واستمر السلام سائداً حتى وفاة طهماسب الصفوي خَلَف الشاه اسماعيل الصفوي عام ٩٨٤.

ومنذ ذلك العام وحتى عام ٩٩٩ حيث عقدت معاهدة السلام في اسطنبول في عهد الشاه عباس الصفوي، ونظراً لضعف الملوك الصفويين والصراع بين القادة العسكريين، فقد تغيّر الوضع بحيث إن مدناً كتبريز وقره باغ وقسماً من لرستان وقعت تحت سيطرة العثمانيين.

وأخيراً تمكن الشاه عباس الاول من ادخال اصلاحات كبيرة على اوضاع الجيش والتنظيمات العسكرية كما جهز الجيش الايراني بالمدفعية والاسلحة الحديثة وهزم الاوزبك وحصل على دعم روسيا والنمسا واستطاع عام ١٠١٢ تحرير تبريز بعد مضي ١٨ عاماً على سقوطها واستمرت استعادة الاراضي الايرانية حتى عام ١٠١٦ بل واستعيدت السيطرة على مدينتي كربلاء والنجف أيضاً.

ولم يكن الشاه عباس يروم احتلال اراضي العثمانيين، وكتب رسالة اليهم أعلمهم فيها بنواياه وطلب منهم ترك التراع والخصومات والتوقيع على معاهدة السلام، وماطل العثمانيون في ذلك وتمنّعوا عن قبول السلام بضع سنوات، إلا أنهم اضطروا للاعتراف بقوة ايران العسكرية في ظل الحكم الصفوي، ووقعوا مع ايران ثاني معاهدة للصلح باسطنبول عام

١٠٢٢ لكنها لم تصمد سوى ثلاثة أعوام ونقضها العثمانيون وشنوا الحرب على ايران من جديد حيث انتهت بالتوقيع على معاهدة الصلح مع ايران عام ١٠٢٧ والتي تم فيها التأكيد على معاهدات السلام السابقة.

بيد أن هذه المعاهدة انتقضت من جديد لكن هذه المرة بعمل خاطئ من الشاه عباس، وعلى الرغم من أنه حاول أن يحول دون نشوب الحرب عبر إيفاد ممثل عنه، لكن ذلك لم يفلح في اطفاء نار الانتقام لدى القادة العسكريين العثمانيين وخاصة لدى السلطان مراد الرابع، وشبت نيران الحرب بين الجانبين حيث وضعت الحرب اوزارها بعد الفتح الكامل للعراق على يد الشاه عباس عام ١٠٣٨.

لكن الشاه عباس توفي في ذلك العام وبدأ منحنى الاقتدار السياسي والعسكري الايراني في الهبوط والتراجع، حيث حصلت العديد من المعارك بين القوات الايرانية والعثمانية، فقدت خلالها ايران السيطرة على بغداد والبصرة عام ١٠٤٩ وجرت بين الجانبين اهم المحادثات حول الحدود الفاصلة بين الدولتين وانعقدت معاهدت قصر شيرين، ومنذ تلك المعاهدة وحتى نهاية العهد الصفوي عام ١١٣٠ ساد السلام والهدوء وتمتع الناس بالاستقرار والطمأنينة.

وكانت طبيعة العلاقات بين ايران والدولة العثمانية تحدد كيفية العلاقة بين ايران واوروبا الشمالية وحكومة تركستان الشرقية (الاوزبك) وحكومة الهند، والمستعمرين البرتغاليين في المناطق الجنوبية من البلاد.

ولم تكن الحكومة الهندية مناوئة اساساً لايران بل إن أكبر شاه

كوركاني (غوركاني) كان يرى أن حكمه مدينٌ للحكام الصفويين، وكان يتوسط لحل الخلافات الناشبة بين ايران وباقي الحكومات.

كما أن الاوزبك لم يكونوا يملكون نظير ما للعثمانيين من القوة، ولذلك فقد هزموا منذ بداية سلطنة الشاه اسماعيل، الا أنهم ما ان يروا بوادر الضعف تظهر على الحكومة المركزية في ايران حتى يشنوا حملة أو تحرشاً ضد ايران بتأليب من الحكومة العثمانية ويقوموا ببعض القلاقل وأعمال الشغب.

أما العلاقات الايرانية الاوروبية فقصتها طويلة أيضاً فالحكومة العثمانية كانت ترفع عقيرتها، وتدعي حملها لواء الفتوحات الاسلامية، وتتقدم لتفتح الدول الاوروبية في قلب القارة الاوروبية، وكانت القوتان البحرية والبرية العثمانية المقتدرتان تتيحان للعثمانيين التوسع في اوروبا وفتح دولها الواحدة تلو الأخرى، ولهذا فان الاوروبيين كانوا يفرحون لنشوب الحروب بين ايران والدولة العثمانية وفي الوقت نفسه يتقدمون لاقامة العلاقات الودية مع ايران.

وكانت الحكومة الصفوية ترغب من جهتها بتعزيز العلاقات مع الدول الاوروبية وتحاول الاستفادة من أسلحتها وخبراتها في تقوية وتدريب القوات الايرانية، وفتحت هذه الرغبة فصلاً جديداً من العلاقات السياسية بين ايران وأوروبا وهذا ما يمكن أن يطرح ويبحث في فرصة اخرى وعلى

يد أشخاص آخرين[10]. لكن ينبغي القول هنا إن هذه العلاقات لم تقتصر على تبادل الوفود السياسية والسفراء، بل فتح المبشرون المسيحيون والتجار والسوّاح الاوروبيون طريقهم الى ايران.

على سبيل المثال: نذكر الوفد الثلاثي الذي بعثه فيليب الثالث إوّمبراطور اسبانيا الى ايران عام ١٠١٠ برئاسة انطونيو ديغووها، والتقى الوفد الشاه عباس في مشهد في ربيع الاول من عام ١٠١١. وكانت لديهم العديد من الاهداف اولها تعزيز المصالح التجارية والاقتصادية للبرتغاليين في الخليج الفارسي، وثانيها الحصول على اذنٍ لتبليغ ونشر الدين المسيحي في ايران.

وقد أحسن الشاه عباس معاملتهم وأكرمهم وحملهم معه في سفره الى كاشان واصفهان، ثم سمح لهم باقامة كنيسة للمسيحيين في اصفهان، بل إنه تعهد بدفع تكاليف القاشاني والزينة اللازمة لبناء الكنيسة[11].

وبعث فيليب الثالث نفسه مندوباً آخر عنه الى ايران هو دونغارسيا، عام ١٠٢٦، وبعد اكثر من عامين التقى المندوب الاسباني الشاه عباس في

---

[10] ــ من جملة الكتب المفيدة مراجعتها في هذا المجال (تاريخ روابط خارجي ايران) تاريخ العلاقات الخارجية الايرانية من تأليف عبد الرضا هوشنك مهدوي، ص١-١٤٢، و(ايران در عصر صفوي) تأليف روجرسيفوري، الفصل الخامس (ص١٠٤-١٢٧) و (تشكيل شاهنشاهي صفوية) تأليف نظام الدين مجير شيباني ، ص٢١٩-٢٤٠.

[11] ــ راجع: حسين المحبوبي الاردكاني (تاريخ مؤسسات تمدني جديد در عصر صفوي) تاريخ المؤسسات المدنية الجديدة في العصر الصفوي ج١،ص٢٣، ونصر الله الفلسفي (زندكاني شاه عباس أول) ج٣ص٩٣٥

اصفهان وتباحث معه حول جزيرة البحرين ـــ التي أخضعها الشاه لسلطته ـــ وطلب كذلك حماية المسيحيين الموجودين في ايران من أي بلد كـــانوا، وأكد الشاه من جديد على أمن وحماية المسيحيين في البلاد.

كما كان هناك مبشران مسيحيان آخـــران همـــا روفـــائيل دومـــانس وسانسون، يعملان في ايران لسنوات طويلة، وظلا يترددان على البـــلاط الايراني والّفا ـــ إعتماداً على ما كانا يتمتعان به من معلومات وما يجيدانـــه من اللغات ـــ كتباً حول ايران[١٢].

---

[١٢] ـــ حول هؤلاء الاشخاص، ودوافعهم للسفر الى ايـــران، ومعاملـــة الملـــوك الصفويين معهم يمكن مراجعة: نصر الله الفلسفي (زندكاني شاه عباس أول) ج٣، ص٩٣١-٩٧٣، وحسين المحبوبي الاردكاني (تاريخ مؤسسات مدني جديـــد در ايران) ج١، ص١٢-٤٠.

- الصفويون وحاكمية المذهب الشيعي

مر القول إن الصفويين اقاموا حكمهم وواصلوه معتمدين على العديد من السمات والخصائص، من جملتها التمسك بالتشيّع. والصفة الاساسية التي ميزت حكم الملوك الصفويين عن الخلفاء العثمانيين هي أن العثمانيين كانوا يعتبرون أنفسهم ــ وخاصة بعد فتح مصر واحتلالها عام ٩٢٣ واستسلام الشريف حسين شريف مكة في العام نفسه ــ خلفاء على المسلمين كلهم[١٣] ويسعون جاهدين للسيطرة على بقية البلدان الاسلامية واحتلالها وفتح المزيد من الدول[١٤]. إلا أن الصفويين لم يكونوا يفكرون سوى بايران[١٥].

---

[١٣] ــ على سبيل المثال، راجع: عبد الحسين نوايي (شاه اسماعيل صفوي) ص١٥٧، ورسالة السلطان سليم الى الشاه اسماعيل الصفوي حيث وصف الاول نفسه بالقول: (**خليفة الله تعالى في الدنيا بالطول والعرض**).

[١٤] ــ على سبيل المثال ، بعد توجّه السلطان سليم الاول الى الحرب مع ايران لمحاربة الشاه اسماعيل الصفوي، بعث رسالة الى محمد بيك آقا قويونلو قال فيها: (ان العزم الهمايوني السلطاني قد استقرّ على اصلاح حال البلدان الاسلامية وخاصة ايران وعلى السعي لفتح تلك الاقطار وتخليصها من تطاول الملحدين ومن أيديهم... ولذلك عقدنا العزم وصممنا على التوجه الى تلك الامصار) (نوايي ،ص١٥٢).

[١٥] ــ يمكن التأمل والتريث في هذا القول.ففي بعض التصريحات التي أطلقها الملوك الصفويون وكتبوها في بعض رسائلهم، عبّروا عن رغبتهم في فتح

وكان الصفويون يرغبون في نشر التشيع اكثر فأكثر في ايران، هذا البلد الذي عرف التشيع منذ القدم، وكثير من أهالي مدنه كانوا من الشيعة، وكانوا مصممين على إبعاده عن سيطرة وتأثيرات السلاطين العثمانيين وأطماعهم، ولذلك فقد سيطروا على مدن بغداد والنجف وكربلاء بهذا الدافع، كما أن مهاجمة الأناضول والتحرش بالولاة العثمانيين في عهد الشاه اسماعيل الصفوي، كان الهدف منها تمكين الشيعة والصوفيين من الهجرة من مناطقهم تلك الى ايران[١٦].

وتشير كتابات مؤيدي الصفويين ومخالفيهم أن مؤسس الحكومة الصفوية وخَلَفَه طهماسب، كانا يواجهان بعض صور المقاومة الداخلية، في طريق تحقيقهما لأهدافهما فقد هاجر بعض الايرانيين ــ ومنهم علماء معروفون ــ من ايران وتوجهوا الى الدولة العثمانية أو الهند، كما حصلت صور من التمرد والمعارضة التي مالبثت ان تلاشت واستقر الأمر لحاكمية المذهب الشيعي.

البلدان، لكنني اتصور انهم لم يستطيعوا ادعاء تقلّدهم الخلافة لان ذلك الادعاء يتنافى مع تعليمهم وتربيتهم الشيعية.

[١٦] ــ وجّه الشاه اسماعيل الصفوي اثنين من قادة قزلباش هما نور علي خليفة روملو وخان محمد استاجلو، على رأس جيش الى اراضي الدولة العثمانية من أجل جمع الشيعة وصوفيي الأناضول، وقد تمكن المذكوران من السيطرة على مدينتي قره حصار وملاطية وألقيا الخطب باسم شاه ايران.

ودراسة الرسائل المتبادلة بين الملوك الصفويين والحكام العثمانيين والاوزبك والتيموريين وكذلك الرسائل المتبادلة بين العثمانيين والأوزبك

تشير وتدلل لنا كم كان الصفويون يهتمون ويدافعون عن الشيعة والتشيع.

لقد كتب الشاه اسماعيل رسالة الى أحد ولاة خراسان ـــ وربما يكون سلطان حسين بايقرا ـــ ضمّنها رأي الامامية بشأن خلافة النبي (ص) واصفاً الأئمة بأنهم ورثة رسول الله.

ثم اعتبر نفسه " **النبتة الطيبة في روضة النبوّة والامامة**" وثمرة هذه الروضة، وادعى أن (**دولته وحكومته تستنير بالنور الساطع والخالد لآل الرسول آل السيادة والسعادة**) بل والأنكى من ذلك أنه اعتبر نفسه المقصود بقوله تبارك وتعالى {**واذكر في الكتاب اسماعيل**} بل وبلغ به الامر أنه كتب مرة:

[يعلم الله أن الهدف الاصلي والغرض الكلي لممارسة الامور الدنيوية الفانية وتمشية الاحكام الظاهرية ليس سوى اشاعة احكام الشيعة الطاهرة، واذاعة آثار الفرقة الناجية التي كانت آثارها واسرارها من الاصول والفروع متوارية في حجب الظلام ومطاوي النسيان، والا فان الهمة العليا الصفوية والارومة السامية المصطفوية الغراء تأبى وتنفر ـــ حسب مقتضى الوراثة والجِبِلّة ـــ

من ممارسة وتعاطي امور الدنيا الدنيّة، وسلطنة هذه الدار الفانية لاقيمة لها، وهي أرفع وأعلى من أن تنشغل بالزخارف الخسيسة والحطام الرديئة الخبيثة].

ثم يطلب منه في زمن نفس الرسالة انه اذا كانت لديه أدنى شائبة من الريب والشك بأن يختار أوثق العلماء وارفع الفضلاء مترلة من المحققين والباحثين ويبعثهم عنده ليتم اثبات هذا الادعاء لهم بشتى الادلة العقلية والمروية حول أحقية وصحة نظرية الامامية[17].

وقصة وقوع إحدى نساء بلاط الشاه اسماعيل (واسمها بهروزه خانم) في أسر العثمانيين خلال معركة جالدران، هي الاخرى تعتبر نموذجاً ومصداقاً على الالتزام الجدي للشاه اسماعيل الصفوي بالتعاليم الشيعية.

وبموجب ماكتبه المؤرخون فان الشاه اسماعيل كان يحب هذه المرأة حباً جماً، ولما سمع بخبر وقوعها في الأسر امتعض وأصابه الوجد والحزن، وقام ــ خلافاً لرغبته القلبية ــ بايفاد ثلة من مبعوثيه حاملين معهم عدداً كبيراً من الهدايا والتحف الكثيرة الى السلطان سليم الأول، طالباً منه اطلاق سراح زوجته.

بيد أن السلطان العثماني ربط الموافقة على هذا الطلب بتوقف الشاه اسماعيل عن تبليغ وترويج المذهب الشيعي ومايتعلق به، إلا أن الشاه رفض ذلك، فما كان من السلطان العثماني ــ وفي محاولة لتحقير الشاه واهانته

---

[17] ــ عبد الحسين نوايي (الشاه اسماعيل الصفوي) ص٤٣-٥٤.

ـ إلا أن عقدها لشخص عثماني وقال اكتبوا الى (صوفي أوغلي) أي شاه ايران أنه (**عقدت امرأتك بفتوى العلماء الى زوج جديد**)[18].

ونقل نصر الله الفلسفي عن جلال الدين منجم اليزدي ـ وكان منجّم الشاه عباس الصفوي ونديمه الخاص ـ بمناسبة ذكره للحروب بين ايران والدولة العثمانية: وقعت يوم الأحد ٢٣ جمادى الآخرة (عام ١٠١٤) الحرب بين قزلباش والروم، وقد توكّل نواب كلب عتبة علي، على حضرة خير الناصرين، ثم قال:

[اللهم أن جيشي يقاتل اليوم جيش الروم، جيش الشر والفساد والفتنة، فاذا رأيتَ أن الروم اصلح لحال العجزة والمساكين وافضل لرواج مذهب الحق مذهب خير المرسلين فأنزل النصر عليهم واجعل التوفيق لهم، واذا رأيتني للامر المذكور أهلاً فمنَّ عليّ بالنصر المؤزر والفلاح][19].

ومن جهة أخرى، كانت هذه القضية تشكّل القاسم المشترك بين العثمانيين والاوزبك وحتى حكومة كوركاني (غوركاني) الهند، وكل واحد منهم كان يؤلّب الآخر على محاربة ايران بهذه الذريعة.

---

[18] ـ مجير الشيباني (تشكيل شاهنشاهي صفوية) ص٢٠٥ الى ٢٠٨ ـ وهوشنك مهدوي (تاريخ روابط خارجي ايران) ص٢١-٢٢.

[19] ـ نصر الله الفلسفي (زندكاني شاه عباس اول) ج٣، ص٨٤٤.

فقد كتب السلطان سليم رسالة الى عبيد خان الاوزبك هجا فيها الشاه اسماعيل وذمّه بالقول (**انه ابن صوفي لئيم**) وأن المحيطين به وأتباعه (**الطائفة الضالة**) و (**الفرقة الضالة**) وطلب من عبيد أن يعاضده للقضاء على الحكومة الصفوية قضاء مبرماً والاجهاز عليها وقال " إن كل من يؤمن بالله فعليه أن يتخذ البغض في الله دأبه لأنه امر مهم وغاية سامية" وعلى هذا الاساس فان "الوجه الاوفى والطريق الاولى هو التشمير عن ساعد الجد والمثابرة وعقد العزم" من أجل " توجيه سهام التدبير الصائبة وسيكتب لها القدر السداد والصواب والقيام بقلع جذور الفساد واستئصال شأفته"[٢٠].

وكان عبيد الله بحاجة الى الدعم والمساعدة العثمانية من أجل حفظ حكومته وصون سلطته في شرق ايران، وكما أنه كان يحمل الحقد والضغينة على الشاه اسماعيل الصفوي نظراً لدحره أخاه شيبك خان، وقتله اياه، فبادر من فوره الى الموافقة على هذه الدعوة العثمانية، وكتب رسالة جوابية الى السلطان العثماني وصف فيها الصفويين وجيشهم بأوصاف مقذعة وصفات سيئة منها (**الطغاة البغاة**) و (**الزنادقة الاوباش**) و (**الملاحدة القزلباش**) و(**الرَفَضة المنحرفون**)[٢١].

وكتب السلطان سليم في شهر صفر ٩١٩رسالة الى محمد بيك آق قويونلو الذي لم يبق من سلطته آنذاك رمق يذكر، وحرّضه على استرداد

---

[٢٠] ــ عبد الحسين نوايي (شاه اسماعيل صفوي) ص ١١٥ ــ ١٢٢.

[٢١] ــ (شاه اسماعيل صفوي) ص١٢٨ ــ ١٢٩.

أراضيه من سيطرة الصفويين وألّبه ضدهم بالقول " **إن الصفويين ملحدون زنادقة لادين لهم**" وان اسماعيل "**شاه الزنادقة الكفّار الضالّ**"[٢٢].

ووردت امثال هذه التعابير في الرسائل الأخرى بكثرة[٢٣]. ومن أجل أن يتمكن السلطان سليم العثماني من تحقيق غايته التي هي (اصلاح حال البلدان الاسلامية وخاصة ايران والسعي لفتح تلك الأقطار وتخليصها من تطاول الملحدين الزنادقة)[٢٤]. فانه استصدر الفتاوى من علماء البلاط وكتب رسالة الى الشاه الصفوي (الذي جعل الملة الحنيفية المحمدية تابعة لرأيه الضال المبتدع وهدّ اساس الدين المتين وأجهز على أركانه)[٢٥]. قائلاً (ان أئمة الدين والعلماء المهتدين رضوان الله عليهم أجمعين قد افتوا باجمعهم بكفرك وارتدادك أنت واتباعك، مما يوجب قتلك وسبي من يلوذ بك على رؤوس الأشهاد، وعلى هذا اتفاق الكلام والاقلام بأسرها)[٢٦].

---

[٢٢] ـ (شاه اسماعيل صفوي) ص ١٥٢.

[٢٣] ـ يراجع: عبد الحسين نوايي (شاه اسماعيل صفوي)ص١٥٨، وفي ١٧٧ ورد قوله (**رئيس الملاعين، وقائد جند الشياطين اسماعيل عديم الدين...**) وفي ص١٨٥ وفي ص٢١٣ (رسالة سليم الى ابنه سليمان بعد فتح جالدران، باللغة التركية) ص٢٢١.

[٢٤] ـ شاه اسماعيل صفوي، ص١٥٢.

[٢٥] ـ شاه اسماعيل صفوي، ص١٥٨ (في الرسالة الثانية التي بعثها السلطان سليم الى الشاه اسماعيل، بعد قليل من معركة جالدران).

[٢٦] ـ شاه اسماعيل صفوي، ص١٤٥ (في رسالة السلطان سليم الى الشاه اسماعيل).

وفي رسالة بعثها عبيد خان الاوزبك الى اكبر شاه كوركاني تزامناً مع جلوس الشاه عباس الصفوي على العرش الملكي في ايران عام (٩٩٦) وكان يطمع في السيطرة على المناطق الشرقية من ايران، وتطرق ـــ مرة أخرى ـــ الى كون الصفويين شيعة، يقول عبيد للشاه كوركاني (غوركاني) إن اشتراكنا في المذهب يقتضي منا أن نجهز على دولة الشيعة ونقضي عليها قضاءً مبرماً، ونفتح الطريق للذهاب الى مكة والمدينة.

وبالطبع فان ملك الهند امتنع عن الانجرار الى هذا المنزلق والتورط في هذه الورطة، بما عُرف عنه من حكمة وبعد نظر والتزام بالحق وصداقة قديمة مع ايران، وأجاب سلطان الاوزبك بالقول إن الصفويين ليسوا ملحدين وزنادقة وان شعب توران يمكنه الذهاب الى مكة والمدينة عن طريق كجرات (و كانت كجرات قد دخلت للتو ضمن أراضي الامبراطورية الهندية آنذاك)[٢٧].

وحول دوافع الصفويين من تمسكهم بالتشيع مازال المؤرخون والباحثون لم يصلوا الى اتفاق في وجهات النظر، لكن بشأن التزامهم الجدي بالتشيع واحكامه وظواهره وبأحكام الشريعة، في الظاهر على الأقل، فهناك اتفاق اجمالي[٢٨].

---

[٢٧] ـــ عبد الرضا هوشنك (تاريخ روابط خارجي ايران)، ص٥٢.

[٢٨] ـــ على سبيل لمثال، ذكر (جهان كشاي خاقان): في السنة التي فتح فيها الشاه اسماعيل هرات عندما انتهى شهر رمضان ورؤي هلال شوال الخير ذي الطالع الحسن وبدئ بتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل اهتمام وحرص،

وحتى السوّاح الاوروبيين وممثلي الدول الاوروبية الذين كانوا يـأتون الى ايران في عهد الشاه عباس الصفوي ــ اقوى الملوك الصفويين ــ ويجالسون الشاه ويعرفونه لسنوات طويلة، يشيرون الى هذه الخصيصة ويؤكدون هـذه السمة، ويعترفون بهذه الحقيقــــــــــة وهي أن شاه ايران لايمكن أبــداً أن يقبل

باعتناق الدين المسيحي[٢٩].

بحيث إن بعض الاعيان والاثرياء شربوا الخمر، فعلّقوا بالحبال وعرّضوا لسـيف العدالة".

[٢٩] ــ نصر الله فلسفي (زندكاني شاه عباس أول) ج٣،ص٨٤٣-٨٤٤ (نقلاً عــن كتاب اسفار بي يترو دلاواله): كان الشاه عباس مسلماً حقيقياً ومؤمناً سواء مـــن حيث تصرفاته الشخصية او قراراته الحكومية، ولا يمكن ان يصبح مســيحياً الا لوحصلت معجزة... وليت ملوكنا تتعلم منه كيفية تقوية عقيدة وايمان المسيحيين وليتهم كانوا يملكون مثل مالديه من الالتزام الديني الشديد (حــول هــذا الســائح الايطالي وكتاب اسفاره يراجع كتاب " تاريخ مؤسسات تمدني جديد در ايــران " ص٢٧و٢٨) نصر الله فلسفي خصّص فصلاً في كتابه "زندكاني شاه عباس اول" ج٣ص٨٣٩-٨٤٣ عنوانه "عقائده الدينية" ذكر فيه أمثلة وصوراً مـــن التزامــه الديني وتقيده بالشعائر والاحكام الدينية.

بالاضافة الى ذلك فانه أفرد فصلاً آخر سمّاه (الشــاه عبــاس والنــهي عــن المنكر) (ص٩١٩-٩٣٠) ذكر فيه أمثلة ومصاديق من مواجهته للمنكرات وأكـد أن الشاه عباس " لم يكن يسمح للناس وخاصةً لخاصته وافراد بلاطـــه وقادتــه ووزرائه ورؤساء الجيش ــ قزلباش ــ أن يقترفوا اعمـــال المجــون والتحلــل الخلقي والتصرفات الشائنة والدنيئة...".

– الآثار الدينية والاجتماعية لاعلان حاكمية التشيع في ايران:

كان لقيام الحكومة الصفوية تحت شعار التشيع واستمرارها لأكثر من قرنين من الزمان آثار ونتائج عديدة، ففضلاً عما أسفر عنه من نتائج ايجابية وسلبية سياسية، نتجت عنه تطورات وتحولات دينية واجتماعية، هي:

١ــ ابتهاج الشيعة وفرحهم بقيام جو سياسي جديد وحصولهم على حريات أكثر للعمل وفقاً لتعاليم وأحكام مذهبهم. فهؤلاء الناس الذين ليس لديهم أدنى شك في أحقية مذهبهم التي برهنت عليها أبحاث علمائهم ومحققيهم، من ناحية، ومن ناحية أخرى غالباً ما كانوا يتعرضون للضغوط والمضايقات من أغلب الحكام والولاة وعلماء البلاط. هؤلاء يسرّهم ظهور هذا الجو الجديد من الحرية واتاحة المجال لهم أمر مبارك وطيب ولا شك.

وبالطبع يمكن أن تصدر من هؤلاء الناس تصرفات مستعجلة وطائشة، فاخفاء العقائد وكتم الآراء وأداء الشعائر الدينية وتطبيق الاحكام الفقهية بشكل خفي طيلة سنوات عديدة في العديد من المدن الايرانية أدى الى تكدر خاطر الشيعة، وعندما أعلن الملوك الصفويون ــ بإسناد من انصارهم القزلباش ــ حرية المذهب الشيعي غمر الشيعة الامتنان لهؤلاء الملوك واعتبروا أنفسهم مدينين لهم.

لقد أخذوا ينظرون الى الشاه الصفوي وكأنه هدية من الله، ظهرت بعد عدة قرون من الكبت والظلم وأنه تحدّر من العائلة النبوية وأعدت الارضية للحكومة المهدوية ــ حكومة الامام الغائب المنتظر ــ ولذلك فان ادعاء

الصفويين بأهم سادة أشراف من نسل النبي وآله كـــان يحظـــى بـــالقبول والتصديق لدى عامة الناس، منذ اوائل بدء عهد حكومتهم[٣٠]. وحتى بعض علماء الشيعة كانوا يشيعون نظير هذه الأمور ويروجون لها، واساساً لم يكن هناك أي شك أو ريب في الامر، اذ لم يكد يصدق أحد أن من الممكــن أن يتحقق مثل هذا الفرج المدهش على يد رجل الا ان يكـــون مـــن ذريـــة النبي[٣١].

والأهم من ذلك، أن مثل تلك الحكومة التي تسيطر على مثل هذا البلـــد المترامي الأطراف وهي ترفع لواء التشيع: اعتُبرت ممهدة وطليعة لظـــــهور الامام الغائب الحجة بن الحسن، وتبلور هذا الاعتقاد عن وعي أو لا وعـــي بان الحكم الصفوي مستمر حتى قيام الامام المنتظر الغائب، ونهضته العالمية، وأن الصفويين سيسلمون مقاليد الحكم الى حكومة ذلك الامام.

وفي كتاب (عالم آراي صفوي) المجهول المؤلّف، يذكر أن خروج الشاه

---

[٣٠] ــ وفي جواب اكبرشاه كوركاني على رسالة عبيد خان الاوزبكـــي وصـــف الصفويين بأنهم من ذرية النبي (هوشـــنك مـــهدوي ،ص٥٢) ومعظـــم الكتـــب التأريخية التي كتبت آنذاك كــ(عالم آراي صفوي، وعالم آراي عباسي، وسلسلة النسب صفوية ...) ارجعت نسب هذه العائلة الى الامام الكاظم عليه السلام.

[٣١] ــ كُتبت بشأن نسب الصفويين في العهود الأخيرة بحوث كثيرة، منها ما كتبـه روجر سيفوري (دين ومذهب در عصر صفوي) ص٣٧-٣٩، وفي (لغت نامـــه دهخدا) قاموس دهخدا آخر مادة "صفويان" تطرق المؤلّف الى نسب الصفوييـــن أيضاً.

اسماعيل من كيلان الى تبريز كان بتشجيع من "صاحب الأمر"[٣٢].

وحتى في بداية الكتاب، عندما يتحدث المؤلف عن أجداده الصفويين، ينقل المؤلف المجهول نبوءة الشيخ الزاهد الكيلاني (مرشد صفي الدين الاردبيلي ووالد زوجته) حول ذرية صفي الدين من زوجته (فاطمة) فيقول:

[إن اولاد هذا السيد سيحكمون العالم وسيرتقون المراتب السامية والمنازل العالية حتى زمان قائم آل محمد "ص" حضرة المهدي الهادي عليه السلام][٣٣]

وكتب الشاه طهماسب الصفوي في مرسوم تعيين المحقق الكركي كشيخ للاسلام، يعدّد خطواته وأعماله التي قام بها للتوطئة والتمهيد لظهور امام العصر فقال:

[إن إحياء مراسم شرع سيد المرسلين وشعائره واظهار الطريقة الحقة للائمة المعصومين صلوات الله عليهم، والتي تزيح ظلام وغبار آثار بدع المخالفين وتشق غيهب هذا الليل كالصبح الصادق، من جملة مقدمات ظهور شمس العدالة

---

٣٢ ـ تاريخ عالم آراى صفوي،ص٤٦و٤٧و ٤٩.

٣٣ ـ تاريخ عالم آراي صفوي، ص١٥.

وترويج الدين على يد صـــاحب الأمـــر عليـــه السلام][34].

ان رقعة هذا الاعتقاد العامة اتسعت وخاصة في ضوء التطـــورات الـــتي حصلت والاحداث التي وقعت، وشمل الاعتقاد المذكور شـــريحة العلمـــاء أيضاً، وعلى الرغم من عدم اعتقادهم بامتلاك الحكم الصفـــوي الصفـــة الشرعية والانطباق على المواصفات الفقهية اللازمة، لكن عملهم الصـــالح، ومبادرتهم الحسنة تركت آثاراً طيبة لدرجة جعلت العلماء يطبقون علـــى الصفويين مضامين بعض الأحاديث والروايات، ولابأس هنا من الاستشهاد بما كتبه صاحب موضوع هذا الكتاب وهو محمد باقر المجلسي.

فقد أورد في بحار الانوار رواية عن كتاب الغيبة لابن أبي زينب النعماني، وهذا الحديث رواه أبو خالد الكابلي عن الامام الباقر عليه السلام يقول فيه ما معناه أن قوماً سيظهرون يطالبون بالحق فلا يعطونه ويطالبون به مـــراراً ويفشلون في أخذه لكنهم يحملون السلاح ويأخذونه ثم يدفعون هذا الحـــق الى الامام صاحب الزمان محمد بن الحسن، وبعد أن يروي المجلسي هـــذا الحديث يقدم ايضاحاً منه هو يقول فيه (بالمعنى):

[لا يستبعد ان يكون في ذلك اشارة الى الحكـــم الصفوي وطّد الله أركانه وقوى دعائمه، ووصلـــه بعهد المهدي][35]

---

[34] ــ رياض العلماء، ج٣، ص٤٤٥ــ ٤٦٠، والمحدّث النوري في (مســـتدرك الوسائل) ج٣،ص٤٣٢ ــ ٤٣٤.

هذا في الوقت الذي يعتبر المجلسي فيه الشاه اسماعيل الصفوي مصداقـــاً للقائم، الذي هو في حديث آخر من ذرية رسول الله، ويقوم ويظـــهر في جيلان قبل ظهور الحجة المهدي "ع"[٣٦] المجلسي في هذا المقام ملفت للنظـــر ويدل على النظرة الايجابية والانطباع ونموذج الجيّد آنذاك عن الصفويـــين. فقد كان المجلسي يعيش في العقود الأخيرة لنهاية الحكم الصفوي الذي امتدّ ٢٣٠ عاماً وفي تلك الفترة الزمنية نلاحظ انه لا الالتزام الديني الذي كـــان يميز الحكام الصفويين الاوائل كان موجوداً عند المعاصرين للمجلســـي، ولا الاقتدار الذي كان يمتاز به الشاه عباس الاول كان يميّز هـــؤلاء في ذلـــك الحين اتضح للكثيرين مدى التغيير الحاصل في سلوك وممارســـات الملـــوك ورواد البلاط، سواء من حيث آداب التدين أو من حيث أسلوب الحكـــم والادارة.

وطبيعي ان المجلسي هو الآخر كان على اطلاع دقيق بما يحصل حولـــه وعلى مستوى البلاط والملوك، ومع ذلك سنرى ـــ فيما بعد ـــ كيف انـــه قبل على مضض منصب (**شيخ الاسلام**) على أمل ان يؤدي ذلك الى حمـل

---

[٣٥] ـــ البحار، ج٥٢، ص٢٤٣.

[٣٦] ـــ البحار، ج٥٢، ص٢٣٦، نص الرواية هو: (**وقـــام منّـــا قـــائم بجيـــلان**) ويوضح المجلسي (**والقائم بجيلان هو السلطان اسماعيل نوّر الله مضجعه**) وبعد ان امضى اسماعيل ميرزا مدة من الزمن مختفياً في جيلان توجه عام ٩٠٥ مـــع ثلة من أنصاره الى اردبيل وكان عمره ١٣عاماً، ثم بادر الى تأسيس حكومتـــه المستقلة بعد فترة قصيرة.

السلطان على الالتزام باحكام الشريعة، لكنه هو الآخر يقص كيف قُتل بعض الأمراء على يد الشاه عباس[٣٧].

وفي الوقت نفسه، كانت خطوة الصفويين باعلان المذهب الشيعي مذهباً رسمياً ــ وهي خطوة سياسية ــ تبدو مهمة في نظر الناس وفي رأي العلماء بحيث غطت على جميع مساوئهم، واقول بدقة: انهم لم يشكّوا للحظة في صحة الحركة الصفوية ونزاهتها[٣٨].

وبمناسبة تسنم الشاه سلطان حسين الصفوي عرش الملكية، كتب محمد باقر المجلسي خطبة القيت في مراسم اعتلاء المذكور العرش.[٣٩]

وتدل هذه الخطبة على حسن ظن الناس بالصفويين ويشير فيها المجلسي الى ضرورة النبوّة وبعدها الامامة ويتطرق الى النظرية الكلامية المشهورة لدى الشيعة وهي ان الارض لاتخلو من الانبياء وبعدهم الائمة، أبداً.

ثم يتطرق الى عهد غيبة الامام الثاني عشر "ع" ويدّعي ان (الله بفضل لطفه يجعل الحكم في قبضة كفوءة ويقرنه بدراية وحكمة سلاطين العدالة، ليعيش عامة الرعايا وكافة البرايا في ظلهم الظليل ويرفلوا في كنف الامن و الاستقرار والسعادة).

وحسب اعتقاده فان الصفويين مصداق لفحوى صدق القول المروي:

---

[٣٧] ــ البحار، ج٥٢، ص٢٣٧.

[٣٨] ــ على سبيل المثال، راجع امثال هذه التطبيقات للاحاديث على الصفويين في كتاب (الذريعة) ج١٥، ص٤-٥.

[٣٩] ــ توجد نسخة من الخطبة في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي، رقم١، محفوظة ضمن المجموعة رقم ٢٧٢١.

"اذا اراد الله برعية خيراً جعل لها سلطاناً رحيماً"[٤٠].

وبالطبع فان الملوك الصفويين لم يحصلوا على الشرعية التي حصل عليها السلاطين العثمانيون، وخاصة ان علماء الشيعة لم يعتبروا الصفويين ورثة النبي وخلفاءه ولا خلفاء الائمة، بل انهم مجرد ملوك شيعة من ذرية الرسول، و لم يطمعوا من اولئك الملوك ـــ فضلاً عن صيانة وحفظ البلاد في مقابل الاعداء وفي مواجهة العثمانيين قبل غيرهم ـــ رفع العقبات وازالة الموانع من طريق تطبيق الاحكام الدينية، والالتزام بالآداب الدينية، امام الناس وبحضور العامة على الأقل، ونشر الرفاهية ومراعاة العدالة.

هذا على الرغم من ان **القزلباش** انصار الصفويين وعساكرهم ـــ الذين قل نفوذهم فيما بعد ـــ وكذلك اعضاء البلاط الصفوي الذين كانوا يسعون وراء تحقيق منافعهم ومصالحهم و البقاء احراراً من الالتزام بالآداب الدينية، كانوا يرغبون في رفع مترلة ومكانة الملك الصفوي الى رتبة (المشرّع) وصاحب الدين، لكنهم لم يستطيعوا بلوغ هذه الغاية مطلقاً.

٢ـــ ان عدم معرفة الناس ـــ المتشيعّين حديثاً ـــ بتعاليم وأحكام مذهب الشيعة، وكذلك كون معظم الناس لا يستطيعون الاتصال والتواصل مع العلماء والمنابع الفقهية والكلامية، جعل الحاجة ماسّة الى حضور واسهام العلماء وخرّيجي الحوزات العلمية في أنحاء ايران كلها، لكي يقوموا بتربية الطلبة وارسال المرشدين بعد اعدادهم الى مختلف الانحاء ليتولّوا سدّ هذا النقص. وكانت هذه المهمة تقع على عاتق الحكومة

---

[٤٠] ـــ سنبحث هذه الخطبة من زاوية اخرى ايضاً، فيما بعد.

الصفوية ـــ قبل غيرها ـــ إذ إنها باعلانها حاكمية المذهب الشيعي ألزمت نفسها بايجاد الأجواء المذكورة.

وفي ذلك الحين، وبالرغم من وجود حوزة علمية في بعض مدن ايران مثل قم، فان أرقى وأقوى الحلقات العلمية كانت تنعقد في الحوزة العلمية المزدهرة في جبل عامل وما جاورها.

لقد ازدهرت حوزة جبل عامل على يد محمد بن مكي خريج حوزة الحلة بالعراق، وقام تلاميذه بتدريس الطلبة وتربية المعلمين في النواحي والقرى وتزايد عدد المجتهدين في تلك الانحاء[٤١].

لكن شهادة هذا الفقيه السعيد في جمادى الاولى عام ٧٨٦ في عهد برقوق السلطان المملوكي في دمشق[٤٢]، فشرب كأس الشهادة[٤٣]. بينما كان

---

[٤١] ـــ جاء في مقال محمد بن حسن الحر العاملي في أمل الآمل حول مراسم تشييع بنت الشهيد الاول وهي امرأة عالمة كانت تسمى بسيدة المشايخ (ست المشايخ) مايلقي بعض الضوء على الظروف العلمية للشيعة في جبل عامل فيقول الحر العاملي انه لما توفيت ست المشايخ في جزين (موطن الشهيد الاول) شيعها الى قبرها ٧٠ مجتهداً من ابناء منطقة جبل عامل.

[٤٢] ـــ سجن محمد بن مكي بتهمة الانحراف الديني (وفي الحقيقة بسبب تمتعه بمكانة علمية وقاعدة اجتماعية جيدة) بأمر من (بيدمر) حاكم دمشق في عهد برقوق لمدة عام واحد، وكان لاعمال قاضي دمشق المالكي برهان الدين بن جماعة دور مهم في هذه القضية، ثم عقدت المحكمة بعد مضي سنة على سجن ابن مكي وحوكم فيها على يد ابن جماعة نفسه وحكم عليه بالاعدام ونفّذ الحكم به دون تريث، بل انهم اقدموا على صلب جنازته بعد استشهاده.

هذان الشهيدان يؤمنان بالتسامح الديني ويدعوان له في تآليفهما وما كـــان يقومان به وكانا يقيمان جسور العلاقة والتواصل والتلاحم مع مســــلمي المذاهب الاخرى وهكذا واجه شيعة وعلمـــاء جبـــل عـــامل ضغوطـــاً ومضايقات كثيرة.

واثر هذه الاحداث، اختار عدد من العلماء ســبيل العزلـــة واجتنـــاب النشاط العلمي المعلن.

وعلى سبيل المثال: ان حسن بن زين الدين ابن الشهيد الثاني، والســـيد محمد العاملي حفيد الشهيد الثاني، اللذين كانا من كبار المحققين ومؤلفـــي الفقه والاصول لمذهب الامامية درسا وتدرجاً في المراتب العلميـــة ونـــالا مكانة سامية في مسقط رأسيهما ثم في مدينة النجف الاشرف، وعاشـــا في موطنهما (قرية جَبَع) حتى آخر عمريهما، وخلافاً لابيهما وجدهما اللذيـــن بذلا كل الجهود والمساعي لتعزيز وتطوير الحوزة العلمية الشـــيعية وقامـــا بخطوات علمية واساسية في دمشق، اكتفيا ــ الابن والحفيد ــ بشيء مـــن التدريس وانكبّا على الكتابة والتأليف.

وحسب ماقاله السيد نعمة الله الجزائري فانهما امتنعا حتى من زيارة

---

[٤٣] استشهد الشهيد الثاني عام ٩٦٦، وكانت شهرته العلمية ومهارته الفقهية، فقـــد وُشي به لدى السلطان سليمان واتهم بالزندقة والبدع فألقى عليه القبض جـــلاوزة السلطان اثناء موسم الحج، وكان مقرراً ان يحملوه الى اسطنبول ويحاججه عـــدد من علمائهم ويناظروه، الا ان بعض الاشخاص اقنعوا شرطة السلطان بالقضـــاء عليه وقتله في الحجاز، وهذا العمل أغضب السلطان سليمان ويقال إنه أمر بقتـــل قاتل الشهيد الثاني على الفور.

الحرم الرضوي خشية أن يطلب منهما الملك الصفوي (الشاه عباس) البقاء في ايران[٤٤].

اما محمد بن حسن بن زين الدين، وهو من العلماء البارزين فقد دعي مراراً لزيارة ايران من قبل الشاه الصفوي لكنه امتنع عن ذلك وبقي لسنين طويلة الى جوار بيت الله الحرام منكبّاً على التأليف متفرغاً للتحقيق[٤٥].

والأطرف من ذلك، ما ذكر عن رأي الشيخ زين الدين ابن هذا العالم الأخير الذكر، فيقول الشيخ الحر العاملي أنه درس على يد كثير من علماء العرب والعجم في شتى فروع العلم والمعرفة، ونظراً لاجتنابه المفرط الشهرة والبروز، ترك التأليف وأعرض عنه، بل وانتقد علماء السَّلَف كالعلامة الحلي والشهيد الاول وجده الشهيد الثاني أنهما بتأليفهما الكتب الكثيرة والتتلمذ على يد علماء العامة و المراجعة الى كتبهم كثيراً، سلكوا طريقاً انتهى بهم الى القتل والفتن والاضطهاد[٤٦].

هذه الرؤية نشأت عن المرارة التي تركها استشهاد هذين الفقيهين الشهيرين الشيعيين والمضايقات والضغوط التي كان يمارسها الولاة العثمانيون، وهذا يعني أن تحليلها لما قام به فقهاء بارزون كالعلامة الحلي والشهيدين كان يستند على اساس ان أي مسعىً لتقديم آراء الشيعة الامامية بالصيغ الرائجة والمتعارفة للعلوم الاسلامية حينذاك، يعتبر مسعى

---

[٤٤] ـ محمد حسين نوري (مستدرك الوسائل) ج٣، ص٣٩١.

[٤٥] ـ مستدرك الوسائل، ص٣٩٠.

[٤٦] ـ يوسف البحراني (لؤلؤة البحرين) ص٨١ (نقلاً عن أمل الآمل).

خاطئاً وغير صائب وان تأليف كتب من هذا القبيل لا ينسجم مـــع روح التعاليم الشيعية.

وان كاتب هذه السطور لا يستبعد ان تكون مثل هذه التحليلات مؤثرة في تبلور المذهب الاخباري الذي ظهر في ذلك الوقت.

في المقابل، رأى علماء آخرون مثابرون ــ وبدافع مواصلـــة النشـــاط العلمي لحوزة جبل عامل ــ ان ظهور الوضع الجديد في ايران باعث علـى التفاؤل، ودعا بعضاً منهم الشاه اسماعيل وبعـــده طهماســـب الى ايـــران رسمياً[٤٧].

وكان **علي بن عبد العال الكركي** المعروف بالمحقق الكركي (أو المحقق الثاني) المعاصر للشهيد الثاني، وتلميذ الشهيد الاول بشكل غير مباشر، اول من سافر الى ايران مستجيباً لدعوة الصفويين، وصحبه عدد من علماء جبل عامل.

ومن بين هؤلاء **حسين بن عبد الصمد الحارثي**، تلميذ الشهيد الثـــاني، واب بهاء الدين العاملي، **وكمال الدين نطتري والشيخ علي منشار** مـــن جملة من هاجروا الى ايران من علماء جبل عامل.

---

[٤٧] ــ واصل الشاه عباس الصفوي السير على نهج أسلافه في دعـــوة العلمـــاء وتبجيلهم وتكريمهم، وكتب بعض المؤرخين كيف استمال الشاه عباس المحقـــق الاردبيلي ورغّبه في السفر الى ايران والمكوث فيها، لكنه لم يستجب لتلك الدعوة مطلقاً (نصر الله الفلسفي ــ زندكاني شاه عباس اول، ج٣، ص٨٨٥ ــ ٨٨٦).

وتمت هذه الهجرة بنجاح وتبعتها هجرات اخرى في السنّوات التي تلتها، ومن بين الفقهاء والمحدّثين الذين هاجروا من جبل عامل لمعت اسماء علماء أمثال **محمد بن الحسن الحر العاملي، وزين الدين بن محمد بن الحسن** حفيد صاحب المعالم، **والسيد حسين الكركي**، واقام هؤلاء العلماء في مختلف مدن ايران، وخاصة مشهد وإصفهان.

وعمل بعض العلماء المهاجرين في التدريس والتأليف فيما تولّى بعضهم الآخر المناصب الرسمية الدينية في الدولة الصفوية.

فمن الصنف الاول يمكن الاشارة الى كمال الدين درويش ومحمد بن الحسن الحر العاملي، ومن الصنف الثاني يشار الى المحقق الكركي وحسين بن عبد الصمد، والشيخ علي منشار وبهاء الدين العاملي، الذين أسند الصفويين لهم منصب **(شيخ الاسلام)** [48].

وادى وجود علماء جبل عامل البارزين في ايران الى إحياء الحوزة العلمية الشيعية فيها، من جديد، فقد كانت قم وري يوماً مركزاً لنشر احاديث الشيعة، وبرزت في هذا العهد إصفهان ومشهد وفي المرحلة التالية قزوين وكاشان وقم وتأسست فيها حوزات مزدهرة.

---

[48] ــ حول كيفية ومراحل هجرة علماء جبل عامل الى ايران ودورهم في تبلور الحركات العلمية والاجتماعية، والدينية في ذلك العهد وما تلاه، يتضمن كتاب (الهجرة العاملية الى ايران في العصر الصفوي) القيمّ من تأليف جعفر المهاجر، معلومات جيدة، وذكر الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل فصلاً عن احوال علماء جبل عامل، ويتضمن تعريفاً بكثير من علماء جبل عامل المهاجرين الى ايران خلال العصر الصفوي.

يقول محمد باقر المجلسي بمناسبة ذكر استاذه الملا عبد الله الشوشتري، وهو من تلامذة المقدس الاردبيلي ومن المهاجرين الى اصفهان:

[يمكن اعتبار نشر الفقه والحديث ـ في اصفهان ـ تم بفضل جهوده ومساعيه، وبالرغ من وجود آخرين ايضاً، لكن اولئك انشغلوا بأعمال كثيرة وكانت فترة تدريسهم قصيرة، خلافاً لهذا الانسان الفذ الذي قضى أربعة عشر عاماً في التدريس في اصفهان ... عند وصل الشوشتري الى اصفهان كان عدد طلبة العلوم الدينية من اهالي اصفهان والمدن الاخرى، لايتجاوز الخمسين شخصاً، بينما بلغ عددهم عند وفاته أكثر من الف شخص من الفضلاء في هذه المدينة][٤٩].

وتتضمن عبارة المجلسي آنفة الذكر ـ فضلاً عن الوصف الوافي للتطور الكمي والنوعي في الحوزة العلمية باصفهان ـ النقطة التي ذكرناها اخيراً، وهي ان بعض العلماء المهاجرين انكبّوا على تدريس العلوم الدينية، وبعضهم الآخر انصرف الى العمل في المناصب الرسمية الدينية التي أسندت

---

[٤٩] ـ المحدّث النوري (مستدرك الوسائل) ج٣، ص٤١٤ " نقلاً عن شرح محمد تقي المجلسي لمشيخة (من لايحضره الفقيه)، ومحمد تقي المجلسي (روضة المتقين) ج١٤، ص٣٨٢ (لم افهم ما تعنيه عبارة **مشيخة** من لايحضره الفقيه بل نقلتها عن المؤلف كما وردت ـ المترجم).

اليهم، وفي مثل هذه الظروف، فمن الطبيعي ان تؤلّف كتب فقهية وكلامية وفلسفية قيمة ورائعة، وتزدهر حركة التأليف والتحقيق في أوساط علمـــاء الشيعة وتتنامى.

وكان من نتائج اغتنام هذه الفرصة من قبـــل العلمـــاء في الظـــروف المستجدة آنذاك تأليف كتب قيمة مثل (**جامع المقاصد**) في شرح قواعـــد العلامة الحلّي، و(**وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشـــريعة**) و**الـــوافي** (احد ثلاث موسوعات جامعة للروايات المهمـــة في العصـــر الحديـــث) و(**روضة المتقين**) في شرح من لايحضره الفقيه و(**اشراق الشمسين**) وهـــو كتاب فقهي غير مكتمل، يستند الى القرآن والحديث، و (**زبدة البيـان**) في آيات الاحكام، و(**شوارق الالهام**) في شرح التجريد لمواجهة نصير الديـــن الطوسي و(**القبسات**) في حكمة المشائين و(**الحكمة المتعالية في الاســـفار الاربعة العقلية**) الذي يعتبر ــ دون شك ــ منعطفاً في مسيرة الفلســـفة الاسلامية و(**المحجّة البيضاء في هذيب الاحياء**) وهي حلّة معطّرة بأحاديث العترة الطاهرة، ألبسها مؤلّفها إحياء العلوم للغزالي، وكثير مـــن الاســـفار والكتب القيّمة.

٣ــ ان بعض المناصب الحكومية كالقضاء والولاية في الأمور الحســـبية ينبغي ان تشغل ــ وبناء على الادلة الواردة في الفقه ــ في المجتمع الديني أو بين المتدينين من قبل العلماء[٥٠]، وكان هذا أمراً طبيعياً تماماً وامتداداً لما كان

---

[٥٠] ــ يعتبر تولّي بعض المناصب من قبل الفقهاء والتي شخّصت في الشـــريعة رسمياً كالقضاء والافتاء، ومناصب مماثلة، ينبغي تولّيها من باب الحسبة كتعييـــن

المتولّي للوقف في الموارد الخاصة، من الأمور القطعية ومحل إجماع فقهاء الشريعة، حتى الروايات الواردة عن الائمة تنص على انهم كانوا يؤكدون على شيعتهم بمراجعة وكلائهم وعلماء الاصحاب، ويمكن مطالعتها بسهولة في أي كتاب فقهي يتطرق الى موضوعات كالوقف والقضاء، والنكاح، والبيع، وهي تتضمن الأدلة الكثيرة على هذا الأمر.

ولابد هنا من القول إنه بمرور الزمن وبعد تبلور " الدولة الشيعية" للمجتمع الايراني، ظهرت العديد من الاسئلة وطرحت كثير من الموضوعات الجديدة كان بعضها يوسّع نطاق الولاية واشراف الفقهاء على المؤسسات الاجتماعية، وفي بعض الاحيان كان تتخذ صيغاً نظرية واخرى تتجسد على الصعيد العملي.

وبعبارة أخرى: قبل ان يسود التشيع في ايران، ويحكم ويمتلك السلطة الرسمية والحكومة المقتدرة الوطنية لم تكن الارضية والفرصة مهيأة لطرح بعض المباحث والموضوعات، وكانت حلقات الدرس في الحوزات العلمية الشيعية تبذل اقصى الجهود من اجل تدوين وتقديم التعاليم الشيعية، وكان كبار العلماء يبحثون عن وسائل وطرق ابلاغ الناس الافكار الشيعية، ولذلك كرسوا جلّ اهتمامهم لتبليغ هذه الرسالة.

وأساساً ولاسباب تأريخية وفي ضوء طريقة الطرح العقائدي الكلامي لموضوع الامامة بين الشيعة لم تتبلور في التفكير السياسي للعلماء آنذاك ــ إن صح التعبير ــ مفاهيم من قبيل إقامة الحكومة، ومقتضيات ومستلزمات تشكيل الحكومة الدينية، والمؤسسات اللازم توافرها لقيام الحكومة في المجتمع الديني وغيرها، لكي يناقشوها ويبحثوا فيها.

والذين يحاولون الاستناد الى آراء العلماء الاقدمين في دعم وتأييد او رفض وتفنيد نظرية (ولاية الفقيه) بمعناها الحالي وينقّبون في المصادر والآراء القديمة، ربما لا يقومون بعمل صائب، إذ ان لهذه النظرية منطلقاً آخر، وان التحولات الاجتماعية والسياسية لعصرنا والتجارب القائمة في زماننا هي التي ولّدت

متعارفاً و معمولاً به منذ السابق، فقد طلب الشيعة في طرابلس أيـــام أبي جعفر الطوسي ان يعيّن لهم عالماً يتولى ممارسة القضاء وســـائر الشـؤون الدينية، واستجابة لطلبهم عين الطوسي ابن الـــبرّاج في هـــذا المنصب[٥١]. واستثمر الشيعة في حلب الفرصة التي اتيحت لهم حينما استنجد بهم حاكم المدينة طالباً مساعدتهم فاستجابوا له بشرط ان يعطيهم حرية القضاء وفقـاً لاحكام مذهبهم الشيعي، فيما بينهم[٥٢].

وأنتجت هذا الرأي، وبالطبع فان هذه النظرية ــ شأنها شأن اي نظرية أخرى ــ تستند الى مضامين المصادر الاصلية للاستنباط الديني في كشف دلائلها.

لكن النقطة الجديرة بالاهتمام هي ان هذه النظرية ــ ودون ان نحاول تقديـــم ادلتها من الناحيتين الكمية والنوعية، وآثارها ونتائجـــها الاجتماعيـــة والفقهيـــة والسياسية ــ تُعَدُّ حلقة في سلسلة سعي علماء الدين في صيانة الشعائر والتعـــاليم الدينية.

ورسالة العالم الديني حفظ هوية المجتمع المتدين وإعداد الأرضية لبقاء افراده ملتزمين بالتعاليم الدينية، وهذه الرسالة تتجلى في كل زمان حسب المقتضيـــات والظروف المختلفة، باشكال مختلفة.

[٥١] ــ ابن البرّاج هو عبد العزيز بن نحرير الطرابلسي، تتلمذ اعواماً عديدة على يد السيّد المرتضى والشيخ الطوسي، ثم بعثه الشيخ الطوسي للممارسة القضـــاء بين شيعة طرابلس بالشام، واشتهر بـــ (القاضي) لهذا السبب، ولأنه انتدب لـــهذا الامر من قبل شيخ الطائفة، فقد لقّبوه (خليفة الشيخ في البلاد الشـــامية). وفـــي اجازة الشهيد الأول الى شمس الدين محمد بن تاج الدين عبد العلي بـــن نجـــدة، استخدم نفس التعبير (البحار، ج١٠٤،ص١٩٨).

[٥٢] ــ خلال الهجوم الذي شنه صلاح الدين الايوبي على حلـــب، خشـــي امـــير المدينة الملك الصلاح زنكي من استسلام أهل حلب وقيامـــهم بتسـليم مدينتـــهم

وكان هذا هو معنى منصب نقيب الطالبيين الذي كان يختار له الخليفة العباسي احد الاشراف العلويين كالسيد المرتضى وابيه، والسيد ابن طاووس، والسيد ابي المكارم ابن زهرة وأمثالهم. فقد كانوا يتولون تصريف الامور داخل الجماعة الشيعية في ذلك المجتمع[٥٣].

لكن الظرف الذي استجد آنذاك هو قيام حكم شيعي في بلد كبير وهذا يتطلب تشكيل مؤسسات رسمية شيعية، ولامناصّ من ذلك، وكان الملوك الصفويون ــ وخاصة في اوائل حكمهم، ان لم نقل أفضل من العثمانيين

لصلاح الدين فجمع الاهالي في ميدان المدينة وحثهم وتوسل لهم بان يصمدوا ويعينوه على الصمود فقبل الشيعة ذلك شرط ان يلبي لهم بعض الامور ومنها ان يذكر في الاذان عبارة (حيّ على خير العمل) كما كان عليه الاذان على عهد النبي الاكرم محمد (ص) والامر الآخر هو ان يتصدى السيد ابا المكارم حمزة الحلبي (المعروف بان زهرة) لتدبير الأحوال الشخصية، هذا السيد من تلاميذ الشيخ الطوسي ــ بشكل غير مباشر ــ وأبرز عالم شيعي امامي في حلب وسيد عشيرة (بني زهرة) الشهير بين الفقهاء بسبب تأليفه كتاب كتاب غنية النزوع (حول أحواله وحياته تراجع: دائرة المعارف الاسلامية الكبرى،ج٢ مقالة (آل زهرة) بقلم هادي عالم زاده).

٥٣ ــ الاساس النظري لهذا الاسلوب هو ماورد عن الائمة لشيعتهم بان يعودوا في حل مشاكلهم ومرافعاتهم الى المطّلعين على أحكام مذاهبهم، ووردت هذه الاحاديث في الغالب في كتاب القضاء لدى بحث تعارض الادلة في كتب اصول الفقه، ولابأس بان نذكر ان التعابير المؤكدة المذكورة عن الأئمة جعلت الشيعة لا يشكون ولا يترددون في هذا الامر ابداً، وعبر هذا السبيل فان الجماعة الشيعية كانت محافظة على هويتها الخاصة في ظل اقسى الظروف.

ـــ المدعين لخلافة رسول الله ـــ التزاماً بالدين وابتعاداً عـــــن المحرمـــات، فيمكننا القول إنهم لم يكونوا أقلّ وأضعف منهم التزاماً به[٥٤].

لكن المأثور والمعروف عنهم من الناحيتين السياسية والدينية بين المسلمين غير الشيعة كان الجانب السلبي اساساً، وتدل العبـــارات المســتخدمة في وصفهم كـ (**الطائفة الضالة**) و (**موقدي مشاعل الفساد**) و (**هـــادمي اساس الدين**) [٥٥] دلالة واضحة على شدة الاعلام المضاد الـــذي كـــانوا يواجهونه في ذلك الحين، ولذلك فان أي تساهل منهم في تقوية أركـــان المؤسسات الدينية كان يضر بسمعتهم ويسيء اليهم، وعلى هذا الاســاس، سعى الصفويين ـــ في مقام منافسة خصومهم العثمـــانيين ـــ الى مســاواة المناصب الدينية لحكومتهم بمثيلاتها لدى الحكومة العثمانية المنافسة، قـــدر الامكان.

---

[٥٤] ـــ على سـبيل المثـــال: تراجــع ترجمـــة حيـــاة واحـــوال الشـــاه عبـــاس الاول،ج٣،ص٩١٩ـــ ٩٣٠ تحت عنوان (الشاه عباس والنهي عن المنكر) وفـــي ترجمة حياة الشاه اسماعيل والشاه طهماسب، توجد امور مشابهة ذكرت عنـــهم. فمثلاً ينقل نصر الله الفلسفي عن مذكرات الرحالة جورج منوارينغ (من مرافقـــي انطوني شرلي) موضوعاً يدل دلالة واضحة على صرامـــة مواجهـــة المفاســـد الاخلاقية ومكافحتها في عهد الشاه عباس، مقارنة بالدولة العثمانيـــة ومـــا كـــان يجري فيها.

[٥٥] ـــ عبد الحسين نوايي (شاه طهماسب صفوي) الصفحـــات ١٨٩و١٩٥و٢٠٠: تلاحظ مثل هذه التعابير بكثرة في الرسائل التي كان يوجهها السلاطين العثمانيون الى الامراء الواقعين ضمن حكمهم وتحت سيطرتهم أو التي وجهوها الى الملوك الصفويين أنفسهم.

ولهذا استحدثوا مناصب كالمفتي، وشيخ الاسلام، الصدر، ووالقاضي، وقاضي العسكر وغيرها، في العهد الصفوي، وتعتبر هذه الظاهرة تقليداً لما كان قائماً لدى الحكم العثماني.

وحول كل واحد من هذه التعابير والمسميات وكذلك بشأن المناصب الدينية للعلماء في العصر الصفوي ـــ والتي بقيت بعضها حتى بعد تقويض الحكم الصفوي ـــ توجد بحوث نافعة وموثقة، وكتب بعض الباحثين الايرانيين وغيرهم رسائل ومقالات مستقلة بهذا الصدد أغنتنا عن البحث التفصيلي في هذا المضمار[٥٦]، لكننا لا مناصٌ لنا من توضيح أبعاد منصب **(شيخ الاسلام)** إذ عادة ما يكون أكبر علماء عصره متمتعاً بهذا المنصب، وخاصة ان المجلسي تسنمه لسنوات طويلة.

وتم استحداث منصب (شيخ الاسلام) [٥٧] في عهد الشاه طهماسب الصفوي، وكان أول من تسنمه **المحقق الكركي**، وقبل ذلك كان **(الصدر)**

---

[٥٦] ـــ من جملة الكتب والبحوث النافعة في هذا المجال، يراجع (تذكرة الملوك) وتعليقاته لمينورسكي، وخاصة البحث المعنون (سازمان اداري حكومت صفويان) أي الهيكل الاداري لحكومة الصفويين.

وكذلك كتاب "دين وسياست در دوره صفوي" أي الدين والسياسة في العهد الصفوي من تأليف المحقق البارع السيد رسول جعفريان.

[٥٧] ـــ حول تاريخ هذا المنصب واللقب بين المسلمين راجع: (دين وسياست در عصر صفويان) ص٩٠ ـــ ٩٢، و(زندكينامه علامة مجلسي)ج١،ص٢٧٥ــ ٢٧٧،و(دانشنامه جهان اسلام) معجم علماء العالم الاسلامي المجلد الأول، حرف الباء، نهاية مادة (باب المشيخة) الذي يتطرق فيه الى كيفية استحداث منصب

أرفع منصب رسمي ديني، ويقول صاحب تذكرة الملوك ان (**الصدر**) كـــان يتولى تعيين (**حكّام الشرع والمدرسين وشيوخ الاسلام...**) [٥٨].

وكتب كمبر وتاورنيه وسانسون في مذكرات اسفارهم الســـياحية ان منصب (شيخ الاسلام) كان ادنى من (الصدر)، ويعرف من توضيحـــات كمبر ان الصدر هو الذي يقترح اسم شخص ليشـــغل منصـــب (شـــيخ الاسلام) ثم يصدر الشاه مرســـوماً بتعيينـــه[٥٩]. ومـــع وجـــود العديـــد من(الفرمانات) أي المراسيم والقرارات الملكية التي اصدرها ملوك الصفويين فليس هناك أدنى شك أو ريب في كون شيخ الاسلام معيّنـــاً مـــن قبـــل الشاه[٦٠].

وينقل مينورسكي عن شاردن قوله ان (شيخ الاسلام) يعدّ أعلى وأعلم مسؤول قضائي[٦١]. كما يشير الى نقطة دقيقة وهي أن اللياقة الشـــــخصية والقابليات الفردية كانت لها علاقة بتحديد مكانة الذين يشـــغلون هـــذا المنصب ومدى الصلاحيات الممنوحة لهم، وخاصة اذا أخذنا بنظر الاعتبـــار

(شيخ الاسلام) في العهد العثماني، على يد السلطان مراد الثاني(اواخر النصف الاول من القرن التاسع).

[٥٨] ــ تذكرة الملوك،ص٢.

[٥٩] ــ مذكرات سفر تاورنيه، ص٥٨٨، و(ديـــن وسياســـت در دوره صفـــوي) ص٩٢-٩٤.

[٦٠] ــ يرجى مراجعة المصدر السابق نفسه، فصل القرارات والمراسيم الدينيـــة للصفويين.

[٦١] ــ (دين وسياست در دوره صفوي) ص٩٢.

ان علماء وفقهاء كباراً كالمحقق الكركي، وحسين عبد الصمد الحارثي، والشيخ البهائي، والشيخ علي منشار(علي بن هلال الكركي) والملا محمد طاهر القمي، وأغا حسين الخونساري، ومحمد باقر المجلسي، كانوا يتمتعون بأسمى المراتب العلمية ويتوفرون على أفضل الكفاءات والقابليات الفقهية وقد شغلوا المنصب المذكور، اذا اخذنا هذا الامر بنظر الاعتبار لأدركنا أن منصب شيخ الاسلام لايمكن ان يكون منصباً واطئاً او هامشياً.

وقال العلامة مؤلف كتاب (دين وسياست در عصر صفوي) انه من المحتمل ان يكون منصب (**الصدر**) ذا صبغة ادارية وان منصب (شيخ الاسلام) ذا صبغة علمية فقهية ودينية وصاحبه يمارس الافتاء[٦٢].

وربما يكون الاحتمال الوارد ذكره آنفاً صحيحاً مع الاخذ بنظر الاعتبار انه عندما أصدر الشاه طهماسب حكماً بتعيين المحقق الكركي بمنصب (شيخ الاسلام) كما قال الخاتون آبادي ــ (في عام ٩٣٩ كتب الشاه طهماسب فرماناً (مرسوماً) بتعيين الفقيه المذكور (وكان الكركي وقتها يقطن في النجف) [٦٣].

والنقطة الاكثر طرافة هي انه على الرغم مما ورد في مذكرات الرحالة من ان منصب (شيخ الاسلام) ادنى من منصب (الصدر) قال بعضهم ان شيوخ الاسلام كانوا هم الذين يتوّجون (يضعون التيجان) على رؤوس الملوك، وبالطبع فان لهذا الامر معنى خاصاً.

---

[٦٢] ــ (دين وسياست در عصر صفوي) ص٩٢.

[٦٣] ــ الوقائع للخاتون آبادي/ص٤٦١.

وما ينبغي ان يطرح في هذا المقام هو نظرة اجمالية على فرمان (مرسوم) تعيين شيوخ الاسلام في مناصبهم، وبحث هذا الموضوع مهم من زاويتين **الاولى:** انه يبين مناط انتخاب والتزام الملوك الصفويين لهذا المنصب، **والثانية:** انه يعكس المترلة والمكانة العلمية لاصحاب هذه المناصب في ذلك العهد.

لقد اصدر الشاه طهماسب في ذي الحجة عام ٩٣٩هـ ق مرسوماً (فرماناً) بتعيين علي بن حسين بن عبد العالي الكركي، وصرح فيه: (ان الشاه يرى ان اعلاء اعلام الشريعة النبوية الغرّاء من اركان السلطنة الوطيدة) و(مناط تحقيق هذه الغاية وتجسيد هذه النيّة) (الانقياد والاتّباع لعلماء الدين الذين شمروا عن سواعدهم واستعانوا بعلومهم لنشر الدين وصيانة وحفظ شرع سيد المرسلين).

ثم اتبع ذلك بعبارات قال فيها يصف الكركي (مبيّن الحلال والحرام) (نائب الامام عليه السلام) (متبوع أعاظم الولاة في الأوان) الذي (خضع له علماء الاقطار والامصار فجاءوا قاصدين ان ينهلوا من علومه ويستضيئوا بأنواره ويستنيروا بمشكاة تآليفه وآثاره) (وأقر أكابر وأشراف العصر أن اتّباع أحكامه مؤدٍّ الى النجاة والفلاح).

ثم كتب في (الفرمان) المرسوم المذكور ان جميع أوامر الكركي ونواهيه في الأمور الشرعية، وعزل وتعيين مسؤولي الامور الشرعية وما شابهها من القضايا، نافذة وأمر جميع الولاة والمسؤولين في الحكومة بان يظهروا له من التكريم والاحترام مايليق بحق هذا العالم (مجتهد الزمان) وان (لا يطمعوا

أبداً بان يذهب هو لزيارة أي من الحكام وان لايأملوا بان يستقبلوا شيخ الاسلام وان يأتيهم المومى اليه) أو (ان يتجشم لحضور مجالسهم) [٦٤].

وفي حكم آخر أصدره طهماسب الصفوي ولايوجد في نصه تاريخ صدوره، طرح النظرة الشيعية القائلة بـ (وجوب أتباع الفقهاء) وأبلغ كل حاشيته والمحيطين به أن (مخالفة حكم المجتهدين تعدل الشرك بدرجته، فكل من خالف حكم خاتم المجتهدين... نائب الائمة المعصومين ـ الذي ـ لازال كاسمه علياً عالياً، و لم يتبع توجيهاته وتعليماته) يستحق التأديب والحمل على الانقياد[٦٥].

وهكذا كان (فرمان) ومرسوم السلطان حسين الصفوي لتعيين محمد باقر المجلسي مكتوباً على هذا المنوال وجاء فيه (ان ـ الشاه ـ يرى من اللازم رعاية العلماء الاعلام وفقهاء الاسلام) و (لأن أزمّة الامور المذكورة ـ قوانين الشريعة ـ في الاكف الكفوءة لعلماء الفرقة الاثنى عشرية الناجية الذين هم حافظوا الاحكام والعارفون بملاك ومناط الحلال والحرام) فان الشاه اختار (مجتهد عصره وأعلم أهل زمانه بالكتاب والسنة) يعني محمد باقر المجلسي (للمنصب الجليل والعظيم المتمثل في شيخ الاسلام لدار السلطنة اصفهان وتوابعها ولواحقها).

---

[٦٤] ـ الملا عبد الله أفندي في (رياض العلماء) ج٣، ص٤٤٥-٤٦٠ والمحدث النوري في (مستدرك الوسائل) ج٣،ص٤٣٢-٤٣٤.

[٦٥] ـ الخونساري في (روضات الجنّات) ج٤، ص٣٦٣.

وعيّن ــ هو الآخر ــ بعد التعريــف بالمجلســي حــدود صلاحياتــه ومسؤولياته

في منصب شيخ الاسلام وطلب منه ان لايتردد (ولا يألوا جهداً في الامــر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق الاحكام الشرعية والسنن التي تتضمنها الملّة، ومنع وزجر جماعة المبتدعة والفسقة... وسائر الأمور المطلوب إنجازها من شيوخ الاسلام) وان (لايرى مجاراة أو مداهنة أحد مانعة وحائلة مــن تطبيق الاحكام الدينية).

ثم يؤكد على الناس قاطبة ويطلب من الطبقات والشرائح المختلفة بــان (تنقاد لاوامره وتطيع أحكامه، وعلى الحكام والوزراء و مسؤولي الشــرطة ان يرجعوا اليه في الفصل بالقضايا والامور الشرعية المهمة الــتي تحــدث، ويعودوا الى محكمته، تعظيماً للشرع الأقدس، وليس من حق المســؤولين ان يطلبوا حضوره الى مجالسهم بل من واجبهم ان يظهروا له فروض التكــريم والاعزاز والاحترام) [٦٦].

أجل، بملاحظة هذه الحقيقة وهي ان العلماء كانوا يتقاعسون ويمتنعــون عن قبول المناصب الرسميّة، منذ بداية حكومة الملوك الصفويين حتى نهايتها، باستمرار [٦٧]، علاوة على ذلك فان اعضاء البلاط ورجال الحكومة غالباً ما

---

[٦٦] ــ رسول جعفريان في (دين وسياست در عصــر صفــوي) ص٤١٢-٤١٤ (والتصحيح حسب النسخة المخطوطة المرقمــة ٩٥٩٦ فــي مكتبــة الروضــة الرضوية بمشهد).

[٦٧] ــ يوجد كتاب اسمه (حديقة الشيعة) من تأليف عبد الحي رضوي كاشاني فــي انتقاء علماء العصر الصفوي، وركّز مؤلف هذا الكتاب ــ الذي كان هو ايضــاً

كانوا لايظهرون رغبةً في حضور واسهام العلماء في الساحة الاجتماعية والسياسية[٦٨] مع ذلك يبدو أن إصدار مثل تلك الاحكام والمراسيم من قبل

من علماء العهد الصفوي ــ معظم انتقاده على العلماء ذوي المناصب الرسمية في ذلك الحين، واهتم بذكر مثالبهم ونواقصهم والطعن فيهم، وكان محمد باقر المجلسي ممن شمله الانتقاد في هذا الكتاب، ومع ذلك قال صاحب الكتاب في معرض ذكره للمجلسي انه تصدى لمنصب القضاء بعد عام ١٠٩٠ (اي بعد بلوغه الخمسين عاماً) ثم عيّن في منصب شيخ الاسلام عام ١٠٩٨، بعد أغا حسين الخونساري.

وقال عبد الحي الرضوي (عندما قبل المجلسي منصب القضاء ارتقى المنبر في المسجد، وبكى بكاءاً مرّاً، وخاطب الناس قائلاً: (أيها الناس انني حائر في عاقبة أمري، فمع ان أبي وأنا انشغلنا بنشر الدين والدعوة اليه وتعليم مسائل الاصول والفروع... كيف آل بي الأمر الى التصدي لمنصب القضاء) نقلاً عن كتاب (دين وسياست در دوره صفوي) ص٣٥١ مما يدل على اجتنابه وابتعاده عن المناصب الاجتماعية.

٦٨ــ سنشير في الملحق الثاني لهذا الكتاب الى قصة المكيدة والمؤامرة التي دبّرها فتح علي خان الدغستاني ــ الذي كان يشغل منصب "اعتماد الدولة" في عهد حسين الصفوي ــ من اجل إيذاء وتشويه سمعة المير محمد باقر الخاتون آبادي (راجع : الوقائع، ص٥٦٧ ــ٥٦٨) وحصول هذه القضية في عهد حسين الصفوي هو الآخر ملفت للنظر وجدير بالتأمل إذ إن معظم المؤرخين الذين يرصدون أحداث هذه الفترة من التاريخ الصفوي يدّعون أن تدبير الامور كان بيد العلماء (راجع: مريم مير أحمدي "دين ومذهب در عصر صفوي"، ص٥٠).
وقد تحدثت بعض الكتب التاريخية عن مؤامرة دُبِّرت لقتل المحقّق الكركي في تبريز في عهد الشاه طهماسب (مستدرك الوسائل، ج٣، ص٤٣٢).

الملوك يستهدف اجتذاب واقناع المجتهدين بقبول تلك المناصب، وكانوا مع ذلك يحاولون اجتناب التقرّب من السلطان بقدر استطاعتهم.

لقد كان يصعب على معظم العلماء ان يكونوا مطيعين لولاة الحكومة ومسؤوليها، وأتباعاً لذوي المناصب الرسمية، بحيث يحضرون المراسم الرسمية ويذهبون لاستقبالهم أو السلام عليهم.

وبناءً على هذا فان الملوك كانوا يضمّنون احكامهم و (فرامينهم) رسمياً النهي والمنع عن حصول مثل هذه الامور المبغوضة عند العلماء، للحيلولة دون هذه الاحتمالات السلبية، ويبادرون الى تعيين المجتهد الأعلم في المناصب القضائية والدينية، دون أن يفسحوا له المجال لإبداء رأيه في هذا الاختيار والتنصيب[٦٩].

---

٦٩ ــ وكان اصرار طهماسب الصفوي على تعيين **(مجتهد من جبل عامل) (المحقق الكركي)** في منصب **شيخ الاسلام**، ناشئاً ــ كما نظّن ونرجّح ــ منطلقاً من هذه الحقيقة، وماكانت مكانته ومنزلته خافية على جميع المطلعين والعلماء وبناءً على السنّة الجارية بين علماء الشيعة، كان ينبغي ان يتولى مثل هذا الشخص منصب الافتاء والقضاء، واذا انتخبه الشاه كان ذلك يحظى بالقبول ولا يحتاج الى تمهيد، حتى انه على الرغم من ان المحيطين بالشاه والمقربين منه كانوا يميلون الى ابقاء **غياث الدين منصور** في منصبه السابق **(الصدر)** ولكن الشاه باعتبار انه كان متأكداً من أعلمية **(الكركي)** فانه تجاهل رغبة أعضاء البلاط، وتنحى غياث الدين عن منصبه وتوجّه الى شيراز (يراجع: تاريخ عالم آراي عباسي، ص١١١). وهكذا الامر بالنسبة لدعوة الشاه عباس للمحقق الاردبيلي، في ضوء مكانته العلمية وتقواه، وتنطبق هذه النقطة على معظم شيوخ

والتوضيح الذي يقدمه صاحب تذكرة الملوك حول منصب (شيخ الاسلام) ومسؤولياته ووظائفه يتضمن اشارة عابرة ووصفاً ناقصاً لها، الا انه يؤكد ان صاحبه مستقل، ويقول: (ان المشار اليه يمارس في بيته الفصل في الدعاوى الشرعية والمرافعات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٧٠].

٤ـ ان قبول العلماء تعيينهم في المناصب الحكومية وتدخلهم في الشؤون الاجتماعية كان يتم بدافع أن يتمكنوا من رفع خطوات أكبر في سبيل تبليغ الاحكام واشاعة التعاليم الدينية، والحيلولة دون وقوع الأخطاء ومنع ارتكاب الاعمال الخاطئة، بقدر استطاعتهم، وحسب مايقبله منهم المجتمع.

ويوجد في معظم المؤلفات الشيعية البحث الفقهي المتعلق بقبول المناصب الرسمية بتعيين من قبل الحاكم الجائر تحت عنوان (التولّي عن الجائر) وكانت له امثلة من عهد حياة أئمة أهل البيت [٧١].

حتى ان بعض المؤلّفين قالوا إن المؤمن اذا استطاع ممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان قبوله منصباً من الحاكم غير المقبول من الناحية الشرعية، مستحبٌّ وبرأي بعض آخر، واجب.

الاسلام في العهد الصفوي، وهي تدلّ على امتلاك العلماء آنذاك نفوذاً علمياً ودينياً مهماً، وكان على الشاه الصفوي ان يتوجّه اليهم ويُقبِل عليهم ولا مناص له من ذلك.

[٧٠] ـ تذكرة الملوك /ص٣.

[٧١] ـ من جملة المصادر التي تراجع في هذا الصدد: محمد حسن النجفي (جواهر الكلام /ص١٥٥–١٦٥).

يقول محمد باقر المجلسي في (عين الحياة) بعد تبيان مفاسد القرب من الملوك ــ وهو ما سنشير اليه في موضع آخر من الكتاب ــ يذكر بعض الامور التي يمكن معها (الذهاب الى بيوت الحكّام والامراء) وحتى (يحصل احياناً ان معاشرتهم والتردد على بيوتهم يغدو واجباً) [٧٢].

علاوة على ذلك، فان تهيؤ مثل هذه الامكانية واتاحة هذه الفرصة للعلماء في زمن كانت تزداد فيه المصاعب واشكال الاذى في كل مكان من العالم الاسلامي، يعتبر غنيمة وامراً حسناً وربما كانت الغفلة عن استغلال الفرصة أو فقدانها خطأ في نظر كثير من العلماء.

و لم تكن القضية هي ان الملوك الصفويين افضل من الناحية السياسية أو أقدر على تدبير الحكم وأمور الدولة وأعدل من سواهم ممّن الحكام، بل القضية هي أن هزيمتهم وانكسارهم أمام اعدائهم وخاصة العثمانيين مدعي الخلافة بمثابة فشل لكل الجهود والمساعي التي قام بها العلماء الشيعة في عهود طويلة.

ولو كان العلماء المتخرجون في حوزة جبل عامل ثم في مدن ايران قد اختاروا سبيل العزلة، وانكبوا على تربية الفضلاء وتأليف الكتب لما كان معروفاً لدينا ماذا كانت نتائج ذلك الاسلوب، لكن يمكننا القول فقط بحزم إنه في تلك الحالة وبعد سقوط الصفويين ــ الذي لم يكن للعلماء فيه أي

[٧٢] ــ عين الحياة، ص٥٠٢-٥٠٦.

دور على الرغم من ادعاء بعض الكتّاب [٧٣]ــ نكون قد حُرِمنا من كل التراث المكتوب والمدوّن.

---

[٧٣] ــ طرح ادعاء في كتب اشخاص كالسير جان ملكم في (تاريخ ايران) ص٢٨٣، وادوارد براون (تاريخ ادبيات ايران، از آغاز عهد صفوي تازمان حاضر) ص١١٥، وسيفوري (ايران در عصر صفوي) ص٢٣٩ قالوا فيه إن نفوذ وتواجد (الملالي) كان له دور كبير في انقراض سلسلة الحكام الصفويين، إلا أننا كلما تفحّصنا في هذا الادعاء وتمعّنا فيه لم نجد دليلاً وشاهداً على ذلك، وعلى العكس من ذلك يذكر كروسينسكي (ص٢٣-٢٦) في مذكرات اسفاره أن رغبة وتوجّه الملوك الصفويين الى البذخ والأبهة والترف، وعدم الاهتمام بلمور الحكم، وعدم توجههم لاجراء قوانين الشرع الاسلامي وتشتت الآراء وتفرُّق الولاة والمسؤولين ووضعهم العراقيل في عمل أحدهم الآخر، كانت هي أسباب زوال الحكومة الصفوية وسقوطها.

وذكر مينورسكي في (سازمان اداري حكومة صفوي) ص٣٦-٣٨، ولكهارت في (انقراض الدولة الصفوية) ص١٩-٣٩، وذبيح الله صفا في (تاريخ ادبيات در ايران) ج٥ القسم الاول، ص٣٢-٣٨، ومقالة (الصفويين) في دائرة معارف الاسلام (موسوعة ليدن) ج٨،ص٧٧١ ذكروا الاسباب والعوامل التي ادت الى سقوط الصفويين.

فقد اشار الاستاذ ذبيح الله صفا الى نقطة تدل ــ برأي الكاتب ــ على معرفته بحقيقة الحضارة والثقافة الايرانية، وقبل ان أذكر هذه النقطة أود ان أقول ان الباحثين غير الايرانيين بالرغم من عدم خطأهم في اشارتهم الى النفوذ الاجتماعي والسياسي للعلماء في العهد الصفوي، لكنهم لم يصيبوا في تحليل تأثير وأسباب هذا النفوذ، فهو يعود الى خصوصية المجتمع الديني الذي كان الحكام الصفويون يسايرونه ويراعون جانبه، مهماكانت دوافعهم في ذلك.

وقد أسلفنا القول إنه ساد الفتور على الحوزات العلمية اثر مضايقات العثمانيين لعلماء الشيعة، ونضيف هنا هذه النقطة وهي أن ازدهار التأليفات والبحوث الفقهية والكلامية والاصولية في حوزة جبل عامل يعود الى رواج تدريسها في الحوزات العلمية الايرانية خلال العصر الصفوي.

واساساً، نظراً للظروف التأريخية والسياسية للمجتمع الشيعي ومع الاخذ بنظر الاعتبار المبادئ الفكرية للشيعة حول الامامة من زاوية ادارة المجتمع

وكان نفوذ العلماء يشمل بشكل أساسي المناصب والمهن الدينية ومراقبة تطبيق الشعائر والاعراف والاحكام الدينية ولم يكن نفوذهم يشمل القضايا السياسية المجردة (كالسياسة الخارجية وغيرها) أو العسكرية، ولا نستبعد ان يكون الباحثون المذكورون ـ وخاصة السيرجان ملكم وبراون ـ يحملون ذهنية تأريخية وتجارب سابقة من عهد حكومة الكنيسة، ثم وبناءً على تلك النظرة والقناعة الذهنية لفقوا يحللون النفوذ الاجتماعي والسياسي للعلماء.

لكن الذي ذكره الاستاذ صفا يستحق الذكر والتأمل، فهو يعتقد (ان معظم الناس يعتقدون) (باحقية السلطنة الصفوية وملوكها) (وانهم مأمورون ومعينون من قبل الأئمة للحكومة والسلطنة) مما أدى الى (عدم تمكن الرجال الاكفاء القادرين على الثورة ضد الصفويين) من (الحصول على الفرصة والامكانية الدينية والاجتماعية).

وكما أسلفنا القول بأن هذا الاعتقاد العام بكون الصفويين يجمعون معاً الدين والسياسة، في الوقت نفسه، سرى الى كتابات ومؤلّفات العلماء وآرائهم العلمية، ولذلك فان نتائجه وتأثيراته النفسية والمعنوية لم يكن ممكناً اجتنابها.

ومع كل ذلك فان سجلّ البحث والتحقيق حول مؤشر ومنحنى حركة العلماء في ايران الشيعية ودورهم وتأثيراتهم يبقى مفتوحاً ويتطلب المبادرة الى اعداد بحوث وكتابات جديدة حوله.

الاسلامي، كان هناك تمنّعٌ لدى الشيعة نحو القبول بتسلم المناصب الدينية والسياسية وأي ارتباط بالحكام والسلاطين، وخاصة ان تجربة العلماء الشيعة كانت مريرة في هذا الامرغالباً، وان ذكر نماذج ومصاديق في هذا المجال يسلّط الضوء أكثر فأكثر على المراد من البحث.

فقد كان **هشام بن الحكم** تلميذاً وصحابياً للامام الصادق (ع) ويعد من ضمن الحلقة العلمية للمتكلمين في عصر هارون الرشيد، وكان هارون يوليه احتراماً خاصاً، إلا أنه ونتيجةً لعدم ارتياح يحيى بن خالد البرمكي لوجوده، وشوا به عند هارون وكشف سرّ ولائه ونمط رؤيته للامامة، بحيث ان هارون تنصت عليه وعرف ـــ من حيث لايعلم ـــ بانه يكن حباً وولاءً للائمة (ع)، ودبّرت له هذه الخطة بإحكام واضطر هشام لمغادرة بغداد سراً، وبقي متخفياً في الكوفة حتى غادر الحياة فيها[74].

والمثال الآخر: النشاط العلمي العلني **للشيخ المفيد** و قدرته الجدلية والاقناعية مع تحلّيه بمنزلة سامية في الزهد والتقوى، وذلك ما لم يَرُق لأصحاب المناصب الرسمية الدينية، فحركوا العوام، وألبوهم ضده مراراً، وحصلت شجارات واشتباكات متعددة حتى اضطر المفيد لمغادرة بغداد بطلب من عميد الجيوش نائب أمراء آل بويه لفترة[75].

---

[74] ـــ اختيار معرفة الرجال، ص٢٥٩-٢٦٢.

[75] ـــ سيد محمد جواد شبيري مقالة (كذري برحيات شيخ مفيد) أي نظرة عابرة على حياة الشيخ المفيد ص٢٤-٢٥ (نقلاً عن منتظم ابن الجوزي) طبعت ضمن مجموعة مقالات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

وقصة هجرة **الشيخ الطوسي** الى النجف الاشرف وحرق بيته ومكتبته في عام ٤٤٨ مذكورة في كتب التأريخ.

ولمثل هذه الحوادث تأثير كبير في تبلور الذهنية التاريخية للمجتمع

الشيعي، وخاصة علماءهم وشخصياتهم، وعلى هذا الاساس ففي العهد الصفوي نفسه، كان ثمة علماء يرفضون أي اتصال أو ارتباط مع الحكومة الصفوية، ويشكِلون على علماء كالمحقق الكركي ومحمد باقر المجلسي وأبيه، ذلك.

وكان ابراهيم بن سليمان القطيفي من العلماء المعاصرين للمحقق الكركي، يعيش في النجف منعزلاً متحلياً بالزهد وممتنعاً عن أي اتصال مع السلطان.

وخلال سفر الشاه طهماسب الى العراق لزيارة العتبات المقدسة، بعث اليه هدية لكنه لم يتقبلها لأنه لم يَرَ أنه بحاجة اليها.

فانتقده المحقق الكركي على هذا التصرف، لكن القطيفي لم يغير اسلوبه، واختلف مع المحقق الكركي في الأبحاث العلمية، لذلك فقد كتب عدة مؤلفات علمية في نقض آراء الكركي[٧٦]. وكتب افندي نقلاً عن (أحسن التواريخ) لحسن بيك روملو، ان بعض العلماء في حكومة الشاه طهماسب كانوا يعارضون المحقق الكركي،ومن جملة هؤلاء: السيد نعمة الله الحلي، فقد كانوا يؤلّبون القطيفي على كتابة المؤلفات المتضمنة للنقد العلمي لآراء

---

٧٦ ــ رياض العلماء ج١،ص١٥-١٩.

المحقق الكركي[77]. لكن مايبدو من هذه التآليف هـو ابتعـاد واجتنـاب القطيفي عن الحكومة، وليس ادعاءه بأنه بديل عن الكركي ومنافس له في إحراز منصبه كما ظن بعض[78].

وكان السيد محمد بن محمد السبزواري المعروف بميرلوحي مؤلف (كفاية المهتدي) يعتبر دائماً من منتقدي محمد باقر المجلسي وأبيه، لكـن لاينبغـي الظن بأن سبب انتقاده لهما تصديهما للمناصب الدينية.

لقد كان ميرلوحي مناقضاًومعارضاً للصفويين ويعتبر محمد تقي المجلسـي من حماتهم ومؤيديهم، ولهذا كان يهجو ويذم المجلسي وأباه بأقذع التعابـير وأسوأ الالفاظ، وكان يمتنع عن دعم المجلسي،وفي عام ١٠٨٣ ختم تـأليف كتاب (كفاية المهتدي)[79]. بينما كان قبول المجلسي للمناصب الدينية قـد حصل بعد عام ١٠٩٠.

ولذلك فان كلام مير لوحي بحق المجلسي في (كفاية المهتدي) كـان لـه حافز آخر هو معارضة الأول للصفويين وانتساب محمد تقي المجلسي لهـم. لقد حرّض ميرلوحي شخصاً على هدم مزار (أبو نعيم الاصفهاني) مؤلـف (حلية الاولياء) بينما كان محمد باقر المجلسي يعده من أجداده ويتحدث عن كونه شيعياً.

---

[77] ــ رياض العلماء، ج٥،ص٢٥١-٢٥٢.

[78] ــ يراجع (تاريخ ادبيات...)ج٥، القسم١،ص١٨٤.

[79] ــ الذريعة، ج١٨،ص١٠٢.

أجل، لم يكن هذا هو الرأي السائد بين الفقهاء والمحدثين والعلماء، لقد كانوا يعتقدون ان تواجدهم في الساحة الاجتماعية وتصديهم، من شأنه تقوية وتعزيز المذهب الشيعي، وكان هذا التواجد والدور الاجتماعي غالباً ما يتجسد في مجالي التصدي للمناصب الدينية (القضاء ، والافتاء، وإقامة صلاة الجمعة، وممارسة الامور الحسبية) ونشر التعاليم المذهبية (تأسيس المراكز العلمية، وتأليف الكتب المتخصّصة والعامة) وفي بعض الاحيان كان بعضهم يرضى بتسنّم المناصب الرسمية الحكومية كالوزارة.

ويمكننا هنا نقل عبارات من رسالة في ترجمة الذات أو توضيح أحوال الشخص من قبله هو، كتبها **الفيض الكاشاني** تحت عنوان (شرح الصدر) يمكننا اعتبارها دليلاً في هذا المجال.

يقول الفيض في هذه الرسالة التي كتبها عام ١٠٦٥[٨٠]: انه اجتاز مراحل التعليم ودرجات الكمال شيئاً فشيئاً، موضحاً انه درس العلوم لسنوات طويلة على يد مشايخ عصره كالشيخ البهائي، والملا صدرا، والسيد ماجد البحراني في مختلف المدن، ثم طفق (يدرّس حديث أهل [بيت] العصمة ويؤلف الكتب والرسائل، ويقيم صلوات الجمعة والجماعة، ويمارس

---

[٨٠] ـــ ولد الفيض عام ١٠٠٧هـ، وبلغ من العمر اثناء كتابته هذه الرسالة ٥٨ عاماً، وعلى هذا الاساس يمكن ان نقطع بأنه لم يكن يبالغ في تبيان آرائه وأحواله، علاوة على ذلك فان هذه الرؤية لم تكن ذات طابع شخصي أو ثناء على الذات وانما يبدو ان عامة العلماء كانوا يحملون هذا النمط من التفكير.

السياسات المدنية، وكان في ذلك العهد، يرى ان شرفه مترلته وسمو مكانته أعلى وأسمى من ان يتقرب الى الحكام الدنيويين أو يلازمهم).

لكن هذا الشعور بالاستغناء لم يدم طويلاً، وبعث له الشاه الصفوي برسالة يبدي فيه رغبته في لقائه، وخلال ذلك اللقاء الشاه ان من واجبه (اي من واجب الشاه) ان يكون في خدمة الفيض (بمعنى ان يكون الفيض ملازماً للشاه). بيد ان الفيض رفض ذلك لأن (حواليه وحواشيه جمع من العلماء) و (انه مازال ساذجاً) و (ترويج دين مع وجود تلك الجماعة لا يتسيّر مع اتصافه بالسذاجة).

ودعي مرة اخرى، من قبل الشاه عباس الثاني لغرض (ترويج الجمعة والجماعة ونشر العلوم الدينية وتعليم معارف الشريعة) لكنه كان قلقاً من (الاستغراق في بحر الدنيا المترامي الاطراف عديم السواحل، وظل فترة متردداً حائراً، لأنه كان يشعر أن في داخله هاتفاً يقول له: إنه يستطيع عبر قبول هذا العرض ان لا يضيع دقيقة من الدقائق الا في ترويج الدين القويم والدعوة الى سلوك الصراط المستقيم)، وخاصة انه كان قد (تحدث مرة أو مرتين) مع الشاه وادرك الفيض ان الشاه (مهتم حقاً بتشييد أسس وأركان الدين القويم وترسيم مراسم الشرع المستقيم واقامة صلوات الجمعة والجماعة).

لكن اشخاصاً كان الفيض يمقتهم ويتأذى منهم حالوا دون تحقق هذا القصد و (تسببوا في حصول فتور في عزيمة النواب الاشرف) اي الشاه،

بحيث (انه لم تتح له فرصة ترويج شعائر ومراسم الشرع الالهي المطـــــهّر، ومنع وقوع المنكرات والنواهي) [81].

ويروي السيد نعمـــــــة الله الجزائري تلميـــذ ومساعد المجلسي ومن أكبر

محدثي ورواة أواخر سنيّ العهد الصفوي، يروي حلماً رأى فيــــه اســـتاذه المجلسي ـــ مؤكداً هذه الرؤية والنظرة.

يقول المجلسي للجزائري في ذلك الحلم، اني كنـــت مـــاراً بســـوق اصفهان يوماً، فرأيت الناس مجتمعين حول امرئ كان معروفاً بـــالانحراف والفساد عند الناس، وكنت أراه صالحاً، لكنني كنت خائفاً من التعبير عـــن ذلك، وكان الناس يضربونه او يسبّونه بسبب ديونهم في ذمته وعدم وفائــــه بها، فقلت مع نفسي، حتّامَ ينبغي أن أخشى مخلوقات الله ولا أخاف مـــن رب المخلوقات ولا أدافع عن هذا المسكين؟

فتقدمت نحو الناس وصحت فيهم وطلبت اليهم أن يــــتركوا الرجـــل وشأنه، ويطلبوا مني مايريدون، ثم أدّيت عنه ديونه ودفعت له مالاً يؤمّن به معيشته، حقاً لو لم يكن لي شأن دنيوي فهل كنت أتمكّن من إغاثة ذلـــك العاجز المسكين ومساعدته، وكيف كان يمكنني تخليصه من أيدي الناس؟

وبعد ان يروي الجزائري منام استاذه المجلسي يقول:

---

[81] ـــ توجد في مكتبة المرحوم آية الله المرعشي النجفي بقم نسختان مخطوطتـان من هذه الرسالة.

[استفقت من النوم وأدركت أن الذي كان يفعله المجلسي في حياته كان بناءً على المصلحة الدينية ومنفعة الاسلام والمسلمين][82]

وهذا الكلام سُمعَ في الحلم ولذلك لا يمكن القبول بأصل القصة ولا الاقتناع بنتيجتها، لكن علينا ان لاننسى أن ناقل الكلام هو الجزائري الذي كان من علماء عصره وخريجي منهجهم، وقد اعتبر الجزائري أن هذا التسويغ مقبول ويجعل من التصدي الاجتماعي للمجلسي سائغاً ومرضياً، وقد أوضحه الجزائري بهذه الطريقة، وفي الحقيقة، فقد اظهر الجزائري الذهنية السائدة والعقلية الموجودة بين علماء الشيعة في ذلك العصر.

ولا يخفى اننا نتحدث هنا عن علماء كبار من الدرجة الاولى كانوا يتألقون في جبين العهد الصفوي ولسنا غافلين عن هذه الحقيقة الدقيقة وهي انه يوجد في كل قوم اناس جهلة لا يسلكون السبيل الذي ينبغي ان يسلكوه، ويشير الفيض في رسالته آنفة الذكر الى هذا النمط من الاشخاص ويشكو (من جمع من المعمّمين الذين يدّعون الاجتهاد) لكن الذي سلّطنا عليه الضوء هو الاسس الفقهية لحركة علماء الشيعة[83].

---

[82] ــ الفيض القدسي، ص١٥٦-١٥٧.

[83] ــ يُعلَم من بعض التعابير والمقولات ومن أسماء أصحاب المناصب الرسمية أنه لم يكن جميع المتصدين لهذه المناصب ذوي مراتب علمية عليا، يقول الافندي في رياض العلماء (ج٢،ص٧٠) إن شخصاً لا يملك حظاً من العلم وبعد وفاة عمّه ــ الذي كان شيخ الاسلام باصفهان ــ تبوأ الشخص المذكور هذا المنصب. كما تطرق الى ذكر أحد شيوخ الاسلام في طهران وأبيه ــ الذي كان قبله شيخ

٥ــ ان سعي العلماء لتطبيق أحكام الشريعة وحمل الناس على الالتزام بتعاليم الدين وشعائره وآدابه كان يواجَهُ بمشاكل وصعوبات طيلة الحكم الصفوي، وخاصة على يد الشاه وأعضاء البلاط، فبعد لقاء المحقق الكركي مع الشاه اسماعيل في هرات، بدأت هذه المشاكل والمصاعب، فقبيل وصول المحقق الكركي صدر حكم قتل حفيد التفتازاني ــ الذي كان شيخ الاسلام في هرات ــ وطبّق الحكم بحقه، ولام الكركي الشاه على اصداره هذا الفرمان، وانتقده.

وقال مؤلف كتاب (جهانكشاي خاقان[٨٤]) في معرض حديثه عن فتح هرات أنه عُقِدت جلسات المناظرة والمناقشة بين علماء أهل السنة والشيعة بأمر الشاه:

[في المجلس الاول تباحث كل العلماء بحضور الشاه، ولأن مولانا سيف الدين احمد بن يحيى بن مولانا سعد الدين تفتازاني شيخ الاسلام بهرات ــ وكان طيلة ٣٠عاماً خلال عهد السلطان حسين ميرزا متصدياً للامور الشرعية في كل

الاسلام بطهران ــ: وكان هذا كأبيه لم يؤت حظاً من العلم (المصدر نفسه، ص٦٣ــ٦٤) ثم ينتقد الشيخ الحر العاملي لانه يذكر هؤلاء في عداد أهل الفضل والعلم.

[٨٤] ــ أُلف هذا الكتاب بين عامي ٩٤٨و٩٥٠ أي بعد وفاة الشاه اسماعيل ببضعة سنوات، وتضمّن تاريخ حكومته.

ولاية خراسان ــ كان سنياً متعصباً فانــه كــان يتكلم على النقيض من آراء الشــيعة... فــأمر بقتله،ومن فورهم بادر حرس الشاه الى قتله،وبعد مضي بضعة أيام على قتله، دخل خاتم المجتــهدين أعلم العلماء المتبحرين الشيخ علي بن عبد العــلي دار السلطنة بهرات، وأظهر تأسفه علــى قتلــه، وقال انه لو لم يقتل لاسكتناه بالحجج والــبراهين العقلية والمروية، وبعد اقتناعه وإلزامه بـــالحجج الدامغة فان أكثرية أهالي ما وراء النهر وخراسان تؤمن بمذهب الحــق مذهــب الشــيعة الاثــني عشرية][85].

وقيل إن تصرفات اخرى حصلت من المحيطين بالشاه ضد المحقق فغــادر ايران متذمراً مترعجاً وتوجّه الى النجف الأشرف، وبعد فترة حاول الشــاه طهماسب استرضاءه وأصدر فرمانه المشهور وعـــالج القضايــا الســلبية الموجودة.

وقد ازدادت هذه التحديات في العهود التالية، فقد كان أهــل البــلاط يتمردون على الالتزام بالاحكام الشرعية ويعصونها لكن الشاه يـــادر الى إخضاعهم لها.

---

[85] ــ يراجع: جهانكشاي خاقان، ص٣٩٤-٣٩٥.

فعلى سبيل المثال: ان الشاه اسماعيل كان في هرات (واطّلع على قيام بعض ملازميه بشرب الخمر، فأمر بهم فأدبوا وأخضعوا للحكم الشرعي تحت طائلة القوة)[٨٦].

وهكذا فعل الشاه عباس، فقد أراد ان يردع قادة ورؤساء العسكريين (قزلباش) عن السكر والمجون فأدّب بعضهم وعاقبهم، من أجل إرعاب الآخرين وإخضاعهم، فأمر أن يؤخذ محمد بيك شاملو كبير الفراشين ويركب على الحمار بالعكس، كما أمر بقطع لسان قلندر بيك استاجلو وقلع حدقتيه، فنفّذت أوامره بحقهم[٨٧].

لكن الملوك (الصفويين) أنفسهم مالبثوا ان انضموا الى أهل البلاط في مجونهم، وانتهجوا اللهو والعبث سيرة لهم، وتدهورت بسببهم أوضاع ايران وأحوال الايرانيين حتى وصلت الى السقوط والحضيض، وصعبت معالجة الأمر.

وبدأ شرب الخمر بشكل علني من قبل الملوك وتفاقم مجون وعبث أهل البلاط، وشاع تأسيس الخمارات والحانات و ارتكاب الاعمال اللاأخلاقية كلعب القمار وغيره، وهذا مالم يكن العلماء والمتدينيون يسكتون عنه أو يمرون به مرور الكرام.

---

[٨٦] ــ جهانكشاي خاقان،ص٣٩٢-٣٩٣.

[٨٧] ــ نصر الله فلسفي (زندكاني شاه عباس اول) ج٣،ص٩٢٥، للاطلاع على بعض العقوبات الشديدة والممارسات العنيفة للشاه عباس مع أهل البلاط وموظفي الحكومة الذين كانوا يقترفون المنكرات تراجع الصفحات ٩١٣-٩٣٠ من الكتاب.

بل ان تواجد غير المسلمين في العاصمة كانت له تأثيرات وعواقب وخيمة، أمثال البعثات الدبلوماسية الأجنبية أو الأمن أو الهيئات الدينية المسيحية، فكان الملوك يعطون لهذه الجماعات الحريات الكبيرة بدوافع مختلفة ــ من ناحية ــ مما يؤدي الى عواقب سيئة وظواهر لا تتناسب مع مسلتزمات البلد الاسلامي، ومن ناحية اخرى، كانت الاجراءات والممارسات المختلفة تجري على قدم وساق من أجل تنصير الايرانيين واجتذاهم الى الدين المسيحي.

كل هذه الامور كانت تزعج العلماء وتحزنهم وكانوا يبادرون احياناً لمنع وقوعها، بين الفينة والأخرى، ومن يعرف تعاليم القرآن والحديث ويعي شتى جوانب الاحكام الاسلامية يدرك حساسية أولئك العلماء تجاه تلك الأمور.

على اية حال، فقد أثمرت جهود العلماء المذكورين مراراً عن إصدار الملوك الصفويين اوامر و(فرامين) في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع معاقرة الخمر.

وأصدر الشاه طهماسب عامي ٩٣٩و٩٤١ عدة فرمانات (اوامر ملكية) الى المدن المختلفة اعلن فيها (على جميع المدن المحروسة ان تخلو من الحانات والملاهي والخمارات ومحلات القمار واللعب بالطيور)[88].

---

[88] ــ عبد الحسين نوايي (شاه طهماسب صفوي) ص٥١٣-٥١٤، وكذلك ورد في رسالة للسلطان سليمان العثماني بعثها الى الشاه طهماسب طلب منه فيها ان يغلق الحانات ويردع مرتكبي أعمال الفسق والفجور (تراجع:ص٣٢٥-٣٢٨).

وفي عام ١٠٢٩ منع الشاه عباس الاول معاقرة الخمر، بَيد أن ذلك لم يأم سوى ثمانية أشهر[٨٩].

وكما قال (منتظم ناصري) فان الشاه عباس الثاني أصدر أمراً (فرماناً) عام ١٠٥٢ بمنع شرب الخمر، وأصدره مرة أخرى بعد ١٢عاماً عام ١٠٦٤ أيضاً[٩٠].

وفي عهد الشاه سليمان الصفوي، أصدر امراً (فرماناً) بمنع شرب الخمر عام ١٠٩٦ بمساعي آقا حسين الخونساري[٩١]. وفي بداية سلطنة الشاه حسين الصفوي، وبطلب من محمد باقر المجلسي، منع المذكور شرب الخمر.

وسنتحدث عن الحكم الأخير في الفصل الثالث بالتفصيل ولكننا نشير هنا الى هذه النقطة وهي ان الملوك الصفويين وبقدر ابتعادهم عن سيرة أسلافهم (الصالحين منهم) كان ذلك بدفع وإغواءٍ من المحيطين بهم وحواشيهم، وكلما بدأوا بالإعراض عن التدين والالتزام بالشعائر الدينية، فان الفقهاء وعلماء الشيعة كانوا يترفعون عن معاشرتهم ويمتنعون عن مخالطتهم ومجالستهم، ويمنعون الناس عن مسايرة الجهاز الحكومي.

---

[٨٩] ـ ذبيح الله صفا (تاريخ ادبيات) ج٥، القسم الاول،ص١١١-١١٢ (نقلاً عن بيترو دلا والّه الرحالة الايطالي المعروف).

[٩٠] ـ حياة العلامة المجلسي، ج١،ص١٣٧ (نقلاً عن منتظم ناصري).

[٩١] ـ المصدر نفسه.

ويقدم (عين الحياة) شرحاً لوصيّة النبي (ص) الى أبي ذر (باللغة الفارسية) وبالطبع فان مخاطبي المؤلفات التي كتبها المجلسي باللغة الفارسية هم عامة الناس، وقد ضمّن المجلسي هذا الكتاب فصلاً في (**بيان مفاسد القرب من الملوك**)[92].

ويذكر أولاً ثماني مفاسد، ثم يضيف: (إن هناك مفاسد اخرى لا تتسع لها هذه الرسالة) ومن هذه المفاسد: **التعاون مع الظالمين، والمحبّة القلبية لهم، والرضا والسرور بأعمالهم القبيحة، وارتكاب الذنب والظلم في محافلهم ومجالسهم، والأهم من كل ذلك تمني بقاء الظالمين.**

وكان المجلسي يتحدث مع معاصريه وهو مطّلع ومهتم بما يجري في

زمانه، ولم يذكر شيئاً في ذلك التبيان عن ملوك آخرين وقبل هذه الصفحات بقليل كتب يقول:

[إعلم أن الملوك الذين هم على دين الحق، لهم حقوق على الرعية... وخصوصاً عندما يسلكون مع الناس سلوك العدالة][93]

إذن، فالمجلسي كان يقصد بالوصية والنصيحة التي قدمها في كتابه، الملوك المعاصرين له ويعلن المشاكل التي تسببها معاشرة الملوك ولذلك فانه يتحاشى القرب منهم ولا يشعر بالسرور.

---

[92] ـ عين الحياة، ص٥٠٢-٥٠٤.

[93] ـ عين الحياة،ص٤٩٩.

و لم يكن هذا حال المجلسي وحده، وانما جميع العلماء الذين كان لهم اتصال بالحكام، يحتفظون بتلك العلاقة مادامت تخدم الدين.

ومع أن لكهارت ذم المجلسي وعابه فانه صرح أن خطواته وأعماله كانت بدوافع دينية وليس منشؤها الحرص والطمع لديه[٩٤].

٦ـ ان الرأي السائد والمقبول بين معظم فقهاء الشيعة هو **عدم وجوب صلاة الجمعة** في عصر غيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن صاحب الزمان، وكان الفقهاء يفتون ـ قبل العصر الصفوي ـ بأن وجوب صلاة الجمعة التي وردت في القرآن يخص ـ استناداً الى مافهموه من الروايات والأحاديث ـ زمان وجود وحضور وبسط يد الامام المعصوم.

على سبيل المثال: فان **المحقق الحلي** يشترط للوجوب العيني لصلاة الجمعة وجو (السلطان العادل) أو الامام المنصوب والمعيّن من جانبه[٩٥]. وأورد **العلامة الحلي** مايقرب من هذا المضمون أيضاً[٩٦]. وأوضح ابنه **فخر المحققين** أن بعض الفقهاء يرون جواز اقامة صلاة الجمعة في زمن الغيبة في حالة التمكن من إقامتها، لكن بعضاً آخر ـ **كالسيد المرتضى** ـ يرفضون الوجوب وينفون جواز اقامتها في عهد غيبة المعصوم، كذلك[٩٧].

---

[٩٤] ـ (انقراض سلسلة صفوية) ص٣٨.

[٩٥] ـ محمد حسن النجفي (جواهر الكلام) ج١١، ص١٥١.

[٩٦] ـ فخر المحققين (إيضاح الفوائد) ج١، ص١١٨.

[٩٧] ـ (ايضاح الفوائد) ج١،ص١١٩.

وبالطبع فان عدداً من الفقهاء كانوا آنذاك يرتأون أن صـــلاة الجمعـــة واجبة وجوباً عينياً في عصر الغيبة اذا ما أقامها الفقيه الجـــامع للشـــرايط، وكان **الشهيد الاول** من هذه الفئة من العلماء، إذ أنه يـــرى أن الاجـــازة العامة والوكالة العامة المعطاة من الأئمة للفقهاء تشمل إقامة صلاة الجمعـــة أيضاً[98]. وهكذا كان **الشهيد الثاني** يميل هو الآخر الى هذا الـــرأي، بـــل ذهب الى القول أيضاً:

[لو لم يكن الأدعاء موجوداً بالاجماع على عـــدم الوجوب العيني لصلاة الجمعة في عصر الغيبـــة، لكان رأي الوجوب العيني ـــ مع افتراض اقامـــة هذه الصلاة بتوافر ســـائر شـــروطها ـــ قويـــاً جداً][99]

---

[98] ـــ الشهيد الثاني (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية)ج١، ص٢٩٩.

[99] ـــ الشهيد الثاني (الروضة البهية)ج١، ص٣٠١. لا يمكن هنا القطع بأنه هـــل تأثر الشهيد الثاني بقيام الحكومة الصفوية الفتية فأعلن هذا الرأي؟ ام ان ميولـــه ورغبته في التقريب بين المذاهب الاسلامية كانت لها دور فـــي إصـــدار هـــذه الفتوى؟ لا يمكننا الجزم هنا برأي معيّن. وقد أثرت آراء الشهيد الثاني ـــ كمـــا قال صاحب الجواهر ـــ على آراء من جاء بعده من الفقهاء والمؤلفيـــن، ومـــن جملتهم تلميذه وملازمه حسين بن عبـــد الصمـــد الحـــارثي (يراجـــع: جواهـــر الكلام/ج١١، ص١٧٨ ولقد وقفت على جملة من الرسائل المصنفة في المســـألة نسجوا فيها على منوال هذه الرسالة).

لقد أدى تأسيس الحكومة الصفوية الى اعادة النظر في هذا الحكم لعـــدة أمور:

الاول: ان بعض العلماء سجّلوا حضورهم في المدن الكبيرة، بعد إعطـاء السلطان لهم رسمياً صلاحيات واختيارات معينة، و لم يكن باســـتطاعة أي أحد أو مسؤول حكومي، مواجهتهم او تجاهلهم.

والثاني: ان سكان كثير من المدن كانوا قد تشيّعوا لتوّهم، وكان مـــن الصعب عليهم ان يتركوا تطبيق حكم القرآن الصريح ـــ باقامـــة صـــلاة الجمعة ـــ بعد اعتناقهم المذهب الجديد، وبعبارة اخرى، انهم كـــانوا قـــد تعوّدوا على طبيق هذا السنّة، و لم يكن من السهل عليــــهم ان يتركوهـــا بسهولة.

الثالث: ان صلاة الجمعة ظلت تقام من قبل أتباع بقية المذاهب و لم يكن اولئك يترددون في وجوبها استناداً الى الأمر الصريح الـــوارد في القـــرآن والسنة المقطوع بها المروية عن رسول الله، وبالطبع فان عدم اقامتها من قبل الشيعة كان يعطي مخالفيهم بعض المسوّغات والذرائع ليمارسوا الاعــــلام المضاد للشيعة.

ويلتفت حسين بن عبد الصمد العاملي في (رسالة في صلاة الجمعة) الى هذه النقاط، وكان يعتقد انه باقامة الحكم العلوي الحسيني الطهماسبي فلـــم يعد ثمة مانع لإقامة صلاة الجمعة ولذلك من الواجب الامتثـــال لأمـــر الله

ورسوله والأئمة[100]. وعندما كان العاملي نفسه شيخ الاسلام في مدينة هرات، كان يقيم صلاة الجمعة[101].

وهكذا كانت صلاة الجمعة من أهم المباحث الفقهية في العصر الصفوي، ونادراً ماكان فقيه لم يتطرق اليها أو لم يؤلف فيها رسالة أو كتاباً.

وقد أورد الفاضل المحترم رسول جعفريان قائمة بعناوين هذه الكتب والرسائل ومؤلّفيها مع اعطاء توضيحات لما تضمنتها بعض تلك البحوث[102].

والنقطة التي تستحق الامعان والتأمّل أن معظم مؤيدي وجوب إقامة صلاة الجمعة كانوا من العلماء الاخباريين، وأكثر معارضي وجوبها أو مدّعي حرمتها من أتباع المنهج الاصولي، بحيث إن بعض المؤلفين و الباحثين اعتبروا هذا الأمر أحد الفوارق بين المنهجين الاخباري والاصولي. والطبع فان هذا الرأي ليس دقيقاً، اذ لم يكن الاخباريون المعارضون لوجوب صلاة الجمعة والاصوليون المؤيدون لاقامتها، قليلين[103].

---

١٠٠ ــ أورد هذه الرسالة أغا بزرك الطهراني في (الذريعة) ج١٥،ص٧٠ ونقل عنها الموضوع المشار اليه.

١٠١ ــ (رياض العلماء) ج١،ص١١٥.

١٠٢ ــ يراجع: (دين وسياست در عصر صفوي) ص١٢١ ــ ١٨٠، و (الذريعة) للشيخ أغا بزرك الطهراني ج١٥/ص٦٢-٨٢، فقد ذكرا كثيراً من هذه الرسائل والبحوث.

والأهم من ذلك، أنه كانت هناك مشكلة أخرى، فقــــد لجـــأ بعـــض الأشخاص أو بعض كبار العلماء من أجل الاستدلال والبرهنة على عــــدم وجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة أو حرمتها ــ عن وعي أو لاوعــي ــ الى استخدام الاساليب النفسية، وعقّدوا الامور وصعّبوها على المعتقديــــن بوجوب او جواز اقامتها.

فقد كان هؤلاء يقولون ان هناك اسباباً اخرى وراء رغبة واصرار مــــن يعتقدون باقامة صلاة الجمعة والمبادرين لاقامتها تتمثل في حــــب الرئاســـة وحب الدنيا، وحتى الشيخ محمد حسين النجفي لوحظ أنه ــ في كتابــــه القيم جواهر الكلام ــ على الرغم من تصريحه انه قــــرر جعـــل الدليـــل والاستدلال هو المعيار وهو الاساس لما يقوله و لم يجـــدر بـــه اللجـــوء الى الاساليب الخطابية، بيد أنه يبدو ــ في بحثه لصلاة الجمعة ــ قد فقد عنـــان قلمه وبعد تفنيده أدلة وبراهين القائلين بالوجوب العيني لصلاة الجمعة، فانه صرح بأن ثمة دوافع اخرى لدى الذين يقولون بجواز اقامتها أو وجوبهـــــا، مستشهداً بالمنافسات الخاطئة والتنافس غير المقبول بـــــين (بعـــض أهـــل العمائم)[104].

---

[103] ــ كان الملا خليل القزويني اخبارياً ومعارضاً لوجوب اقامة صلاة الجمعـــة في عهد الغيبة، وفي المقابل كان الشهيد الثاني وحسين عبـــد الصمـــد العـــاملي يقولان بوجوبها العيني .

[104] ــ جواهر الكلام، ج١١،ص١٧٨ ــ١٧٩ (يقول المؤلف بعـــد ذكـــره تلـــك العبارات، هذه الجملة بحق: [وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمارة بالســـوء إلا مـــا رحم ربي] اشارة الى ما ورد في سورة يوسف ــ الآية ٥٣.

ولاشك في أن الاشخاص يختلفون مـــن حيـــث نوازعـــهم الداخليـــة ودوافعهم الذاتية، وربما حاول بعضهم طلب الدنيا عن طريق العلم والديـــن والشعائر الدينية، بيد أنه ماهو ملاك ومعيار التقويم والتمييز ومـــــاهي اداة معرفة وجود هذا النازع أو ذاك الدافع ومدى تواجده لدى هذا الشـــخص أو ذلك؟

ان إلصاق تهمة حب الدنيا بحماة نظرية وجوب إقامة صـــلاة الجمعـــة صحيحة أو خاطئة بنفس القدر الذي يكون إلصاق تهمة الابتعاد عن تحمـــل المسؤولية وطلب العافية بمخالفي هذه النظرية.

ومن الوضوح بمكان أن أياً من هذه الامور غير قابلة للاثبات أو الابطال خلال فترة حياة الأشخاص القصيرة، لكن طرح مثل هذه الاحتمالات لـــه تأثيره النفسي، فكثير من الأشخاص وخوفاً من أن يتهَموا بطلب الدنيـــا لا يرون بدّاً من اختيار طريق العزلة وسبيل الابتعاد عن المجتمع، بينما يتحاشى آخرون اتهامهم بطلب العافية والتنصل عن المسؤولية فلذلك يبـــادرون الى حمل عبء كبير لم يريدوه يفوق طاقتهم، وفي هذا البين يبقى ثمـــة افـــراد قليلون يختارون عملهم وينتخبون طريقهم بارادتهم المحضة.

على أي حال، لنصرف النظر عن هذه القضية، ولنذكّر هـــذه النقطـــة وهي انه من باب المصادفة فإن هناك أفراداً من بين علماء العهد الصفـــوي وشيوخ الاسلام المعروفين آنذاك كانوا يخالفون وجوب صلاة الجمعة، وهم ليسوا قليلين.

والمحقق **الكركي** أول شيخ للاسلام رسميـــــــاً في ذلك العهد كـــــان لايرى

الوجوب العيني لصلاة الجمعة، بل ان أغا **حسين الخونساري** شيخ الاسلام في عهد الشاه سليمان كان يخالف ويعارض اقامة صلاة الجمعة، وهكـــــذا كان الامر بالنسبة **للشيخ علي نقي كمرئي** شـــيخ الاســـلام بشـــيراز ثم اصفهان.

والأطرف من كل ذلك النقطة التي أشار إليها محمد باقر المجلسي، فقـــد أدرك هذه الشبهة وعرف أنه سيكون هو الآخر في مظان الاتهام بالدرجـــة الاولى، ولذلك نجده وبعد نقل الأدلة الفقهية والروائية عن الشهيد الثـــاني بالوجوب العيني لاقامة صلاة الجمعة، يقول:

[انه (الشهيد الثاني) من أبرز الفقهاء المتـــأخرين وحتى المتقدمين الذين نالوا سعادة الشهادة بينمـــا لم يكن مهتماً بالسعي لتحقيق الغايات (الدنيويـــة) اذ لم يكن من الممكن إقامة صلاة الجمعة في منطقة سكنه من قبل علماء الشيعة][١٠٥]

وهذا الدفاع من المجلسي يعبّر عن رؤى وعقليات كانت سائدة آنـذاك، وهي تستحق التمعن والتوقف عندها.

٧ــ الحركة الأخرى التي بدأت في عهد الصفويين: العودة الى النصوص الروائية وتدريسها كمناهج دراسية مقترنة بشروح و حواشٍ كثيرة لمصـــدر

---

[١٠٥] ــ البحار، ج٨٦، ص٢٣١.

الحديث، وليس لهذه الحركة والحركة الاخرى التي سيشار اليها في الفقرة التالية ارتباط أو علاقة مباشرة ــ في الظاهر ــ بالحكومة الصفوية، ولكن بما أن ازدهارها ونموها قد تم في ظل تلك الحكومة، ولذلك رأينا لزاماً علينا الاشارة إليها بشكل موجز.

فالشيخ **أغا بزرك الطهراني** وبمناسبة التعريف بالمجاميع الروائية الكبيرة يذكر أسماء الشروح والحواشي والتعليقات الكثيرة عليها، ويذكر توضيحات مفيدة بشأنها، والنقطة الجدير بالتمعّن و الاهتمام هي أن جميع تلك المؤلفات والآثار ظهرت أو كتبت في القرن العاشر ومابعده، ولا يستبعد أن تكون هذه الخطوة تعبيراً عن رد الفعل في قبال المنهج الاصولي، رغم أنه لا يمكن اعتبارها تعكس تزايد نفوذ المنهج الاخباري، بدقة.

ذلك لأنه **أولاً**: كان بين اولئك الشارحين أشخاص ملتزمون تماماً بالمنهج الاصولي القائم، **وثانياً**: كان بين شارحي تلك الكتب اشخاص بعيدون كل البعد عن المنهج الأخباري وحتى الاصولي، والاحتمال الآخر هو أن الميل نحو المنهج الأخباري كان ذا تأثير واضح في نمط قراءة وفهم كثير من العلماء للأحاديث، والأهم من ذلك ان توافر ظروف جديدة، أي حرية التأليف والتدريس لهذه الكتب كان ذا تأثير أساسي في هذه الحركة.

على أي حال، بناء على ما أورده العلامة الطهراني، فقد كتبت شروح وحواشٍ كثيرة على كتاب الكافي، وبعضها كان يشمل القسم المسمى

اصطلاحاً بـ (أصول الكافي)[١٠٦]. وبعضها الآخر يخص البحوث والموضوعات الفقهية للكافي وبعضها الآخر كانت تشمل جميع مضمون الكتاب.

---

[١٠٦] ـ ألف محمد بن يعقوب الكليني طيلة عشرين عاماً موسوعة روائية تشمل ٣٠ كتاباً أسماها (الكافي) ليكون مفيداً ونافعاً في جميع المباحث والموضوعات الدينية ولذلك فانه يتضمن القضايا العقائدية والأخلاقية والفقهية والقرآنية، ويبدأ الكافي بموضوع العقل والجهل نظراً للأسباب التي أوردها المؤلف في كتابه، ونظراً لأهمية موضوع العقائد فانه جعل كتاب التوحيد وكتاب الحجة في القسم الثالث والرابع من الكتاب والمؤلفون الذي تحدثوا عن الكافي قالوا إنه يقع في ٣٠كتاباً (منهم مثلاً رجال النجاشي، ص٣٧٧) والذين نقلوا الاحاديث في هذا الكتاب كانوا يثبتون أولاً أسم المؤلف بناءً على السنّة القديمة)كابن بابويه في من لايحضره الفقيه، والتوحيد، والشيخ الطوسي في (الاستبصار والتهذيب) أو ذكروا أسم الكتاب أولاً (كمحمد باقر المجلسي في بحار الأنوار) لكنهم لم يطلقوا على قسم منه عنوان (الاصول) مطلقاً.

وهذا الاصطلاح أبتدع في عهد كتابة الشروح، اذ كان بعض العلماء يرغبون في كتابة شروح على الكتب والموضوعات العقائدية للكافي واطلقوا على هذه البحوث اسم (الاصول) (في مقابل الفروع) في ضوء كون الموضوعات الكلامية يُطلق عليها (اصول الدين). على سبيل المثال:

ان صدر المتألهين كتب شرحاً للكافي ذكر في مقدمته المكانة السامية لهذا الكتاب، وقال إنه سيبدأ عمله بشرح الاصول التي تستنبط منها الفروع (شرح أصول الكافي، الطبعة الحجرية، ص٣-٤) وأطلق على هذا الشرح الذي لم يصل سوى الى قسم من (كتاب الحجة) اسم (شرح أصول الكافي).

وهذه الشروح هي ــ في الغالب ــ باللغة العربية، وبعضها كُتِب باللغة الفارسية، ومن الشرّاح المعروفين للكافي يمكن هنا ذكر **الميرداماد** (مؤلف الرواشح)، **والملا صالح المازندراني، وصدر المتألهين الشيرازي** (صاحب شرح أصول الكافي)، **والملا محمد امين الاسترابادي، والملا رفيعا الكيلاني، والملا خليل القزويني** (مؤلف الشرحين الفارسي والعربي للكافي، والثاني لم يكتمل كله) **والميرزا رفيعا النائيني ومحمد باقر المجلسي** وكلهم من علماء القرن الحادي عشر، ومحمد باقر المجلسي وحده هو الذي توفي في القرن الثاني عشر[١٠٧].

ومن شروح (**من لايحضره الفقيه**) يحظى الشرحان الفارسي والعربي لمحمد تقي المجلسي بأهمية بالغة، فالشرح الفارسي عنوانه (**لوامع صاحب قراني**) والشرح العربي عنوانه (**روضة المتقين**) واعتبر عمله هذا من بركات استاذه **الشيخ البهائي**، ويتضمن شرحه كثيراً من النقاط المفيدة والموضوعات القيّمة التي اعتبرها من فيوضات وتعاليم استاذه **الملاّ عبد الله الشوشتري**.

ويبدو أنه من ذلك الحين فصاعداً أطلق على اقسام من كتاب الكافي عنوان (اصول الكافي) بينما لم يكن اطلاق هذا الاسم صحيحاً تماماً، لانه يتضمن بحوثاً أخلاقية، وبعض الاحكام الفقهية والموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم، شملها هذا القسم، بينما تقع بعض الموضوعات المتعلقة بالعقائد ــ طبقاً لتبويب المؤلف ــ في القسم المسمّى الان بــ (فروع الكافي).

[١٠٧] ــ يراجع: (الذريعة) لأغا بزرك الطهراني ج٦،ص١٧٩ ــ ١٨٤، و ج١٣،ص٩٤ ــ ١٠٠و ج ١٤،ص٢٦ ــ ٢٨.

وتوجد عدة حواشٍ على (**من لايحضره الفقيه**) كتبها علمـــــاء افــذاذ كالشيخ البهائي ومير علاء الدين حسين المعروف بــ (خليفة السلطان) ـــ المتوفى عام ١٠٦٤ [١٠٨].

وهناك حواشٍ وشروح كثيرة قيمة **للتهذيب والاستبصار** قام بتأليفــــها أشخاص **كميرداماد، والملا محمد تقي المجلسي، والملا محمد طاهر القمـي، والملا عبد الله الشوشتري، ومحمد تقي المجلسي، والشيخ عبد اللطيـــف العاملي، والسيد ماجد البحراني، ومحمد صالح الخاتون آبادي، ومحمد بن حسن بن زين الدين، وحميدة بنت ملا محمد الرويدشتي، وعلـــي بـــن سليمان البحراني (الملقبة بأم الحديث)*. والملا عزيز الله المجلســي** (الاخ الأكبر لمحمد باقر المجلسي) **والملا عبد الله** الاخ الآخر للمجلسي **والقــاضي نور الله الشوشتري**[١٠٩].

وبذلك يُعرف أن النزعة الحديثية والميل نحو الروايات غدا الاتجاه الغــالب والمقبول في النصف الثاني من العهد الصفوي.

---

[١٠٨] ــ الذريعة ج٦،ص٢٢٣-٢٢٥، وج١٤،ص٩٣-٩٤.

* هذه العبارة وضعها المؤلّف بعد اسم علي بن سليمان وأعتقد أن الموصـــوف بها هي حميدة بنت الملا محمد الرويدشتي (المترجم: جبارة).

[١٠٩] ــ الذريعـــة، ج٢،ص١٤-١٦، وج٦،ص١٧-١٩و ٥١-٥٣،و ج١٣،٨٢-٨٧ و ١٥٥-١٥٩.

٨ـ إن الاتجاه الاخباري ورداً على الحركة الفقهية لمجتهدي الشيعة نضج من خلال تأليف كتاب (الفوائد المدنية) على يد **الملا محمد أمين الاسترابادي** في مكة (توفي الملا عام١٠٣٣).

درس الاسترابادي في النجف الأشرف ومن أساتذته حسن بن زين الدين صاحب المعالم والسيد محمد صاحب المدارك، وبناء على ذلك فانه يعود الى مدرسة جبل عامل، لكنه ابتعد عن هذه المدرسة، وكما قال صاحب الحدائق فانه فتح باب الطعن في المجتهدين الشيعة[١١٠].

وحول دوافع الاسترابادي وحوافزه التي دفعته للقيام بتلك الخطوة، كتبت العديد من البحوث والكتب، ووردت آراؤه في كثير من المؤلفات، منذ ذلك الحين[١١١] ولربما كان علي حسين الجابري خير من عرّف المنهج

---

[١١٠] ـ لؤلؤة البحرين، ص١١٧.

[١١١] ـ من جملة الكتب التي ألّفها العلماء الماضون يشار الى كل من: (الفوائد المكية) تأليف السيد نور الدين علي بن السيد علي العاملي (أخ صاحب المدارك) المتوفى عام ١٠٦٨، و (منية الممارسين) لعبد الله بن صالح السماهيجي، المتوفى بالبحرين عام ١١٣٥) و (الاجتهاد والاخبار والفوائد الحائرية) للوحيد البهبهاني (المتوفى عام ١٢٠٥).

وكتاب (منية الممارسين) يدافع عن النظرية الاخبارية، اما الكتب الاخرى فانها ألّفت في نقد آراء الاخباريين، وفي السنوات الاخيرة، كتبت العديد من البحوث والتحقيقات حول هذه النظرية مثل (الفكر الفلسفي عند الشيعة الامامية) تأليف علي حسين الجابري) و (مصادر الاستنباط بين الاصوليين والاخباريين) تأليف محمد عبد الحسن محسن الغراوي.

الأخباري فاعتبره من نمط المدرسة السلفية لدى أهـــل السـنّة. وبــالطبع فأنـــــه

ـــ وفقاً لهذا الرأي ـــ ينبغي اعتبار المدرسة الاخبارية نزعة واتجاهاً يميل نحو الروايات والأخبار الواردة عن العترة النبوية.

ولم يك الاستراباذي يقصد بآرائه اصول الفقه وحسب بل كانت آراؤه تشمل جميع فروع العلوم الدينية.

على سبيل المثال، فانه كتب في (الفوائد المدنية): لو أن علماء الشيعة قد قصدوا الأحاديث المروية عن العترة في تدوين الفـــروع الثلاثـــة: الفقـــه، واصول الفقه، والكلام، لكان ذلك أفضل لهم[112].

وقد كتب بعض الباحثين الغربيين مقالات وبحوثاً في هذا المجال منها البحـــث الذي كتبه (أندرو ـــ ج ـ نيومن) تحت عنوان (ماهية النزاعات بين الاخبــاريين والأصوليين في نهاية العهد الصفوي في ايران) في ترجمته للمسألة السابعة مـــن منية الممارسين للأهيجي، والذي طرح فيه أوجه الاختـــلاف بيـــن الاخبـــاريين والأصوليين، وحلّل آراءهم، وقد طبع هذا البحث في (نشرة معـــهد الدراســـات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن) عام ١٩٩٢، (ترجمت عام ١٩٩٠ كتاباً للســـيد محسن آجيني تحت عنوان (النقاط وتحجُّر ازديدكاه شهيد مطهري) أي: الالتقـــاط الفكري والتحجر العقائدي في منظار الشهيد المطهري تطرّق الـــى الموضـــوع نفسه ـــ رعد جبارة).

[112] ـــ الفوائد المدنية،ص٣٠.

لكن الانعكاسات والأصداء الايجابية والسلبية المترتبة على الحركة الاخبارية برزت في مجالي الفقه والاصول وكتبت العديد من الرسائل والبحوث في بيان أوجه الافتراق بين المدرستين الاخبارية والاصولية.

وبالرغم من أن المدرسة الاخبارية حظيت بأتباع و مؤيدين كثيرين في القرن الرابع الا أنها لم تُعتبر أبداً خارجة عن الحركة العلمية للشيعة[113] بيد أن الاسترابادي قسَّم علماء الفرقة الناجية الى اخباري ومجتهد ومضى بعيداً حتى اعتبر علماء الشيعة من هدّامي الدين[114]، وكسبت هذه النظرية ــ منذ ذلك العهد ــ اتباعاً وانصاراً، ومال إليها بعض العلماء، ميلاً شديداً، بينما انبرى لنقدها علماء كثيرون وكتبوا في ردها والاجابة على استشكالاتها التي كان طرحها الاسترابادي.

كما ان جماعة قليلة أيدوا اساس هذه الفكرة، نظرياً، لكنهم لاموا الاسترابادي وانتقدوه على تطرفه وافراطه، وكان يوسف البحراني آخر فقيه شهير لهذه النِّحلة سمى هذه المجموعة الاخيرة من الأخباريين المعتدلين (طريقاً وسطى) واعتبر نفسه في عدادها[115].

---

[113] ــ بعد ظهور المنهج الأخباري، صار يطلق على المتقدمين كالكليني والصدوق ــ وهما أشهرهم على الاطلاق عنوان الاخباريون القدماء (راجع: مصادر الاستنباط ــ ص٥٤).

[114] ــ الفوائد المدنية،ص١٨٠ و٢٥٣و٢٥٦.

[115] ــ الحدائق الناضرة، ج١، المقدمة الثانية.

وبانتشار النظرية الاخبارية في مدن ايران، والعراق، والبحرين فان عدداً كبيراً من العلماء الكبار إن لم نقل انضموا إليها فانهم تعاطفوا معها ونظروا إليها نظرة ايجابية.

فمثلاً ان الملا محسن الفيض الكاشاني انتهج علناً المنهج الاخباري، وأطلق لسانه - كالاسترآبادي - بانتقاء علماء السلف، كالشيخ الطوسي وأتباعه.[١١٦]

وكتب كل من محمد بن الحسن الحرّ العاملي في مشهد، والملا محمد طاهر القمي في قم، وزين الدين بن محمد بن حسن الساكن في مكة وعبد الله بن صالح السماهيجي في البحرين وبهبهان كتاباً في الدفاع عن هذه النظرية كتباً.

لكن بعضاً آخر من الفضلاء نظروا بعين التقدير الى الاسترآبادي نظراً لمساعيه وجهوده في مجال احياء الحديث والرواية ومعالجاته وكتاباته الانتقادية لآراء المجتهدين السابقين، على الرغم من عدم موافقتهم على اسلوبه في الكتابة.

وقد أيد محمد تقي المجلسي في شرحيه لكتاب (**من لا يحضره الفقيه**) باللغتين العربية والفارسية، أيد خطوة الاسترآبادي بصراحة، معلناً سروره «لقيام الفاضل المتبحّر مولانا محمد امين الاسترآبادي - رحمهُ الله - بمقارنة

---

[١١٦] ـ وكتابه (**سفينة النجاة**) كما قال الشيخ يوسف البحراني، مليء بنقد المجتهدين وذمّ علماء الشيعة (لؤلؤة البحرين، ص ١٢١)

وتحقيق أخبار وروايات المعصومين صلوات الله عليهم» وأيــــد «طريقــة أصحاب حضرات الأئمة المعصومين».

واشار الى أصداء وانعكاسات الحركة الاخبارية في الحوزات العلميــة، وكتب ان الاسترآبادي بعث كتابه (**الفوائد المدنية**) الى هذه البلـــدان وان معظم أهل النجف الأشرف والعتبات المقدسة استحسنوا طريقته وعـــادوا الى الاخبار وراجعوا الروايات.[١١٧] وبالطبع فان محمد تقي المجلسي تطــرق في موضع آخر من كتابه، الى نظراته وآرائه الاخباريـــة واعتــبر كــلام الاسترآبادي حاداً ومتطرفاً ومشتملاً على العديد من التناقضات.[١١٨]

وتشير مصادر أُخرى الى تزايد قوة المدرسة الأخباريــة في الحــوزات العلمية وخاصة حوزة كربلاء، واستمر ذلك حتى ظهور الوحيد البهبــهاني في اواخر القرن الثاني عشَر.

فقد بادر الوحيد البهبهاني - اعتماداً على قدراته وقابلياته العلمية، وفي ضوء معرفته بأُسس وأُصول المجتهدين وآراء الاخبـــاريين - الى اصـــلاح الحركة العلمية للحوزات. وكان للنهج المعتدل الذي امتـــاز بـــه العـــالم الاخباري المعاصر له الشيخ يوسف البحراني، تأثير مهم، فمن خلال النقاش والمناظرة والتعارض بين النظريتين، ظهر الرأي الصائب وحصحص الحق.

وان الوحيد البهبهاني - وخلافاً لما يقال عنه أحياناً - لم يحـــي علـــم الاصول وطريقة اسلافه ويصون الوضع السابق، بل أدخل العناصر الايجابية

---

[١١٧] ــ اللوامع لصاحب قراني، ج ١، ص ٤٧.

[١١٨] ــ روضة المتقين، ج ١، ص ٢١.

والنواحي المفيدة للنظرية في الصيغ والاساليب العلمية لحركـــة المجتـــهدين (والمدرسة الاصولية) مما زاد في سموّ مترلة وشأن فكرة الاجتهاد.[119]

لكن ما لا مناصٌ من ذكره في هذه العجالة ونتناوله في موضع آخـــر مـــن الكتاب هو الدور المعتدل لمحمد باقر المجلسي في هذا التحـــدي العلمـــي. ويذكر يوسف البحراني في معرض شرحه لمســـيرته العلميـــة في مقدمـــة (الحدائق)، أنه كان لسنين طويلة من جملة الاخباريين المتشددين، ومن أشد معارضي المجتهدين والمنكرين عليهم، إلا أنه قرر - بعد التأمل والتفكـــير - انتهاج سبيل الاعتدال، وطفق لا يرى من الصواب حصول أي انشقاق بين صفوف العلماء الشيعة.

ويعد البحرانيُّ المجلسيَّ من روّاد وطلائع هذا النهج المعتدل ويبدو أنـــه يعتبر انخراطه في هذا السبيل يعود الفضل فيه للمجلسي نفسه[120] هـــذا في الوقت الذي يرى المحققون والمورخون لفقه الشيعة - بالاجمـــاع - أهميـــة

[119]ـ للمزيد من الاطلاع على تاريخ الحركة الاخبارية وتطوراتـــها، تراجـــع (دانشنامه جهان اسلام) موسوعة علماء العالم الاسلامي، المجلد الســـادس، ص ٩٧٢ - ٩٧٦، مادة (البحراني، يوسف) لكاتب هذه السطور، و(تاريخ فقه وفقها) تاريخ الفقه والفقهاء، القسم الثاني، الفصل الخامس [من منشورات جامعـــة بيـــام نور (رسالة النور) من تأليف الكاتب أيضاً.

[120]ـ الحدائق الناضرة، ج ١، المقدمة الثانية.

الدور الايجابي لنهج البحراني مهماً في تغلُّب وانتصار الوحيد البهبهاني على المدرسة الاخبارية .[121]

ومن ناحية، نرى المجلسي يَعتَبِر الاسترآبادي «**رئيس المحدّثين**»[122] ومن ناحية أُخرى، فانه لا يتحمل ولا يطيق انتقاداته الحادة وشتائمه اللاذعة وتعابير انصاره، بحق علماء السلَف.

ونجده في (**بحار الأنوار**) عندما يشرح حديثاً من أحاديث نهج البلاغة، يوضح أن علماء الدين يختلفون اثناء سعيهم لرفع التعارض (الظاهري) بين الاحاديث ويظهر فيما بينهم الخلاف في وجهات النظر، بيد أن هذا الخلاف يكون مغفوراً ومهضوماً بسبب كونه ليس ناتجاً عن التقصير في التعمق والبحث، وليس خارجاً عن الانتظار وليس امراً مفاجئاً لأحد، ثم يضيف :

[واذا تبصّرت وتأملت في هذا التعبير، بطلت وزالت عنك كثير من التشنيعات والتهم التي ألصقها بعض المتأخرين بالعلماء الكبار ذوي السيرة الطيبة المرضية].[123]

---

[121]ـ دانشنامه جهان اسلام (موسوعه علماء العالم الاسلامي) المجلد السادس، ص ٩٧٥.

[122]ـ البحار، ج ١، ص ٢٠.

[123]ـ البحار، ج ٢، ص ٢٨٤.

وهناك نماذج ومصاديق اخرى من فكر المجلسي ونهجه العلمي المعتـدل سنوردها في الفصول الاخرى من الكتاب.

٩ـ ان الميل نحو فهم المعاني الباطنية للنصوص الدينية كان موجوداً منذ القدم بين علماء الشيعة، و لم يكن نقل ورواية الاحاديث الكثيرة في تبيـان النواحي الخفية والمعاني الباطنية للدين، عديمة التأثير في هذا الامـر. مـن جملتها الرواية التي تؤكد أن للقرآن معنى ظاهراً وسـبع معـانٍ متداخلـة ومستترة.[١٢٤]

كما ورد في بعض روايات الشيعة خلال شرح معنى الحديث النبـوي المشهور **{إن القرآن نزل على سبعة أحرُفٍ}** ان المراد مـن الأحـرف السبعة أن له سبعة معانٍ (بطوناً)[١٢٥] وبالطبع فان هناك مناقشات كثـيرة حول هذا الحديث النبـوي المشهور، منهـا مـا يخـص سـنده وأقـوالاً تبيّن المقصود والمعنى المراد منه، يجدها المتتبع في مصادر الشيعة الامامية[١٢٦].

فضلاً عن هذا، فقد استند في عدة روايات الى قوله تعالى في القـرآن **{ونزّلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيءٍ}** [١٢٧] في إثبات احتـواء ألفـاظ القرآن على معانٍ باطنية.

---

[١٢٤]ـ البحـار، ج ٨٩، ص ٩٠ – ٩٧ و٣٧٧ – وتفسـير الصـافي، ج ١، الصفحات ٢٩ – ٣٩ و٥٩.

[١٢٥]ـ الخصال، ج ١، ص ٢٥٨ – وبصائر الدرجات، ص ٩٦، ونقلاً عنهما في البحار، ج ٨٩، ص ٨٣ و٩٨.

[١٢٦]ـ تفسير الصافي، ج ١، ص ٥٩ – ٦١، والبيان ص ١٨٧ – ٢١١.

وجاء في تلك الروايات أن هذه الآية تخبر بأن القرآن يشتمل على جميع الحقائق بينما لا يبدو أن ظاهر ألفاظ القرآن لا تفيد بوجود هذا الشمول.[١٢٨] وبالطبع جاءت في روايات الأئمة هذه النقطة وهي ان تبيان المعاني الباطنية واستخراج حقيقة المراد من ألفاظ القرآن الكريم من العلوم التي اختص بها الأئمة ولم تكن في متناول عامة الناس.[١٢٩] ويورد الكليني بهذه المناسبة هذه الرواية عن الامام الصادق (ع) :

[ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجلّ ولكن لا تبلغه عقول الرجال][١٣٠]

كما ان روايات اخرى فسّرت ما ورد في الآية (٧) من سورة آل عمران والآية (٤٩) من سورة العنكبوت بأنها تعني النقطة المذكورة آنفاً وهي أن للقرآن معانيَ باطنية ويقع استنباطها على عاتق الأئمة.

---

[١٢٧] ـ النحل / ٨٩.

[١٢٨] ـ الكافي، ج ١، ص ٢٢٩ - والبحار، ج ٨٩، ص ٨٥ - ٩٠.

[١٢٩] ـ الكافي، ج ١، ص ٢٢٩ - والبحار، ج ٨٩، ص ٨٥ - ٩٠.

[١٣٠] ـ الكافي، ج ١، ص ٢٨٨ - والبحار، ج ٨٨، ص ٨٥ - ٩٠.

(بحثت طويلاً في الصفحة والجزء المذكورين من الكافي فلم أجد تلك الرواية وبقيت متحيّراً في الأمر كيف أعثر على متن الرواية فترجمتها بالمعنى اولاً، ثم عزمت على البحث في الكتاب صفحة فصفحة حتى وجدتها في ص ٦٠ وكتبت نصّها، - المترجم).

وتوحي اسماء بعض الكتب وعناوين المؤلفات المنسوبة الى أصحـــاب واتباع الأئمة بأن نظرية وجود معانٍ باطنية للقرآن كانت رائجـــة بـــين الشيعة، منها : **(تفسير الباطن - تأليف علي بن حسّان بن كثير الهـاشمي)** و **(تفسير الباطن - لمحمد بن اورمه)**[131]

مع كل ذلك، فقد كانت هناك تساؤلات ومناقشات حول حـــدود وضوابط فهم المعاني الباطنية للقرآن والنصوص الدينيـــة، وخصوصـــاً أن ظهور الاتجاه الباطني من الغلاة في اوساط بعض الشيعة جعل علماء الشـيعة وفقهاءهم يبادرون الى تسليط الضوء على هـــذه الموضوعـــات وكتابـــة البحوث بشأنها، بالرغم من أنه لا يمكن الحصول على تبيان جامع مـــانع في هذا الباب في مصادر الحديث ومراجع الروايات الموجودة بين أيدينا.

فمثلاً جاء في بعض الأحاديث أن المراد من المعاني الباطنية للقرآن كـــل تلك الاشياء التي لا تبدو من ظاهر اللفظ ولا تجسدها الكلمات كحقـــائق السموات والأرض، وأحداث المستقبل، وتفصيـــلات ومواصفـــــات الجنـــة

وجهنم، وبعض الأحكام.[132]

لكن تلك الروايات لم يرد فيها تبيان ما هي العلاقة بين المعاني الباطنيـة والمعاني الظاهرية أو هل إن المعنى الباطني لا يتناسب مطلقـــاً مـــع معـــاني الالفاظ الواردة في القرآن او سياق تعابير الآيات ؟

---

[131] ـــ رجال النجاشي - الارقام ٦٦٠، ٨٩١.

[132] ـــ البحار، ج ٨٩، ص ٨٢ - ٩٢.

في التعابير الواردة بنصوص الروايات المتعلقة بالناحية الباطنية من القــــرآن توجد موارد متعددة لا تنسجم أساساً مع صيغة الكلام وسياقه، وأحيانـــاً نراها معارضة للمعنى الأصلي للمفردة، وأحياناً أخرى نجدها تفيد معــــنى مستعاراً او مجازياً لتعبير الآية وألفاظها. [١٣٣]

وعلينا أن لا ننسى هذه النقطة وهي أن الروايات الشيعية تجعل تحديــد وتعيين المعاني الباطنية امراً من خصائص الأئمة فقط ولذلك فان طريق فـهم المعاني الباطنية للقرآن ليست سالكة لكل أحد، ولا يستطيع كل شخص أن يدّعي معرفته للمعاني الباطنية لكتاب الله عزّ وجلّ، ومن هنا فانـــه ليـــس هناك حاجة لتلك الضوابط ولا توجد ثمة مشكلة في هذا الصـــدد، انمـــا المشكلة في المقاييس والمعايير المعتمدة في قبول او رفض الروايات الحاويــــة للمعاني الباطنية لآيات كتاب الله تعالى.

ومن المناسب هنا ذكر نموذج على هذه القضية، وهي تلقي الضوء على الاسلوب العلمي للمجلسي أيضاً.

يذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي حديثاً في تأويل الآيتين ١٤ و١٥ من سورة لقمان. وبموجب هذا الحديث فان الأصبغ بن نُباتـــه سأل أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) عن تفسير القسم الأخير مـــن الآيـــة الرابعة عشرة من السورة المذكورة **{أنِ اشكُر لي ولوالدَيـــكَ}** فأجابـــه

---

[١٣٣]ــ كنموذج لذلك، راجع على سبيل المثـــال : البحـــار، ج ٢٣، ص ٢٥٤ – ٢٥٥، و ٣٥٦ – ٣٥٧، و ج ٢٤، ص ٣٥٦، و ج ٣٦، ص ١٣١ و٣٩٤، وج ٤٨، ص ٢٦٤، وج ٧٩، ص ١٩٩.

الامام: ان المراد من الوالدين في هذه الآية (فضلاً عن المقصود الظاهري) **{هما اللّذانِ وَلَدا العِلْم وورّثا الحُكْمَ وأُمِرَ الناس بطاعتهما}**.[134]

وهذا التأويل مقبول بحد ذاته والاستعمال المجازي للفظ (**الوالد**) للمعلّم صحيح تماماً. ولذلك فان الكليني قبل الرواية - في الظاهر - وقبل نسبتها الى علي (عليه السلام) ولكن المشكلة تبرز متى ما نظرنا الى بداية الآية. فهناك تتحدث الآية عما تتحمله الأُم أثناء فترة الحمل ومعاناتها وهي حبلى بالطفل، وهذا ما لا يتناسب مع التأويل الباطني السالف ذكره.

وهذا التنافر وعدم الانسجام بدرجة من الوضوح جعلت المجلسي يشك في الرواية المذكورة ويعلّق عليها بالقول : «**إن هذا القسم من الآية يأبى عن هذا التأويل**». وبالرغم من سعيه لتسويغ وتوجيه هذا الحديث بعبارات متكلّفة كثيرة الا أنه - مع كلّ ذلك - بقي متردداً شاكّاً فكتب:

[وبالجملة، فان هذا الحديث من التأويلات الغريبة واذا قبلنا صدوره من اولئك الأئمة الافذاذ، فعلينا معرفة المعاني الباطنية البعيدة عن اللفظ الظاهري كثيراً][135]

ثم إنه ليست كل هذه الروايات بنفس المستوى من الوثاقة والصحّة. كما أن رواتها ليسوا بدرجة واحدة ومرتبة متساوية وينسبون أحياناً الى الغلو والتخليط بين الصحيح وغير الصحيح ومن هنا وجدنا علماء الشيعة

---

[134] ـ الكافي، ج ١، ص ٤٢٨.

[135] ـ البحار، ج ٢٣، ص ٢٧٠ - ٢٧٢.

لم يتفقوا مطلقاً في أي حين من الاحيان على قبول او رفض الروايات المبينة للمعاني الباطنية للآيات والكتب الحاوية لهذا النمط من الآيـــات، بـــل إن بعضهم صرّحوا بأن مجعولات وبدع بعض الفرق مـــن الغـــلاة وجـــدت طريقها الى هذه الكتب واندست بين الروايات واختلطت بها، فلم يعد مـــن الممكن قبولها كلها.

وهذه النقطة أخذها بنظر الاعتبار معظم محدّثي الشيعة ولهذا السبب لا يوجد في الكتب والنصوص الروائية المعتبرة هذا القبيل من الروايات.

على سبيل المثال؛ فان النجاشي يعبّر عن رأيه بشأن كتب محمد بـــن أُورمه وعلي بن حسان الهاشمي التي أسلفنا ذكرها فيقول : «**إنه مخلّـطٌ**» او «**تخليطٌ كلُّه**».

والمثال الآخر : الاشارات التي أوردها المجلسي حول كتـــب الحـــافظ البرسي، وآراؤه التي ادلى بها بشأن بعض الروايات حيث سنذكر بعضاً منها في الفصول التالية، بيد أننا سنورد هنا نموذجاً واحداً منها.

لقد ورد في الحديث ان المعنى المراد من «**السَّبْع المثاني**» في الآية ٨٧ من سورة الحجر [١٣٦] هم أئمة الشيعة. بينما الشيعة الامامية يعتقـــدون أن عدد الأئمة اثنا عشر اماماً لا سبعة أئمة. وقد نقل المجلسي هذه الروايـــات في البحار [١٣٧] وسعى لتبيان تهافتها، نظراً لوجود مثل هذا الاستشكال.

---

[١٣٦] ـــ قوله تعالى : [**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقـــرآن العظيـــم**] ويـــرى معظم المفسرين ان المراد بالسبع المثاني هي سورة الفاتحة.

[١٣٧] ـــ البحار، ج ٢٤، ص ١١٤ – ١١٨.

ومن جملة ما ذكره انه احتمل ان يكون المراد بالعدد (سبع) هـــو أن معظم علوم ومعارف الشيعة قام بنشرها سبعة من الأئمة، ولذلك أشـــار إليهم المعنى الباطني لآيات القرآن. لكنه لم يذكر هذا التوضيح والتوجيـــه باطمئنان وتأكّد فقال في ختام عباراته : ويحتمل أن يكون « **الواقفة**» هـم الذين افتعلوا هذا النوع من الروايات وأوردوها. [138]

ومن ناحية اخرى، فان التقارب والتشابه بين مضامين كثير من التعابير العرفانية، مع العبارات الروائية، جعل من الصعوبة بمكان التمييز فيما بينها، وفقدان المعايير والمقاييس القطعية لتشخيص ومعرفـــة مـــوارد مخالفتـــها للروايات - بالاضافة الى بعض العوامل والدوافـــع الاخـــرى - أدى الى حالات خلط ولبس.

ومما مهّد السبيل وهيأ الجو لظهور هذا الخلط واللبس بـــين التعابـــير العرفانية والعبارات الروائية وجعل من الصعب الفرز والتمييز بين اقـــوال العرفانيين وروايات الأئمة؛ إصدار كتب كـ (**مصباح الشيعة**) ونســـبته الى الامام الصادق (عليه السلام)، وتأليف كتب كـ (**مشارق أنـــوار اليقـــين**) و(**الالفين**) و(**غوالي اللئالي**) من قبل مؤلفين من الشخصيات الشيعية مـــن قبيل **عبد الرزاق الكاشاني** والسيد حيدر الآملي الذين أيدوا رسميـــاً آراء العرفانيين وفي مقدمتهم ـــ **محيي الدين بن عربي** ـــ ودافعوا عنها.

---

[138] ـــ ونسبة هذه الرواية الى (الواقفة) جاءت نظراً لكون الواقفة مـــن الشـــيعة الذين يتوقفون عند الامام السابع (الكاظم) ويعتبرونه آخر الأئمة.

كما أن بعض كبار علماء الشيعة أظهروا ميولاً عرفانية وظهرت لديهم نزعات عرفانية او على الأقل صدرت عنهم أقوال تنمّ عن وجود اتجاهات عرفانية لديهم.

ومن هؤلاء : **الشهيد الثاني، حسين بن عبد الصمد العاملي، وابنه الشيخ البهائي، ومحمد تقي المجلسي.** [١٣٩]

وشهدت هذه المسيرة مرحلة جديدة بظهور الفيلسوف الشهير في القرن الثاني عشر صدر المتألهين الشيرازي. فقد عرض صدر المتألهين منظومته الفلسفية على اساس نظرية (التجانس الذاتي للدين والفلسفة والعرفان) واعلن خطأ دعوى عدم التجانس والانسجام بين بعض التعاليم الدينية والكشوفات العرفانية والقواعد الفلسفية. [١٤٠]

ولقد بذل صدر المتألهين الشيرازي جهوداً ضخمة وواسعة من أجل اثبات صحة نظريته، فألّف كتباً فلسفية مهمة **كالأسفار والشواهد الربوبية والمبدأ والمعاد وشرح اصول الكافي**، وبذلك فقد أضاف - عملياً - كثيراً من العناصر العرفانية الى مجموعة المفاهيم الدينية.

---

[١٣٩] ـ لوحظ في كتب الصوفيين - ومنها طرايق الحقائق - إصرار على انتساب هؤلاء العلماء الى التصوف.

[١٤٠] ـ أورد بعض أقوال صدر المتألهين في هذا الصدد الاستاذ الفذ الشيخ حسن زاده الآملي في رسالة (قرآن، وعرفان، وبرهان از هم جدايي ندارند) أي في بحثه المعنون بـ (القرآن والعرفان والبرهان لا تفترق عن بعضها) ص ١٥ - ١٨.

كما أن تلميذه البارز **الملا محسن الفيض الكاشاني** لم يختر - في النهاية - سوى سبيل أستاذه، واعتنق آراءه العرفانية هذه، وألّف كتباً من هـــذا القبيل.[141]

هذه التحولات والتطورات حصلت في العصـــر الصفـــوي وأدت الى نقاشات ومباحثات كثيرة لا مناصٌ من التطرق اليها وشرحها في موضـــع آخر من الكتاب. لكن علينا أن نأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار وهـــي أن ظهور الاتجاه العرفاني بين علماء الشيعة، وتأليف آثار قيّمة في هذا المضمار، ليس له علاقة مباشرة ومصيرية مع بروز الاتجاهات الصوفية الــــتي كــان الصفويون ينتسبون اليها اول الامر. فهؤلاء يعرفون بنظريـــاتهم وآرائـــهم المغالية حول شيوخ العرفانيين (وخاصة صفي الدين الاردبيلـــي) وأحيانـــاً بترك بعض ظواهر واحكام الشريعة، بينما الحقيقة ان العلماء كانوا في مقام تبيين المبادئ والاسس والتعاليم الباطنية للدين، و لم يعارضوا ظواهر الشريعة او يتمردوا على تعاليمها.

وبالرغم من تذمّر الملا صدرا وابتعاده عن (علماء الظاهر) وانعزاله مدة طويلة في قرية كهك الواقعة قرب قم، إلا أنه لم يكن يؤيد تـــرك الديـــن ووجه انتقادات شديدة لـ «**جهّال الصوفية**». وقبله كان محيي الدين ابـــن

---

[141]ـــ عند ذكر يوسف البحراني للفيض الكاشاني في لولؤة البحريـن (ص ١٢١ - ١٢٢) يشير الى كونه قد اكتسب اتجاهاً وميولاً صوفية نتيجة تتلمذه عند صدر المتألهين، ولذلك فانه كتب عدة مؤلفات عقائدية وكلاميـــة، اســتناداً الـــى آراء الصوفية و الفلاسفة.

عربي يؤكد ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة وينتقد - بشدة - الاشخاص الذين يعرضون عن التقيد باحكام الشريعة ويبتعدون عنها بحجة تأويل المظاهر الدينية. ولقد أوصى سالكي طريق العرفان وصية مؤكدة ورد فيها قوله :

[وَالزم طريقة الايمان والعمل بما فُرض عليك، واذكر ربّك بالغدوّ والآصال بالذكر الذي شرعه لك][١٤٢]

وعلى هذا الاساس فان الحكم الصفوي اذا كان قد أوجد المجال المناسب والارضية الملائمة لتعزيز وتوطيد الحركة العرفانية للشيعة في ايران، فلا يمكننا أن نعتبر ازدياد الرغبة والميل والاتجاه نحو العرفان النظري لدى أشخاص مثل صدر المتألهين، يرجع الفضل فيه لهم.[١٤٣]

وهنا علينا أن نلتفت الى هذه النقطة وهي أن مواقف وتصرفات المحدّثين والفقهاء وغيرهم تجاه هذه الحركات كانت مبنية على رؤى ومبادئ علمية واسس دينية، اذ كانوا يؤمنون بأن كثيراً من خطابات وكتابات اولئك العارفين غير مقبولة مطلقاً من منظار التعاليم الدينية، ولهذا كانوا ينتقدونهم.

---

[١٤٢] ـ الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٨٢.

[١٤٣] ـ للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع، يراجع الكتاب القيّم **(الصلة بين التصوّف والتشيُّع)**، من تأليف المحقق كامل مصطفى الشيبي، ففيه موضوعات قيّمة.

فضلاً عن ذلك فانهم لم يكونوا يؤيدون انتشار وشيوع التقاليد والاعراف والسنن الصوفية، رغم أنهم كانوا يميّزون بين هذين الموضوعين، وسنتحدث عن ذلك بتفصيل اكثر في فصل آخر تحت عنوان (**المكانة العلمية وآراء المجلسي**).

١٠ــ ان تواجد ونشاط المبشرين المسيحيين، سواء اولئك الذين كانوا يمارسون نشاطهم بدوافع سياسية، او أُولئك الذين كانوا يستهدفون نشر دينهم وحسب، من ناحية، وانضمام جماعة من الجورجيين (من أرمن جورجيا) الى البلاط الصفوي وحيازتهم المناصب الرسمية العسكرية والحكومية، من ناحية اخرى، بالاضافة الى سكن اتباع الدين المسيحي من الاوروبيين والارمن في اصفهان، كلها كانت لها آثار ونتائج دينية واجتماعية عديدة.

حتى ذلك الحين، كانت معرفة غالبية الناس بالمسيحية وبقية الاديان والنحل الاخرى (الهندوسية، واليهودية وحتى الزرادشتية) ضئيلة للغاية. وكان العلماء مستغنين – آنذاك – عن محاججة ومحاورة العلماء والمبلغين المسيحين ولذلك اكتفوا بالمعلومات المشهورة التي يذكر بعضها القرآن الكريم – وهي محدودة طبعاً – لكنهم صاروا يواجهون واقعاً جديداً، إذْ:

اولاً : ان الناس طفقوا يطرحون تساؤلات جديدة ذات طابع فقهي

وكلامي – عقائدي – نتيجة معاشرتهم للمواطنين غير المسلمين.

وثانياً : إن الحرية المعطاة لغير المسلمين من حيث نمط التصرفات والممارسات التي يقومون بها في وسط ديني كانت تقترن بأمور وتستتبعها نتائج كثيرة بعضها غير مقبولة، وخاصة ان بعض تلك الامور والنتائج أخذت تشمل حتى المسلمين.

فمثلاً : ان افتتاح حانات الخمور او فسح المجال لتعاطيها وبيعها وشرائها - باعتبار الحرمة الشديدة التي وردت لشرب الخمر وإجماع كل المذاهب الاسلامية في أحكامها الفقهية على حرمتها المؤكّدة - وعدم منعها قانونياً كانت مرفوضة ولا يمكن القبول بها من قبل أتباع باقي الاديان والمذاهب، وخاصة ان الناس المتدينين كانوا يبدون ردود فعل شديدة تجاه هذه التصرفات والسلوكيات الاجتماعية، كما أن العلماء لم يكونوا راضين عن شيوع وانتشار هذه الامور.

ثالثاً : كانت تظهر بين صفوف المسلمين ميول ورغبات ظاهرة وخفية نحو اعتناق الاديان الاخرى - وفي الغالب نحو المسيحية - مثلما ان العكس كان يحصل أيضاً، اذ اعتنق افراد مسيحيون كثيرون الدين الاسلامي.

وكانت هموم عالم الدين في هذا المقام واضحة، حيث ان الذي يؤمن بأحقيّة دينه الذي يعتنقه، وينذر حياته لتبليغه ونشره والدفاع عن تعاليمه وأحكامه، يرى من واجبه - في الحقيقة - الحيلولة دون حصول أي ابتعاد او خروج عن الدين، ومنع ارتداد شخص الى دين آخر غير الاسلام، اما ما هو الاسلوب الذي ينبغي أن ينتهجه لمنع هذا المروق عن الدين والارتداد :

هل الخشونة والقوة، ام اللين والتسامح فهو بحث آخر. لكن لا شك في كون عالم الدين مسؤولاً عن ترغيب إخوته في الدين وحثّهم على الالتزام بدينهم وعدم التورط في المروق عن دينه.

ورابعاً : إن النشاط التنصيري ونشر المسيحية لم يكن يتمُّ فقط عبر عرض وتبليغ التعاليم المسيحية، بل يقترن بتفنيد ورفض كثير من الاحكام الدينية الاسلامية. وهنا يجد عالم الدين أن لا مناصٌ يتمُّ له من التصدي والمواجهة، ورد الشبهات وتفنيد الاشكالات المطروحة.

ومن هنا، فقد حدثت حركات اجتماعية و- أحياناً - سياسية وكذلك اتُّخذت خطوات علمية وكلامية من قبل العلماء والمؤمنين والمسؤولين الحكوميين في مقابل أتباع ومبلّغي الأديان الاخرى.

وقد كتبت بحوثٌ ومقالات علمية بشأن طبيعة تلك الحركات وكيفية تلك الخطوات ونتائجها الايجابية وآثارها السلبية، وغالباً ما نُظر الى نواحيها السلبية من منظار خاص، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل بشأنها.

٣

إنجازات المجلسي وأعماله

كان المجلسي يقضي وقته - كما اتضح من سيرته وأحواله التي مرّ ذكرها - بالتأليف والتحقيق والتدريس وإرشاد الناس، وقضى العقدين الاخيرين من عمره فقط في تسنُّم منصب القضاء ومشيخه سبحانه وتعالى الاسلام. وسبق أن أسلفنا القول بوجود كتاب نقدي ينتقده اسمه **حديقة الشيعة** من تأليف عبد الحيّ الرضوي. [1]

وتعرّض المجلسي في هذا الكتاب الى انتقادات حادة وشديدة بسبب قبوله منصب إمامة الجمعة والجماعة الذي ادى الى تسنمه منصب القضاء. بيد أن مؤلف الكتاب المذكور صرّح أن المجلسي توجّه بعد قبوله منصب القضاء الى المسجد، واعتلى المنبر، وبكى بكاءً مراً ومطوّلاً ثم نقل الحديث المشهور والمحذّر من خطورة امر القضاء بين الناس، ثم قال :

[ايها الناس !

إنني لحائر في أمري، اذ مع أن عمل أبي وعملي لم يكن سوى ترويج ونشر الدين وتعليم مسائل الاصول والفروع، وان معظم أهالي النواحي والمناطق قد عرفوا أحكام الشرع ومسائل الحرام والحلال بتعليمي أنا وأبي، فكيف انتهى أمري ووصلت عاقبتي الى تسنُّم القضاء؟]. [2]

---

[1]ــ وهو غير الكتاب الشهير المعنون (حديقة الشيعة).

[2]ــ يوجد تقرير عن الرسالة المذكورة اعلاه في كتاب (الدين والسياسة في العهد الصفوي) ص ٣٥٣ - ٣٧٧. انظر العبارة المذكورة في ص ٣٥١.

وينسجم هذا الكلام مع ما أورده الاستاذ ذبيح الله صفا نقلا عما كتبه المجلسي في حاشية تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي، من هذا المنظار. وعلى هذا الاساس فان المجلسي لما رأى ميل الناس وانجرافهم نحو «**الصوفيين المبتدعين والحكماء الزنادقة**» وجد أن واجبه الاجتماعي ورسالته يقتضيان منه أن يقوم ببث ونشر آثار وأخبار الأئمة بين الناس. [٣]

وسنتطرق فيما بعد الى الاجابة عن التساؤلات المتعلقة بأنه هل كانت فكرة المجلسي وقناعته بعدم الانسجام بين الآراء العرفانية ونظريات الحكماء، من ناحية، والتعاليم والاحكام الدينية من ناحية اخرى، هل كانت صائبة وقويمة ام لا ؟ ومن هم الذين كان يقصدهم المجلسي بهذا التعبير ؟

لكن المطروح الآن على بساط البحث هو تسليط الضوء بسرعة على الاتجاه الاساسي والتوجه الرئيسي الذي امتاز به المجلسي في نشاطه الاجتماعي.

فالمجلسي كان تواقا وساعيا لتبيان ونشر التعاليم الدينية أكثر من الرغبة في تسنم المناصب الرسمية او الميل نحو الوظائف الدينية الحكومية. وفي ضوء هذه النقطة يمكن إدراك ومعرفة لماذا كان المجلسي يرتقي المنبر في مسجده او يؤلف كتبا باللغة الفارسية لمخاطبيه غير العلماء.

ويتحدث السيد نعمة الله الجزائري، العالم المعاصر للمجلسي وتلميذه، في شرح تهذيبه، عن اسلوب المجلسي في ترغيب الناس بالالتزام بالعادات

---

[٣] ـ (تاريخ ادبيات) ج٥، القسم الاول، ص٢٠٩.

والآداب الدينية. [4]

اما حفيد المجلسي المير محمد حسين الخاتون آبادي، فانـــــه يشـــير الى مجالس الوعظ والدعاء، وتضرع المجلسي ومناجاته في اوقات العبـــادة وفي الليالي التي يقضيها بالتهجد وقيام الليل، ويتحدث عن شحة تلك المراســم والمجالس المباركة وقلتها وافتقادها ما كانت تتميز به من الروعة والاهتمام، خلال سِنّي تأليف الكتاب أي بعد مرور خمس سنوات على وفاة المجلســي ويصف ذلك بأنه أمر مزعج ومؤلم. [5]

والظاهر إن حمل الناس على الالتزام بالآداب الدينية وترغيبهم في إقامة مجالس الدعاء والعبادة، لم يكن عملاً خاطئاً، بل وكانت له فوائد جمَّـــــة، فردية واجتماعية. وبالطبع لا يمكن اعتبار هذه الاعمال بديلاً عـــن انجـــاز الواجبات والوظائف الاخرى للعالم في الساحة الاجتماعية، وإذا كان هناك اناس يظنون أن الامر هكذا فانهم مخطئون.

فالعالِم الديني يرى أن من واجبه توعية النـــاس وتنويـــر افكـــارهم وتعريفهم بالدين وتهيئة الارضية اللازمة لجعلهم ينفّذون التعاليم الدينيـــة، كما أن لكل صنف من الناس ولكل شريحة رسالة خاصة يرون من واجبهم القيام بها.

واذا كانت المؤسسات الاجتماعية تحتل مكانتـــها المناســبة وتقـــوم بوظائفها، فمن الطبيعي أن حصيلة الانجاز الصحيح لوظائف كل شـــريحة

---

[4]ـ البحار، ج ١٠٢، ص ١٤٩.

[5]ـ البحار، ص ٢٨ (لم يذكر المؤلف رقم الجزء من البحار - المترجم).

وصنف من الناس انتظام وصلاح اوضاع المجتمع كله، واذا انفرط هذا العقد وتلاشى هذ ا الكيان وظهرت ظروف متأزمة فليس بامكان أي شريحة وصنف من الناس أن ينهض بوظائفه.

ومن المثير للدهشة والاستغراب أن بعض المؤلفين انتقد المجلسي ولامه في هذا المقام. ويورد الاستاذ صفا مضامين الاقوال التي ذُكِرَت في هذا المجال مع بعض العبارات المضافة إليها فيقول :

[من ضمن اصلاحاته (المجلسي) الكبيرة في عهد الشاه سليمان أنه أمر الناس بإقامة صلاة الجمعة وتشكيل مجالس العبادات والعزاء وإقامة ليالي العبادة وقيام الليل.... وفي تلك الظروف التي كان البلد يتعرض فيها للاستيلاء والسقوط وموجات القتل والنهب والسلب والتمرد كان الناس غافلين منشغلين عن كل فتن العصر يقضون لياليهم بالدعاء والانابة والبكاء والتضرع]. [6]

يا ترى هل ان نشر وترويج المراسم الدينية في وقت بعيد جداً عن وقوع حادثة مرة ومؤلمة ينبغي أن يُنتقد بهذه القسوة ؟ اذا كان الملوك الصفويون قد عجزوا عن حماية الدولة والمحافظة على اقتداء الحكومة وعظمتها التي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم، نتيجة انغماسهم في الملذات

---

[6]ـ تاريخ ادبيات (تاريخ الادب)، ج ٥، القسم الاول، ص ١٨٢.

والمجون، وفقدانهم الكفاءة والقدرة اللازمة، فلماذا نحاكم نحن عالماً قضى اربعين عاماً قبل انهيار هذه الحكومة بإنجاز وظائفه والنهوض بواجباته الدينية ؟

فحينذاك لم تكن هذه الفكرة موجودة في أذهان وتفكير علماء الدين في ذلك العهد - ولا حتى في اذهان الناس أيضاً - بأن عليهم الاهتمام بشؤون الدولة والحكومة ومباشرتها، وكل ما كان يقع على عاتق عالم الدين هو تعريف الناس والحكام بوظائفهم الدينية، وفي المرحلة التالية ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل قام المجلسي بسوى هذه الامور ؟

لقد ترك سقوط الصفويين في العقد الرابع من القرن الثاني عشر آثاراً مؤلمة ونتائج سلبية في قلب وعقل كل مسلم ايراني بل وحتى غير الايرانيين تألموا لمطالعة تلك الامور المفجعة.

ولكن لماذا نلجأ - بدلاً من البحث عن الاسباب الرئيسة والاصلية لهذا الموضوع - الى طرح مفاهيم وإثارة موضوعات اخرى ؟

اننا سنبحث وندرس الدور الذي لعبه المجلسي والمكانة السياسية التي احتلّها في عصره، لكن القدر المتيقّن هو أن ترغيبه الناس في التدين وحثه لهم على قيام الليل والشعائر العبادية في ليالي القدر في آخر سنيّ القرن الحادي عشر لم يكن - بأي نحو من الانحاء - السبب في تلاشي وانحطاط وسقوط الحكومة الصفوية وانقراض الدولة الصفوية وفقدان ايران المدافعين عنها في عام ١١٣٥.

هناك تقريران رسميان في أيدينا من عهد تسنم المجلسي فيها منصب شيخ الاسلام، يذكران انه ــ فضلا عن الخطوات والاعمال المعروفة كالقضاء، وممارسة الامور الحسبية والاشراف على الاوضاع الدينية للمجتمع ــ شارك في مراسم تتويج السلطان حسين الصفوي وقام بتدمير صنم الهندوس في إحدى محلات اصفهان.

وهذا التواجد والمشاركة التي أبداها المجلسي في الشؤون الاجتماعية – مع أعمال أخرى التي لم يقم بها – جعلته يتعرض لموجات من الانتقادات واللوم، من المواطنين ومن الأجانب.

وبشكل عام، فان العناصر البارزة للنشاطات العلمية والدينية والاجتماعية – واحيانا السياسية – للمجلسي عبارة عن :

– الكتابة والتأليف باللغة الفارسية وترجمة النصوص العربية الى اللغة الفارسية.

– تأليف الموسوعة الروائية (بحار الأنوار).

– القيام بالاعمال والانشطة الاجتماعية – الدينية خلال فترة تسنمه منصب (شيخ الاسلام).[٧]

وقد خصصنا فصلا خاصا من هذا الكتاب لدراسة كتاب (بحار الأنوار) لكننا سنتناول هنا الموضوعين الآخرين آنفي الذكر :

- **المجلسي والكتابة بالفارسية :**

---

[٧]ــ يراجع : البحار، ج ١٠٢، ص ٢٧ – ٢٨.

استلزم اعلان التشيع كمذهب رسمي في ايران ـــ الـــتي يتكلـــــم اهلهـــا

الفارسية سابقاً وحالياً ـــ تدوين كتب باللغة الفارسية بمختلف المجـــالات. بينما كانت اللغة العربية وما تزال هي اللغة الرسمية والدارجة في الحـــوزات العلمية الاسلامية وغالباً ما تعدّ دليلاً على علم وقدرة المؤلّف، وبقي الامـــر هكذا طوال جميع العصور حتى الآن في جميع الحوزات العلمية.

وفي القرون الاسلامية الاولى كان الامر هكذا، فلم تكـــن الكتابـــة بالفارسية من قبل العلماء نقطة قوة بل دليلاً على قلة العلم والاطلاع لـــدى المؤلف، بغض النظر عن قيام بعض العلماء الكبار والمؤلفين الافذاذ بتجـاهل هذه السنة وكسر هذه الهيمنة الذهنية والواقعية، ومن هؤلاء العلماء ابـــو ريحان البيروني وابن سينا. وحدث الامر نفسه في العهود التالية حيث كتب عالم كبير كالخواجة نصير الدين الطوسي كتاباً في المنطق باللغة الفارســـية أسماه (أساس الاقتباس).

وكان الامر أصعب في الموضوعات الدينية منه في البحـــوث العلميـــة المحضة، لأن اللغة الاصلية للدين الاسلامي هي اللغة العربية. والقرآن الكريم هو المرجع الوحيد المقبول لدى أتباع جميع المذاهب الاسلامية وقد نـــزل باللغة العربية.

كما أن الاحاديث النبوية الشريفة (والروايات المروية عن الأئمة لـــدى الشيعة) كلها قيلت وخوطب بها الناطقون باللغة العربية، وهـــي باللغـــة العربية طبعاً. ولذلك فان اللغة العربية تعتبر اللغة المشـــتركة بـــين جميـــع

الشعوب المؤمنة بالاسلام مما أدى الى انتشار ورواج اللغة العربية. عــــلاوة على ذلك، فان العلماء كانوا يميلون الى كتابة مؤلفاتهم باللغـــــة العربيـــة، باعتبار ان ذلك يتيح لعدد كبير من المسلمين الاستفادة منها.

لكن هذا الميل الى الكتابة باللغة العربية - مع أنه حقٌّ في محلّه ومفيـــدٌ بالتأكيد - [8] كان يؤدي أحياناً الى نتائج سلبية وسيئة. فعندما يترك عـــالِمٌ ما - خوفاً على حرمته وقداسته وهيبته العلمية - الكتابة بلغـــــة شـــعبه، فكيف يمكن لعباد الله المؤمنين الذين يتكلمون بلغة بلدهم ويعيشون بتلـــك اللغة، أن يتعلموا المفاهيم الدينية ويتعرفوا على التعاليم والاحكـــــام الــتي يريدها الله منهم ؟

ورغم أن معظم هذه القناعات والقواعد الخاطئة قد زالت وتلاشـــــت وان علماء الدين مع محافظتهم على قداسة وحرمة اللغة الدينية - العلميـــة،

---

[8] ـــ بعض الكتّاب ينتقدون قيام بعض علماء الحوزات العلمية الشيعية في المـــدن الناطقة بالفارسية بالكتابة والتأليف باللغة الفارسية. ويبدو أنه لا بد من التفصيـــل في هذه المقولة. فاللغة العلمية في الحوزات الدينية هي اللغة العربية ولذلك فـــان كتابة وتأليف الكتب التخصصية العلمية (كالفقه والاصول والكلام وغيرها) تتـــم باللغة العربية. وبالطبع فان استخدام اللغة «العربية» أمرٌ مُستحسن - لا إحـــلال الكلمات العربية محل الكلمات الفارسية ودمجها في العبارات الفارســـــية دمجـــاً وإقحاماً -. لكن هذا الامر ليس ضرورياً وان كتابة البحـــوث العلميـــة باللغـــة الفارسية أيضاً ينبغي أخذه على مأخذ الجد. فقد خرجت المباحث العلميـــة اليـــوم عن احتكار الحوزات الدينية وهناك أشخاص آخرون يرغبـــون فـــي الاطـــلاع والتعرُّف على هذه المباحث والمعارف، وليس هناك من سبب يدعو لربط تعرُّفهم على هذه العلوم والمباحث بتعلمهم اللغة العربية.

وهي اللغة العربية، فالهم طفقوا يقدمون المفاهيم الدينية على طبق شهي وقالب جميل باللغة الفارسية، فمع ذلك لا ينبغي أن نستبعد عن الأذهان أن فك هذه القيود والحبال الملفوفة حولنا قد بدأ اولا في عصر مؤلف البحار وعلى يد محمد باقر المجلسي وثلة من نظرائه.

وقبل المجلسي، خطا آخرون في هذا السبيل وألفوا كتبا بالفارسية الا ان سعة وضخامة ومدى تأثير المؤلفات الفارسية للمجلسي فاقت كثيرا تأثير مؤلفات الآخرين.

وكان اول من ألف كتابا فقهيا باللغة الفارسية في عهد الشاه اسماعيل الصفوي وبطلب منه **كمال الدين حسين بن شرف الدين الاردبيلي** المعروف بـ (الإلهي).

وقد سمي كتابه المذكور (**خلاصة الفقه**) ويطلق عليه أحيانا (**الشرعيات**)، كما ألف الاردبيلي كتابا آخر للشاه طهماسب الصفوي باللغة الفارسية أيضا، اطلق عليه كتاب **الامامة**.[9]

كما بدأ **بهاء الدين محمد بن حسين العاملي** يؤلف كتابا فقهيا بطلب من الشاه عباس الاول سماه (جامع عباسي) في عشرين بابا، لكن **بهاء الدين العاملي** توفي عام ١٠٣١ ولما يكتمل قسم كبير من الكتاب، فبادر **محمد بن نظام بن حسين ساوجي** الى إكماله.[10]

---

[9]ـ الافندي (رياض العلماء)، ج ٢، ص ٩٨ - ١٠١.

[10]ـ الذريعة، ج ٣، ص ٣٤٠، وج ٥، ص ٦٢ - ٦٣.

اما **محمد تقي المجلسي** فإنه - وبعد أن اكمل شرح كتاب **من لا يحضره الفقيه** باللغة العربية ـ قام بترجمته الى اللغة الفارسية بطلب من الشاه عباس الثاني. وذكر في مقدمة هذا الشرح الذي سمّاه **(لوامع صاحبقراني)*** أن «معظم ساكني هذه الديار» يتكلمون الفارسية و«لا يمكن لكل واحد منهم أن يسعى ويجهد نفسه لتعلُّم اللغة العربية».[11]

كما أن **الملا خليل بن غازي القزويني** قام - بعد تأليفه شرحاً لكتاب الكافي باللغة العربية - بكتابة شرح للكافي باللغة الفارسية بطلب من الشاه عباس الثاني، أطلق عليه شرح الصافي.[12]

ومن بين المؤلفين باللغة الفارسية في تلك الفترة **الملا محمد طاهر القمي، والملا محسن الفيض الكاشاني وأغا جمال الخونساري** وكلهم كانوا من اعلام ذلك العهد المشهورين.[13]

---

* تكتب هكذا (صاحبقراني) بالفارسية وتفصل عن بعضها بالعربية (صاحب قراني).

[11]ـ لوامع صاحب قراني، ج ١، ص ١١(ولم يكتف بالاشارة الى الكتابة والتأليف بالفارسية بل أضاف : (لما كان الغرض الاصلي انتفاع عموم الناس فقد كتبت الموضوع باللغة الفارسية باسلوب سهل الفهم واجتنبت العبارات والاستعارات المعقدة وصعبة الفهم على القارئ).

[12]ـ الذريعة، ج ١٥، ص ٤ - ٥ : كتب الملا خليل في البداية كتاب (الشافي في شرح الكافي) باللغة العربية، لكنه لم يكن قد أكمله بعد حينما طلب منه الشاه عباس الثاني أن يؤلف شرحاً للكافي بالفارسية، فبادر لذلك الامر واستغرق اكمال الكتاب ما بين عامي ١٠٦٤ حتى ١٠٨٤.

بيد أن محمد باقر المجلسي واصل السير في هذا الطريق بجدية وألّف كتباً عديدة باللغة الفارسية، ويبدو من مقدمات هذه الكتب بكل وضوح:

اولاً :

انه كان يرى كتبه موجهة الى الشيعة قليلي الاطلاع على الموضوعات الدينية ولا يخاطب مطلقاً علماء الدين فيها. فلغة أهل العلم لغة اخرى ولها مصطلحاتها وتعبيراتها الخاصة. وعلى هذا الاساس فانه لا يجانب الكتابة باسلوب بسيط وسهل ويشير - بمقدار الضرورة وحسب - الى المباحث البرهانية والاستدلالية. [١٤]

---

[١٣]ــ للتعرف اكثر على المؤلّفات الصادرة باللغة الفارسية في هذه الفترة يراجع (تاريخ ادبيات) ج ٥، القسم الثالث، ص ١٤٦٢ - ١٤٨١، والجدير بالذكر أن معظم مؤلّفي ذلك العهد كانوا يهدون الكتب التي يؤلّفونها الى ملوك عصرهم، والظاهر أن غرضهم الاصلي من ذلك نشر مؤلفاتهم والاعلان عنها، وخاصة أن الملوك الصفويين كانوا يبدون اهتماماً اكثر بالكتب المؤلّفة بالفارسية، وفي الواقع ينبغي اعتبارهم من العوامل المؤثرة في تأليف تلك الكتب. ولكن لا يمكن القول إن العلماء كانوا يؤلفون كتبهم بأمر من السلاطين. يقول الافندي في الحديث عن كتاب (دفع المناواة) : "يبدو من قراءة مقدمة الكتاب ان المؤلف كتبه باسم الشاه طهماسب او الشاه عباس الاول، ولكن لا تبدو في ذلك غضاضة، لأن أمثال هذه التعابير كانت شائعة في مقدمات الكتب ويكتبها المؤلفون في ديباجة الكتاب" (رياض العلماء، ج ٢، ص ٦٧).

[١٤]ــ يصرح ادوارد براون في (تاريخ ادبيات فارسي از آغاز صفويان تا عصر حاضر) ص ٢٧٩ - ٢٩٢ «أن المجلسي مارس الكتابة والتأليف بلغة بسيطة ومفهومة» وأن إنشاء كتبه يخلو - بشكل عام - من الصناعات البديعية

والتأكيد على هذه النقطة مهم من زاوية أن التعرف الصحيح على المجلسي وتأليفاته وتقويم منزلته العلمية - اعتمادا على هذه المؤلفات - عمل خاطئ واصدار حكم ما عليه من هذا المنظار عمل مشوب بالاستعجال وغير صائب.

فالمجلسي لم يكن في مؤلفاته - باللغة الفارسية - في مقام ابراز قدراته العلمية وطرح وجهات نظره الاستدلالية بخصوص جميع المباحث بل كان يريد أن «**يستفيد المؤمنون كافة والشيعة عامة**» ويفهموا الاحاديث والروايات والقضايا العلمية «**فائدة تامة ويكسبوا حظا وافرا**» منها، على اعتبار «**عدم معرفتهم باللغة العربية**».[15]

ثانيا :

وإيمانا من المجلسي بأن تقديم وعرض كتب الأقدمين الدينية وترجمة المصادر الروائية والدينية الى اللغة الفارسية من أفضل اساليب توعية عباد الله وارشادهم، فانه ترجم العديد من الكتب في مجالات علم الكلام، والفقه، والاخلاق، والتاريخ والسيرة النبوية وسيرة الأئمة الاثني عشر وفي

والاستعارات اللفظية، واسلوبه سهل وبسيط. ومن باب الصدفة فان المجلسي يشير احيانا في مقدمة تلك الكتب الى هذه النقطة.

ففي مقدمة (عين الحياة)، ص ٢ يقول : "ولم نتقيد ببلاغة العبارة وتنسيق الالفاظ وجمال الاستعارات وانما اوردنا عبارات سهلة الفهم لنوصل بها الى الذهن المضامين المقصودة".

[15]ـ يراجع : عين الحياة، ص ٣.

بعض القضايا الاجتماعية وفي مقدمات تلك الكتب أشار المجلسي الى غايته من تأليف او ترجمة الكتاب والدوافع التي حملته على ذلك.

وعلى سبيل المثال، ذكر المجلسي في مقدمة ترجمة خطبة الامام الرضا (ع) حول التوحيد أنه بالنظر لمضامينها العميقة فانها تعدُّ من «المعجزات الغريبة» للامام، ويقول :

[ان بعض المطلعين على دقائق المعاني... كلّفوني بترجمة هذه الخطبة الى اللغة الفارسية، لينتفع اكثر هؤلاء الأنام من زاد هذه المائدة][١٦]

ويشير الى هذه النقطة ذاتها في ترجمته تائية الخزاعي والتي حصلت بطلب من الشاه سلطان حسين الصفوي «**فقد قمت بترجمة هذه القصيدة... الى اللغة الفارسية بكلمات وتعابير سهلة الفهم**» لكي «**يستفيد منها الشيعة كافة والمؤمنون عامة وينهلوا من فيوضاتها**»[١٧] وسنتحدث عن مضامين مؤلفات المجلسي وكتبه في فصل مستقل عنوانه «كتب وطلاب المجلسي».

ثالثاً :

---

[١٦] ــ محمد باقر المجلسي (بيست وبنج رساله فارسي) خمس وعشرون رسالة باللغة الفارسية، ص ٤.

[١٧] ــ (بيست وبنج رساله فارسي)، ص ٥٤ - ٥٥.

ان المجلسي وضع نصب عينيه متطلبات وامور زمانه وسلّط الأضواء عليها، وبالنظر لما يتحمله من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه لم يغب عن ذهنه انجاز هذا الواجب.

ولقد ترجم المجلسي عهد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) الى مالك الاشتر (رض) عندما ولاه مصراً، مع عدة رسائل اخرى بعثها (ع) الى ولاته في باقي الأمصار، وكتب في الديباجة قائلاً :

[هذه رسالة في ترجمة بعض الاحاديث الشريفة حول كيفية سلوك ولاة العدل مع كافة العباد، الذين هم ودائع رب الارباب، وقد اوردها لتنبيه أهل الغفلة، فصلاح أمثالي وأقراني، منوط بصلاحهم، وفسادهم يؤدي الى الاخلال بنظام الجنس البشري، وبنو الانسان أفضل المخلوقات واشرف الكائنات][18]

وفي (عين الحياة) أيضاً، الذي الّفه في عام ١٠٧٣، خصّص فصلاً لـ «أحوال السلاطين ومعاشرتهم، وعدلهم وجورهم». في «الجدول الاول» من هذا الفصل وتحت عنوان «الينبوع الثالث» يتحدث اولاً عن «**عدل الملوك والامراء**» ويصفه بأنه «**أعظم مصالح الناس**» وهذا «**العدل والصلاح مؤدٍ الى صلاح جميع العباد وإعمار البلاء**». مثلما «**ان فسقهم وفجورهم يؤدي الى اختلال نظام امور اكثر العالمين**».

---

[18] ــ (بيست وبنج رساله فارسي)، ص ١٣٥.

ثم يورد عدة أحاديث تحذّر من ذلك ويذكر هذه النقطـــة وهـــي ان اطاعة أمر السلطان ليست واجبة في كل الامور لأن «**وجـــوب الطاعـــة مختص بالله ورسوله واولي الامر وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام**».

ثم يوضح أن جواز ووجوب الطاعة للنبي الأكرم واولي الامر ناشئ من كونهم وصفوا في الشريعة بأنهم «**معصومون ومطهرون من الرجـــس ولا يأمرون الناس بالمعصية أبداً**».

ثم ينهي هذا الجدول بنقل أحاديث مهمة تحذر من عواقب الظـــالمين، ويبدأ «جدولاً» آخر. وموضوع الجدول الجديد هو «**كيفيـــة معاشـــرة ارباب الحكم مع الرعية وبيان عدة حقوق للرعايا على حكامهم**».

ويعدّد في هذا الفصل واجبات ووظائف الحكام ووجوب التزامـــــهم بالاخلاق في الشؤون المالية والانسانية في ادارة الامور ثم ينـــهي الفصـــل المذكور. ولمزيد من التفصيل فانه ينصح القارئ بمراجعة عهد الامام أمـــير المؤمنين علي بن أبي طالب الى مالك الاشتر وما يشابهه من الرسائل.[19]

وكان المجلسي يعرف منزلته العلمية وعالماً بمكانته الاجتماعية، ومطّلعـاً على ما كان يجري في البلاط ومـــا يفعلـــه ذوو المنـــاصب، ويعـــرف أن الصفويين لم يكونوا يترددون في قتل او سجن وتعذيب خصومهم، ولذلك فقد كان يعي أخطار مثل هذه النصائح والكتابات والمواعظ المحذّرة، وليس غافلاً عن عواقبها، وكان متأكّداً من تأثير كلامه، وبناء على هذا الـــرأي وهذه النقطة بالذات، كتب عدة مؤلّفات باللغة الفارسية.

---

[19]ـــ عين الحياة، ص ٤٨٧ – ٤٩٢.

على أي حال، فان كتب المجلسي الفارسية - وربما بسبب بساطتها وسلاستها الادبية والعلمية ولربما في ضوء كثرة طلابه ومريديه - كانت تنشر بعد تأليفها مباشرة، وتتداول في البلاد الناطقة باللغة الفارسية، وقد خلدت اسمه بين جمهور الشيعة. رغم أنه بمقتضى المثل الذي يقول «إن عدو الطاووس ريشه» ونظراً لشهرته وصيته الذائع فانه تعرّض - فيما بعد - الى أشد الحملات والانتقادات من قبل عدد من المؤلفين والمحققين المناوئين له. وقد كتب المير محمد صالح الخاتون آبادي - صهره وتلميذه - بعد قليل من وفاة المجلسي، متحدثاً عن تأثير كتاباته باللغة الفارسية فيقول:

[ان هذه النصوص جعلت كثيراً من عوام الناس يهتدون وقلما يوجد بيت في المدن التي يقطنها الشيعة لا يوجد فيه كتاب للمجلسي او مقالة باللغة الفارسية][20]

وحول مدى تأثير هذه الكتب والمقالات كتبت بعض الامور يبدو أن قسماً منها ملفّق او على الاقل مبالغ فيه. ولا بأس هنا من ذكر نموذج مما ورد في قصص العلماء للتنكابني :

[من المعروف انه لما كتب المجلسي كتاب "حق اليقين" وانتشر ذلك الكتاب حتى وصل بلاد الشام، اعتنق سبعون ألفاً من السنّة مذهب التشيع][21]

---

[20] ـ البحار، ج ١٠٢، ص ٢٨.

[21] ـ التنكابني (قصص العلماء)، ص ٢٠٥.

ولكن التنكابني الذي كان مترددا بشأن بعض القصص والمرويات المنقولة في كتابه عن المجلسي ويعتبرها مفتعلة ومختلقة من قبل بعض الناس، لم يعلق على هذه القضية وكأنه قبلها. والمشكلة الاساسية في هذه الرواية - فضلا عن الرقم المدهش المذكور فيها - هي أن منطقة الشام الجغرافية، لم يكن أهلها آنذاك يتكلمون الفارسية، لكن الأهم والانكى من ذلك رواية لكهارت لهذه القصة وعلى الاكثر أنها أخذت من نفس المصدر ورويت عنه:

[ومما يذكر عن المجلسي أنه أجبر ما لا يقل عن ٧٠٠٠٠ شخص منهم «من السنة» على اعتناق التشيع]. [٢٢]

وان استبدال عبارة التنكابني بهذا التعبير قد تم - كما يبدو - في سياق الاستدلال على صحة نظرية لكهارت والمؤلف الذي سبقه ادوارد براون. [٢٣] فقد قال لكهارت هنا وفي مواضع اخرى أن المجلسي «**كان يخالف أهل السنة عنادا**» و«**يحتمل أن يكون عدد كبير قد تخلوا عن مذهبهم نتيجة ضغوطه واعماله وممارساته**». [٢٤]

---

[٢٢] ــ (انقراض سلسلة صفويه) ص ٨١.

[٢٣] ــ لكهارت حصل على معلوماته عن المجلسي من (تاريخ ادبيات) من تأليف ادوارد براون، ومن (سازمان اداري صفويان) لمينورسكي.

[٢٤] ــ (انقراض سلسلة صفويه)، ص ٨١.

وبناء على ذلك لا بد من تغيير العبارة، وإلا فان الكتاب الذي ألف في عام ١١٠٩ (عام واحد قبل وفاة المجلسي) [٢٥] كيف يمكن أن يعتمد عليه بهذه السرعة. وهناك احتمال آخر وهو أن لكهارت كان يعتبر ذلك الخبر صحيحا من حيث العدد المذكور فيه لكنه متردد ومرتاب في كيفية حصول ذلك التأثير لأنه كتب بعد ذكر الامر مباشرة:

[رغم انه لا شك في أن المؤلفات الكثيرة والمتعددة للمجلسي أدت الى تغيير مذهب ومنهج جمع من هؤلاء الناس «السنة» لكن الاحتمال الأقوى هو أن عددا كبيرا منهم تخلوا عن مذهبهم نتيجة لضغوطه].

- المجلسي والنشاطات الاجتماعية

يذكر لكهارت في معرض شرحه لقضية (جلوس) وتسنم الشاه سلطان حسين على عرش الملوكية انه لم يسمح في مراسم التتويج «بأن يقلده سيف السلطنة أحد الصوفيين، كما كان متعارفا، وبدلا من ذلك طلب أن

---

[٢٥]ـ كتابشناسي مجلسي (قائمة كتب المجلسي)، ص ٢١٦ (وفي الغالب فان معظم الكتاب ذكروا ان هذا الكتاب آخر كتب المجلسي) وأورد الاستاذ صفا في «تاريخ ادبيات» ج ٥ القسم الثالث ص ١٤٧٨ تعريفا موجزا واجماليا بهذا الكتاب.

يقلده السيف المذكور شيخ الاسلام» وكان شيخ الاسلام آنذاك محمد باقرِ المجلسي، وسأله الشاه ماذا يطلب منه في مقابل هذه الخدمة ؟

وكان لدى المجلسي عدة مطاليب منها : أن يصدر الشاه فرمانا (امــوا) بمنع شرب الخمر وحرب القبائل ومجاميع اللعب بالطيور. فقبل الشاه ذلــك ووافق عليه بطيب خاطر واصدر من فوره فرمانا بالمنع. [٢٦]

والمقصود بحرب القبائل والعشائر هي تلك التي ذكرها كروسينســكي وادوارد براون. فقد ذكر براون أن الشاه عباس كان يطبق مبــدأ «**فــرق تسد**» بشكل كامل وكان يدس في جميع المدن مجاميع معادية لبعضــها - في الظاهر - وتثار بينها خصومات ونزاعات مفتعلة وتنشب بينها مناوشــات تتفاقم "أحيانا لتصل الى سفك الدماء بحيث يبادر الشاه الى ارسال جيــش لإطفاء الفتنة" ويشير كروسينسكي الى ان أحد هذه النزاعات العشـــائرية وقع عام ١١٢٥. [٢٧]

وأورد كتاب آخرون هذه النزاعات وهي سميت بالحروب الحيدريــة - النعمتية التي بدأت في زمن الصفويين واستمرت سنوات طويلة. ويعتبر نصر الله الفلسفي أن الشاه عباس كان «يستمتع بالتفرج على الحروب الحيدريــة - النعمتية».

---

[٢٦]ــ انقراض سلسلة صفويه، ص ٤٤.

[٢٧]ــ (تاريخ ادبيات فارسي از آغاز عهد صفويه تا عصر حاضر) ص ١١٤ - ١١٥.

فكلما سافر الشاه عباس الى قزوين كان أنصار هذين الفرقتين يبدأون مناوشاتهم ومعاركهم، بتأليب منه، وذكر الفلسفي أن معركة وقعت عام ١٠٠٣ بحضور الشاه، نقلا عن منجم الشاه. [٢٨]

وفي مصادر أخرى - من جملتها دائرة المعارف فارسي - ورد أن نشوب النزاعات العشائرية الحيدرية - النعمتية بدأ في العهد الصفوي. [٢٩]

اضافة الى ذلك، يشير نصر الله الفلسفي الى الحرب التي استخدمت فيها الاحجار والسيوف بين أهالي ابيورد، فعندما كان الشاه يتوجه الى خراسان ويمر بمدينة ابيورد يأمر باثارة تلك الحرب بين أهاليها. [٣٠]

وبالطبع فان هذه المطاليب التي قدمها المجلسي كانت بحافر ديني وأخلاقي، اذ أن النزاعات، والمعارك التي كانت تجري أحيانا في الشوارع لم تكن أمرا مرضيا ومقبولا. وكانت دوافع الشاه من اثارتها سياسية، وكان يصب الزيت على النار فيها، وتحدث بسببها خسائر وأضرار فادحة تجعل السعي الجاد لوقفها واخماد نيرانها من ابرز مصاديق النهي عن المنكر.

وينظر المؤلفون الغربيون الى طلب المجلسي هذا بأنه ايجابي، ويبدو أن عدم عقلانية هذا اللهو وعدم صوابيته كان من البداهة لدرجة أن أحدا لم

---

[٢٨] ـ (زندكاني شاه عباس اول) ج ٢، ص ٣٢٨.

[٢٩] ـ (دائرة المعارف فارسي) ج ١، ص ٨٧١ - ٨٧٢.

[٣٠] ـ (زندكاني شاه عباس اول) ترجمه حياة الشاه عباس الاول ج ٢، ص ٣٢٨.

يتذمر من طلب المجلسي بوقفه وإلغائه، و لم يتهم امرؤ المجلسي نتيجة له بالتعصب والتزمت.

وحتى لكهارت الذي وصف طلب منع اللعب بالطيور بأنه «تدخل فضولي من المتشرعين» واعتبر منع شرب الخمور بأنه مثير «لانزعاج الناس وغضبهم» لكنه علق على فرمان (أمر) الشاه «بمنع حصول حرب القبائل» بأنه «يجدر بحثه ودراسته باهتمام كبير وتركيز كامل» [31]

اما الطلب الثاني للمجلسي فعلى الرغم من قبوله وصدور فرمان رسمي عن الشاه بمنع شرب الخمور في الشوارع والباحات والأسواق لكنه لم يستمر طويلا، و لم يرق للحواشي وأعضاء البلاط الشاهنشاهي. فقد مهدوا للامور واعدوا الأرضية اللازمة لاخراجه من حيز التطبيق حيث لوثوا مياه السواقي بتلويث الينبوع الأصلي.

فقد ورطوا الشاه بشتى الوسائل واساليب المكر بمعاقرة الخمور، ولذلك فقد غرق هو نفسه في المجون والملذات وانصرف إليها عن تصريف شؤون الدولة، لكي يتصرفوا هم ويتلاعبوا بأرواح الناس وأموالهم ويمارسوا تسلطهم على التراث الايراني الثمين كما يشاؤون، ويمضوا قدما في تدمير الاقتدار الذي ابتني وتبلور بيد اسلاف هذا السلطان المتميع نفسه.

---

[31] ـ (انقراض سلسلة صفويه) ص ٤٥.

وتسنى خداع الشاه من خلال إظهار مريم بيغم (بيكم) بمظهر المريضة - وهي عمة أبيه وكان يحبها حبا جما - وقد ذكر كروسينسكي بالتفصيل فقال :

[كان الشاه حسين ميالا الى الزهد والتقوى، تماما،.... وقد أصدر فرمانا اكد فيه بشدة أنه سيعاقب على شرب الخمر عقوبة عظيمة، وبعد منع معاقرة الخمر قام اهالي اصفهان باراقة الخمور على الارض.... ومنع على أحد - سوى ملوك الارمن * - بيع الخمر لشخص... ولكن والدة الشاه (والصحيح عمة أمه) توسطت في الامر وتمارضت وطمعوا الأطباء في الادعاء أن دواءها الوحيد هو شرب الخمر، وعلى كل حال وجدوا لها خمرا وجاؤوها به،... ثم نصحوا الشاه نصيحة المشفقين... وتوسلوا له بأن يسير على طريقة أسلافه].[32]

ونقل لكهارت عن النص الكامل لمذكرات أسفار كروسينسكي هذه النقطة وهي «أن الشاه اعتبر نفسه معفوا من شرب الخمر طبقا لحكم منع شربها الوارد في القرآن لكن مريم بيغم (بيكم) أصرت عليه بشربها لأنه حسب ادعائها - ملك وفوق الأحكام والقوانين كلها، وليس مشمولا بالمنع».[33]

---

* هكذا قال المؤلف ولا أدري ما مقصوده من الملوك (المترجم).

[32] ــ (سفرنامه كروسينسكي)، ص ٢٣ - ٢٤.

[33] ــ (انقراض من سلسلة صفويه) ص ٤٦.

وكان عهد حسين الصفوي - من هذه الناحية - عهد المذلة والهوان والفقر والانحطاط والسقوط لدولة ايران، وهو من أشد العهود مرارة. ووا أسفا على ما فعله الشاه ونساؤه وبلاطه بشعب هذا البلد. وكاتب هذه السطور ليس مؤرخا وليس لديه اطلاع كاف بما احتوته تلك الحقبة التاريخية من وقائع وأحداث، لكنه لم يقرأ كتابا تاريخيا او مذكرات عن أسفار المندوبين والمسؤولين السياسيين والمبشرين الدينيين الاجانب حول هذه الحقبة إلا وجدها تجمع على القول بهوان وعدم كفاءة وذلة الشاه الصفوي.

«وان الوقائع والاحداث التي حصلت في تلك الفترة كانت مؤلمة لدرجة ان مجرد ذكرها أمر يخلو من أي حسن او لطف. وقد ادعى لكهارت - حقا - ان من العسير انتخاب امرئ أبعد ما يكون عن اللياقة للملك والسلطنة من هذا الملك، وكان الاختيار والأسوأ من نوعه حقا».[٣٤]

لكن ما هو السبب الاساس والعلة الرئيسة لانهيار الحكم الصفوي وزوال الدولة الصفوية وانعدام ازدهار وعمران ايران واستقلالها، ففي هذه القضية اختلاف في الرأي. فقد ذكر كل من مينورسكي وكروسينسكي وبراون ولكهارت عوامل واسبابا وعللا مختلفة، كما أن المؤرخين والكتاب

[٣٤] ـ (انقراض سلسلة صفويه) ص ٤٣.

الايرانيين كرضا قلي خان هدايت (من الماضين) والاستاذ ذبيح الله صفـــا (من المعاصرين) ذكروا امورا متعددة في تعليل ذلك.[35]

فبعض ذكروا أن زوال الصفويين كان في زمن الشاه عباس الصفـــوي حيث إنه كان يبعث الامراء الى داخل قصره لينغمسوا في المجون واللذائـــذ وبالتالي فقد ابتعدوا عن شؤون الدولة والحكـــم وصـــاروا تحـــت نفـــوذ المسؤولين عن تصريف شؤون النساء، وكان ذلك بمثابة إحدى مقدمـــات مسيرة السقوط والانهيار، وبعض يقولون انه عندما زالت هيبة العســكريين (قزلباش) كان ذلك ايذانا ببدء التراجع والزوال، وغالبا مـــا كـــان ميـــل وانغماس الملوك الصفويين أنفسهم في المجون والترف والملذات عاملا مـــهما في رسم تلك النتيجة. و لم يك الملوك الصفويون يعون ما يجري او يحـذرون ذلك.[36] لكن تحلل وتميع ومجون سلاطين كالشاه سليمان والشاه ســـلطان حسين كان يفوق الحدود ويتجاوز التصورات.[37]

---

[35] ـ يراجع : (سازمان اداري حكومت صفويان) ص ٣٦ - ٣٨، وســـفرنامه كروسينسكي ص ٢٣ - ٢٦، انقراض سلسلة صفويه ص ١٩ - ٣٩؛ رضا قلي خان هدايت، روضة الصفاي ناصري؛ تاريخ ادبيـــات ج ٥، القســم الاول، ص ٣٢ - ٣٨.

[36] ـ يستثنى من ذلك الشاه طهماسب الذي اعلن اعتزاله شرب الخمـــر وبقـــي يجتنب معاقرته حتى آخر عمره والتزم بالعهد الذي قطعه على نفسه.

[37] ـ ذكر لكهارت أقوالا عن افراط الشاه سليمان والشاه حســين فـــي معـــاقرة الخمر، نقلا عن مذكرات الرحالة والاسفار (راجع : انقراض سلســله صفويــه، ص ٣٦ و٣٨ و٤٧).

وفي هذا البين، ثمة مؤلفون وكتاب ذكروا أن دور الملالي وعلماء الدين وخطواتهم غير الصائبة والبعيدة عن التبصر، يفوق دور غيرهم في تمهيد سقوط الصفويين، وغالبا ما كان المجلسي رائدا لهذا التيار. وقال السير جان ملكم في وصف حسين الصفوي «إنه كان ملكا مرنا لين العريكة ملتزما بمراعاة ظواهر المذهب والمظاهر الدينية» لكن هذه «المحاسن... أدت الى تفاقم الخراب والفشل الذريع».

فقد وصل علماء الدين الى مناصب عالية واينما وجدت مدرسة للعلوم الدينية «عدت مقدسة ومحترمة كالكعبة وكل ذلك تم بأمر أحد علماء الدين المتعصبين يدعى الملا محمد باقر المجلسي»[٣٨].

ويشير ادوارد براون الى (نشوء ونمو) وازدياد سلطة المجتهدين في العهد الصفوي قائلا : (ان اقتدار وازدياد نفوذ هذه الطبقة لم يكن ذا نفع يذكر للجانب الروحي المعنوي ولا للمصالح الوطنية).

ثم يذكر أن «محمد باقر المجلسي كان شخصا مخيفا مهابا» وهو أبرز علماء الدين في ذلك الحين، ويضيف أنه كان - خلافا لأتباعه - «ذا عقل كبير وقابلية واسعة على التحقيق والنقد» ويعتبر كثيرا من الأحداث المرة في الحقبة الصفوية نتجت عن آرائه المتشددة وتعصباته. [٣٩]

اما ذبيح الله صفا فانه هو الآخر أصدر حكما من هذا القبيل بحق المجلسي قائلا : "ان أحد أسباب انحراف وانحطاط ذلك الشاه العاجز غلبة

---

[٣٨] ـــ السير جان ملكم (تاريخ ايران).

[٣٩] ـــ ادوارد براون (تاريخ ادبيات فارسي) ص ١١٥ .

افكار هذا الرجل المتعصب المتزمت وأنصاره عليه"[40]. وان موضوع كتابنا يستلزم أن نضع هذا الادعاء على المحك وأن نمعن النظر في صحته او عدمها.

ونبدأ القول من منع شرب الخمر :

ان المطلعين على الاحكام الاسلامية يعلمون أن اصرار القرآن وتأكيده على اجتناب شرب الخمر لا يحتمل الشك او التردد واللبس. واذا كان ثمة اختلاف بين المؤرخين حول مراحل اعلان حكم حرمة شرب الخمر - بين المفسرين والمؤرخين والفقهاء - فليس هناك أي خلاف بشأن اصل الحكم وشدته والتأكيد عليه، وليس هناك ادنى تباين في الرأي عليه.[41]

وان نظرة عابرة على كتاب (**الاحكام السلطانية**) توضح لنا ان من أبرز واجبات المحتسبين منع شرب الخمر علانية ومعاقبة المخالفين، وهذا الحكم ان لم يرق لبعض الناس فانه كان في محله، بملاحظة آثاره ونتائجه الاجتماعية المفيدة. وقد أخذ ذلك بنظر الاعتبار المخططون للنواحي السياسية ولاحظوا الامور الأخلاقية فنصحوا الشاه بأن لا يفرط - على الأقل - في شرب الخمر وان لا يجلس على مائدة الخمر الا مع الندماء

---

[40] ــ ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات، ج٥ القسم الاول، ص١٨١.

[41] ــ حول موضوع تحريم الخمر في القرآن والحديث والفقه، راجع مقالة الخمر (باده) في الموسوعة العلمية للعالم الاسلامي (دانشنامه علوم جهان اسلام) حرف الباء، الجزء الثاني.

فقط، لأن الخمر يؤدي الى السكر، والأنسان السكران يرتكب الأعمـــال والممارسات غير الصائبة.

ولكن معظم الملوك الصفويين - كغيرهم من السلاطين - كــــانوا لا ينصاعون لهذا الحكم الشرعي، وفي بعض الاحيان يقررون التوبة ويلتزمون بها، كما حصل بالنسبة للشاه طهماسب الذي ظــــل ملتزمـــا باجتنـــاب المحرمات الشرعية، وهو ما ذكرته الكتب التاريخية.

وفي احيان اخرى، كانوا يجتنبون معاقرة الخمر بتوجيه مـــن الطبيـــب ويعلنون التوبة عن شربها - مضطرين - ويصدرون أوامرهم رسميـــا بمنـــع شرب الخمر في البلاد. [٤٢]

وقد أسلفنا القول. ان الصفويين كانوا في البداية ملتزمين بحفظ الشعائر والتزام الآداب الاجتماعية الدينية، وفي بعض الاحيان، عندما كانوا يـــرون من بعض المحيطين بهم والمقربين لديهم مخالفات ومنكرات ويجدونهـــم قـــد انتهكوا حرمة المجتمع يؤدبونهم تأديبا شديدا.[٤٣] وهنا ليس المـــراد المـــدح والثناء على الملوك الصفويين بل نريد القول إن الملوك الصفويين الاوائـــــل

---

[٤٢]ــ على سبيل المثال : ان سبب تحريم شرب الخمر على جميع المسلمين بـــأمر من الشاه عباس عام ١٠٢٩ عندما كان في مازندران، هو أن بعض المقربين منه قالوا ان الشاه مرض بشدة اثر افراطه في شرب الخمر ونصحه الأطباء باجتنابه (انظر : نصر الله فلسفي «حياة الشاه عباس الاول» ج ٢ ص ٢٦٦).

[٤٣] ــ ذكر نصر الله الفلسفي بعض النماذج والمصاديق من التأديبات فـــي حيـــاة الشاه عباس الاول.

كانوا - لأي سبب او دافع - يعارضون رواج شرب الخمر والحانات علنا، وهذا - بالطبع - ما يستحق التقدير.

وبصراحة اكثر؛ ان فرض القيود المشددة والتعليمات الصارمة حول بعض الممارسات الاخلاقية على الرغم من أنه يمكن أن يؤدي الى ايجاد شبكة سرية وأن يجعل لدى الناس ازدواجية ونفاقا في السلوك، لكن لا يمكن التذرع بذلك من أجل ترك الناس مطلقي العنان والسماح لهم بارتكاب السلوكيات المنحرفة كيفما يحلو لهم.

وصحيح إنه يخشى أن يؤدي «غلق باب الحانة» الى فتح بعض «باب الرياء والزهد الظاهري» ولكن للحيلولة دون حصول الامر الثاني لا يمكن التغاضي عن الامر الاول. والذنب لو وقع سرا خير من أن يقع علنا وينتهك حرمة (الرابطة المدنية).

وان ما حرم في الدين إفراز مما يحدث في عالم الوجود العالم الخارجي وهو يدل على المصالح والمفاسد الحقيقية، وطبعا فان له دورا جديا في صون الرابطة والآصرة الاجتماعية التي هي جزء من حقيقة حياة الانسان.

وقد اهتمت الشريعة بقضية الخمر حتى أنه عد تركها - ولو عند الاحتياج للتداوي بها - مستوجبا للثواب.[٤٤]

ولذلك فان عالم الدين الذي يدرك كون الخمر منكرا حسب نص القرآن الكريم، ويعلم أن الاحاديث النبوية تصفه بأنه «ام الخبائث» وتبين

---

[٤٤] ـ الكليني (الكافي) ج ٦ ص ٤٣٠ عن الامام الصادق (ع) : من ترك الخمر لغير الله عز وجل سقاه الله من الرحيق المختوم... صيانة لنفسه.

حرمته بأنحاء مختلفة، ويتصدى لرواج شرب الخمر، يعمل بواجبه ويــؤدي وظائفه في محلها.

واذا امتنع الملوك وشاهات الصفويين عن الامتثال لهـــذا الحكــم في خلواهم و لم يطبقوه باغواء وتأليب من المقربين إليهم والمحيطين به، فلماذا لا يمنعهم عن شربها ولو علنيا ؟ فعالم الدين يمارس النهي عن المنكر على كــل المستويات، ويحدث الناس عن مفاسد المنكر وخبثه ويدعو من بيدهم زمــلم الحكم ويتسنمون المناصب الحكومية الى الحيلولة دون ترويج شرب الخمــر ومعاقرها، ويبذل كل ما في وسعه من أجل ترغيبهم وحثهم على اتبـــاع أحكام الشريعة ويقوم بتعزير مرتكبي شرب الخمر.

أظن أن هذه الاعمال - وفضلا عن كوها لا تعد افعالا غير صائبــة - فاها تستحق التقدير. ومن اليقين أن الناس كانوا مبتهجين لكون المجلسي - ومن سبقه من العلماء - كان يأمر حكام زمانه بمراعاة حرمـــة الاحكـــام الدينية والتقيد بالاوامر الشرعية الاجتماعية، وخلافا لما قاله لكهارت[٤٥] فان الناس ليسوا هم الذين لم يتحملوا منع شرب الخمر، بل اعضـــاء البـــلاط والحواشي وذوو المناصب هم الذين قاموا برد الشاه عن الطريق القويم الذي سار فيه، بعد أن استخدموا الحيل والاحابيل واساليب المكـــر والخـــداع. فبموجب الخبر الذي نقله هذا الكاتب نفسه عن برمارتن كودرو، أصـــدر

---

[٤٥]ــ وعبارة لكهارت هي : «ان تنفيذ فرمان منع شرب الخمر، بحـــزم دون أي مناقشة، اثار غيظ وانزعاج العامة وخاصة اوساط البلاط والحواشي» (انقــراض سلسلة صفويه، ص ٤٥).

الشاه فرمانا حازما بمنع شرب الخمر، وأمر قبل كـــل شـــيء «بـــاخراج زجاجات وقوارير الخمر المحفوظة في سراديب القصر الملكي الى الخـــــارج وتحطيمها أمام أنظار الناس».[٤٦]

اما السير جان ملكم فانه عرض اولا بهذه الخطوة الحازمة التي اتخذهـــا الشاه الصفوي وشكك فيها، ثم حرف الحادثة التاريخية المذكورة.[٤٧]

نحن لا ندعي أن مكافحة شرب الخمر علنا كان هو العلاج الوحيــــد لآلام ايران ومحنها الكثيرة، لكننا نقول أن هذا العمل يعد حلقة في سلســـلة الخدمات الوطنية وكان يرمي الى احياء روح العـــزة والاســـتقلال لـــدى الشعب المسلم في هذا البلد.

ولو كانت مكافحة شرب الخمر ومنعه قد استمرت وظل الشاه يقظـــا وصاحيا، واتخذت خطوات واجراءات من قبل المســـؤولين الحكوميـــين ورجال الدولة - والتي كان من واجبهم اتخاذها و لم يبادروا اليها - فـــان ذلك كان من شأنه طبعا أن يمهد الطريق الطويل للشعب الايـــراني كـــي يسعى لتحقيق استقلاله ونيل عظمته - ولكن لا ذلك المنـــع اســـتمر ولا

---

[٤٦] ـــ (انقراض سلسلة صفويه) ص ٤٤.

[٤٧] ـــ تاريخ ايران، ج ١، ص ٢٨٣ «بعد مضي بضعـــة أيـــام علـــى اعتـــلاء السلطان حسين عرش الملكية أصدر باغراء منه (من المجلسي) فرمانا قرر فيـــه جمع كل الخمور واقداحها التي كانت تعود لأبيـــه واراقتـــها وتحطيـــم أوانيـــها وقواريرها» ونقل كروسينسكي (ص ٢٤) الحزم نفسه في ذكره للحادثة.

الشاه وبلاطه وحواشيه عملوا بواجباتهم وقاموا بوظائفهم فحصل ما حصل.[48]

أجل، ان عدم الفصل بين السلطات وإلقاء ذنب شخص على عاتق الآخر كان خاطئا بنفس القدر الذي يكون تدخل كل شخص في شؤون الآخرين.[49]

ان عالم الدين يفكر أولا باشاعة ونشر وتبيان أحكام الدين وترويج شريعة سيد المرسلين ولا يدخر وسعا في انجاز وظيفته والنهوض بهذه الرسالة. وان مبادرته الى انجاز الوظائف الاجتماعية تتخذ لها معنى من خلال هذه الرسالة، ولذلك نرى أنه يمارس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أشكاله ومراتبه، وفي بعض الاحيان يتجلى ذلك بتسنم المناصب الرسمية، سواء تلك التي يجب أن تكون (بموجب مبادئ واسس الفقه) بيده،

---

[48] ـ فهم لكهارت وأدرك هذه النقطة حقا وهي أن حواشي الشاه وبلاطه لم يكونوا راضين بنفوذ علماء من امثال المجلسي ويرون أن انتصارهم يكمن في «الغاء فرمان (حكم) منع شرب الخمر فذلك يعتبر ضربة معاكسة وردا على محمد باقر» ص ٨٣.

[49] ـ ورد في كتب التاريخ أن الشاه حسين الصفوي كانت لديه حجرة في مدرسة (جهارباغ) - وحتما ان ذلك كان بقصد ترويج العلوم الدينية - وكان يذهب الى المدرسة أحيانا ويحضر درس المير محمد باقر الخاتون آبادي. وليته لم يفعل ذلك بل ليته حافظ على مكانته السياسية وبدلا من دراسة الفقه ليته طبق المسائل الفقهية، وليت الذين كانوا يعتبرون هذا التظاهر والبروز دليلا على ترويج واعزاز الدين وشجعوا الشاه على ذلك، شخصوا الطرق الصحيحة لترويج الدين وظلوا في مأمن من «هجوم اللوابس».

او تلك التي يمكن أن يتصدى لها كل امرئ مؤمن مطلع عـــارف بحـــدود العمل واصوله وطرقه.

وحتى لو قام عالم الدين بأسمى الخطوات السياسية وأرقاها او بـــادر - بملاحظة التجارب التاريخية - بانتهاج سبيل إقامة الحكومة فان اساس الامر يستند الى ما أسلفنا قوله.

هذه مصاديق عامة لتبليغ الرسالة، ولهذا السبب نفسه نرى حصـــول خلاف في وجهات النظر بين العلماء، أحيانا. فتشخيص المصداق وتعيـــين الاسلوب يتطلب اطلاعا ومعلومات تفوق مجرد معرفة النصوص الرسميـــة والمناهج الدراسية، اذ معرفة العصر واغتنام الفرصة من أبرز مستلزمات هذا الامر.

ولنعد الى المجلسي: فقد أقام جمع من الهنود معبدا للأصنام في احـــدى محلات اصفهان، و لم يك قد مضى على تبوء المجلسي منصب شيخ الاسلام فيها إلا برهة حتى أصدر أمرا بتدمير وتحطيم ذلك المعبد. وللحيلولـــة دون ذلك، لجأ الهنود الى التشبث بأذيال الشاه سليمان لكن ذلك لم يكن مجديـــا وحطمت الأصنام.[٥٠]

---

[٥٠] ـــ (وقايع) ص ٥٤٠، والبحار، ج ١٠٢، ص ٢٠ (عيـــن المجلســـي شـــيخا للاسلام في الرابع من جمادى الاولى ١٠٩٨ وبادر الى تحطيـــم الاصنـــام فـــي جمادى الآخرة من العام نفسه).

والانجاز الآخر للمجلسي: قمع ومطاردة الصوفيين كما ذكروا. فقد قال ادوارد براون في تعريف المجلسي انه «قمع ودمر الصوفيين بكل عنف وخشونة».[٥١]

وقال لكهارت ان المجلسي «كان يعادى الصوفية ويناوئهم»[٥٢] وذكر السيد ذبيح الله صفا من جملة أعماله البارزة «مذابح الصوفيين» ووصفه بأنه "من ألد أعداء الصوفيين".[٥٣] وادعى السير جان ملكم أنه وبسبب المجلسي «تأذت وتضررت جميع طوائف وفرق ومذاهب الاسلام» وحكم المجلسي على المتصوفة «بأن يدمر كل معبد - او خانقاه كما يسمونه - وأن ينفى أكابرهم الى مدن او حتى الى بلدان اخرى».[٥٤]

فمتى وكيف ارتكب المجلسي هذه المجازر والتهجيرات ؟ لم تشر هذه المصادر الى ذلك الا أن السير جان ملكم قال ان محمد علي حزين ذهب الى الهند. كما ذكر آخرون أن الملا محمد صادق الاردستاني أخرج من اصفهان، وكان حزين اللاهيجي قد ولد عام ١١٠٣ في اصفهان، وكان أبوه من المهاجرين الى هذه المدينة ويصل نسبه الى الشيخ زاهد الكيلاني مرشد واب زوجة صفي الدين الاردبيلي.

---

[٥١] ـ (تاريخ ادبيات فارسي)، ص ٢٧٩.

[٥٢] ـ (انقراض سلسلة صفويه)، ص ٨١.

[٥٣] ـ تاريخ ادبيات، ج ٥، القسم الاول، ص ١٨١ و٢٠٦.

[٥٤] ـ تاريخ ايران، ج١، ص٢٨٣.

وترعرع حزين خلال حقبة البلبلة والاضطرابات التي شهدته

ا اصفهان، وكما ذكر هو في ترجمة حياته تحت عنون «تاريخ حزين» فانه أخرج من اصفهان إثر هجوم الافغان عليها وبعد سفره الى المدن المختلفة قرر أن يقيم في الهند. وتوفي اللاهيجي في عام ١١٨١ بمدينة بنارس.

وبناء على ذلك فمن اليقين أن السير جان ملكم قد أخطأ في هذا الصدد، فقد كان عمر حزين اللاهيجي سبع سنوات فقط عندما توفي المجلسي، والصحيح ان طرده من اصفهان تم على يد الأفغان المهاجمين لاصفهان لا على يد المجلسي. ومن باب الصدفة فانه يذكر في كتابه نفسه، في عداد «بعض الافاضل الذين لقيهم في صغر سنه» محمد باقر المجلسي ويقول :

[ومن جملتهم : الفاضل المرحوم مولانا محمد باقر المجلسي الاصفهاني الذي كان شيخ الاسلام ومن مشاهير المحدثين وفقهاء الامامية. ولديه مؤلفات مشهورة، وقد شاهدته ثلاث او أربع مرات][٥٥]

اما عن الملا محمد صادق الاردستاني : فقد ذكر الحاج زين العابدين شيرواني بمناسبة تعداده لأسباب اضطراب الدولة وزوال السلطنة الصفوية عاملا هو اهانة وأذى السلطان حسين للصوفيين ومن جملة ما قاله :

---

[٥٥] ــ تاريخ حزين، ص ١٦

[ان العارف الرباني مولانا محمد صادق الاردستاني (قدس سره) الذي كان وحيد الزمان وفريد العصر حكموا عليه بالطرد بعد صنوف من الأذى، وعند اخراج خيرة الاخيار ذاك، واثناء الطريق توفي طفله الصغير، لشدة برودة الجو][٥٦]

وذكر معصوم علي شاه نائب الصدر أيضا نفس ما قاله الشيرواني ثم أضاف ان هذا الاردستاني قد توفي عام ١١٣٤. ثم ذكر قصة تتناقلها الافواه دليلا على كرامته جاء فيها :

[يقال انه في عام ١١٣٤ أغار محمود بن ميرويس غلجايي على اصفهان ونهبها، وكان الملا زعفراني مراده، فكان يكرر القول : لماذا آذيته كل هذا الأذى ؟ فكلما كنا نريد المجيء الى ايران كان هناك في عالم الواقع اسد يمنعنا، وفي ليلة رأيت ان ذلك الاسد خرج من اصفهان ولم يعد ثمة مانع، فركبنا فورا وجئنا، وحققنا في الامر، فوجدنا أن مولانا أخرج من المدينة في تلك الليلة نفسها][٥٧].

---

[٥٦] ـ بستان السياحة، ص ٦٦ (في ذيل اردبيل).

[٥٧] ـ (طرائق الحقائق)، ج ٣، ص ١٦٥.

وعند الذين يعتبرون أن للعالم الظاهري حقيقة باطنية ويأخذون الاخبار من وراء المحسوسات من العلاقات بين غير المحسوسات فان القبول بمثل هذه الكرامة ليس صعبا، ولكن لو صح هذا الخبر فانه يدل على أن طرد محمد صادق الاردستاني من اصفهان لم يقع على يد محمد باقر المجلسي.

فقد توفي المجلسي عام ١١١٠ وحسبما قال اعتضاد السلطنة فانه بعد مضي عام على ذلك تحرك ميرويس لعرض الظلامة والشكوى، من قندهار الى اصفهان و لم يحصل على الجواب.[٥٨] وبالتالي فانه وقعت حملة الافغان على اصفهان في عام ١١٣٤.

علاوة على ذلك، فان الشيرواني ونائب الصدر يمقتان المجلسي بسبب انتقاده للصوفيين، بل ان الشيرواني - وكما اسلفنا قبل ذكر الاردستاني - يعرض بالمجلسي وينتقده لكونه «يذم الصوفيين» ويحاكمه على ذلك، ويتهمه بأن الدافع الذي جعله ينتقدهم هو «حب الدنيا» او «العناد والتعصب»[٥٩] وفي هذه الحالة، فلو كان المجلسي هو الذي أمر بطرد الاردستاني لكان مستبعدا أن يغفل هذان الكاتبان عن اتهامه بذلك، او يحذرا من أن ينسبا اليه ذلك.

---

[٥٨] ــ (تاريخ منتظم ناصري) أي تاريخ المنتظم للناصري، ج ٢، ص ٩٩٩ - ١٠٠٠.

[٥٩] ــ بسان السياحة، ص٦٦.

وفي هذا البين، فان المرحوم عبد الكريم كزي الاصفهاني الذي - من باب الصدفة - يثني كثيرا على المجلسي، يكتب في صدد التعريف بمدفن الاردستاني ما يلي:

[من المعروف أن المجلسي هو الذي طرده من اصفهان، نظرا لملاحظته وظنه أنه صوفي، وبعد ذلك ندم، وعند اعادته اختار «تخت فولاد» مقاما له ولم يدخل مدينة اصفهان]. [60]

ومن مجموع هذه الأخبار يمكن استظهار أن حكاية طرد الاردستاني من أصفهان، مهما تكن دوافعها واسباها، لم تكن من عمل المجلسي، ويحتمل أن مواجهة المجلسي للصوفيين ومناوأته الصريحة لهم، والتقارب الزمني بين زمان حياة المجلسي والاردستاني هو الذي ادى الى أن ينسبوا للمجلسي هجير الاردستاني. [61]

---

[60] ـ تذكرة القبور، ص ٢٣، ونسب المدرس الخياباني في ريحانة الادب (ج ١، ص ؟ لم يذكر المؤلف رقمها - المترجم) الى المجلسي طرد الاردستاني ونقله عن صاحب روضات الجنات. وبالنظر الى أنه لم يأت في الروضات ذكر للاردستاني، فيحتمل أن يكون المرحوم الخياباني قد أخطأ في ذكر مصدره.

[61] ـ تحدث استاذ الحكمة الاسلامية المحترم حضرة السيد آشتياني في مقدمة كتاب (الشواهد الربوبية) عن الاردستاني وكراماته ومنزلته العلمية وأشار الى جانب مما قلناه آنفا فقال : «وقام بمثل هذا العمل المجلسي الثاني بحق الملا محمد صادق الاردستاني مع فرق انه أثناء تسفير المرحوم الاردستاني وعائلته توفي طفله الصغير من شدة برودة الجو. وان قصة تهجير هذا العالم الديني الفذ

علاوة على ذلك، كان محمد علي حزين تلميذا للاردستاني وقضى سنوات طويلة في «خدمة سلطان المحققين وأفضل الحكماء الراسخين، مكمل علوم السوالف واللواحق، محيي الحكمة ابو الفضل مولانا محمد صادق الاردستاني عليه الرحمة.... ينهل من علومه» وبقي يدرس لديه حتى رحيله عام ١١٣٤ اثناء محاصرة اصفهان.[٦٢] ولم يشر حتى الى نفي الاردستاني.

أجل، إن المجلسي كان معارضا مناوئا للصوفيين، وسوف نشرح الاسس النظرية والاسباب الداعية لذلك في الفصل الخاص بآراء المجلسي، بالتفصيل. لكن الكلام هو في أن اسلوبه في المعارضة وعرض خلافه معهم هو الاسلوب العلمي وطريقته اصدار الكتب في تفنيد معتقداتهم. ويصف

والمصيبة التي سببها شيخ الاسلام في عصره العلامة المجلسي والشاه سلطان حسين لهذا الحكيم الإلهي مصيبة ترق لها القلوب وتتصدع لها الأفئدة (وليس هذا أول قارورة كسرت في الاسلام)» (الشواهد الربوبية ص ١٠٩ - ١٠١). وليتنا تمكنا من معرفة مصادر المعلومات التي أوردها وضممنا صوتنا الى صوته، ومن المدهش انهم كرروا نشر الموضوع نفسه في (منتخباتي از آثار حكماي إلهي ايران - أي مختارات من آثار حكماء ايران الإلهيين دون ذكر المصدر (ج ٢ ص ٢، الحكمة الصادقية)). (وعبارة القارورة ينبغي ان يكون أولها: وليست هذه...) المترجم.

[٦٢] تاريخ حزين، ص ٤٧ - ٤٨.

البحراني في «لولؤة البحرين» المجلسي بأنه المواجه والمعارض الألد «للصوفيين المبتدعين».[63]

وفي شرح أحوال الملا محسن الفيض الكاشاني قيل انه كان

ايران

آنذاك اتجاه شديد نحو التصوف، حتى برز محمد باقر المجلسي وبذل كل جهوده لدحض وتفنيد هذا الاتجاه والقضاء عليه.[64] ومؤلفات المجلسي في هذا الباب - سواء تلك التي خاطب بها العامة، او تلك التي كرسها لنقد آرائهم - تعكس اسلوب مواجهته مع الصوفيين، ولا تنبئ أبدا برائحة التعذيب والقتل والنفي.

وحتى لكهارت الذي صرح "بكون المجلسي من أتباع ودعاة الظواهر والتصلب والتعصب والعداء للصوفيين" لم يعثر على مستند ينبئ بممارسة المجلسي اعمالا عدوانية ضدهم. ولذلك فانه وبعد أن ذكر الطلبين اللذين قدمهما المجلسي في مراسم تتويج الشاه حسين الصفوي، قال :

[كما انه (اي المجلسي) أغوى الشاه الصفوي وألبه على اصدار فرمان - أمر - بنفي كل الصفويين من العاصمة].[65]

---

[63] ـ لولؤة البحرين، ص ٥٥ (ونقلا عنه أيضا في روضات الجنات، ج ٢، ص ٧٨، وفي مقالة عبد الهادي الحائري بدائرة المعارف الاسلامية، ج ٧، ص ١٠٨٧).

[64] ـ (دائرة المعارف اسلام) أي دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢٢ - ١٢٣.

[65] ـ (انقراض سلسله صفويه)، ص ٨١ و ٤٤.

وتحدث كامل مصطفى الشيي أيضا عن محمد باقر المجلسي ومعارضته العلنية مع الاتجاهات الصوفية، لكنه لم ينسب الى المجلسي أي اعمال ومبادرات عملية معادية لهم. يقول الشيي:

[ومن النواحي العملية، وجهت الحكومة ضغوطا ضد الصوفية وطبقت بحقهم عقوبات ونفتهم جميعا من العاصمة، وتقرر منع عقد حلقات الذكر وحظر جميع مراسم الصوفيين. ومن جملة القرارات الهادفة الى محو وازالة آثار التصوف ان الحكومة منعت الناس من قول «ياهو» وسار طلاب المجلسي في انحاء أصفهان وطافوها حتى انهم كسروا اكواز الكوازين والخزافين بذريعة أنه عندما ينفخ فيها يسمع منها طنين على شكل «ياهو»].[٦٦]

ولسنا نجانف الحق لو قلنا إن نشر كتب علماء الشيعة المخالفة والمناوئة لأفكار الصوفية كان لها أثر في وقوع الاعمال التي ارتكبها الشاه الصفوي

---

[٦٦] ــ نقل الشيبي هذا الامر من فوائد الصفوية. مؤلف فوائد الصفوية كاتب يدعى ابو الحسن القزويني ألف الكتاب عام ١٢١١ بالهند وأهداه الى أحد احفاد الصفويين. يذكر في ص ٧٨ - ٧٩ عهد الشاه حسين الصفوي ونفوذ محمد باقر المجلسي عليه ويتطرق الى بعض الاعمال المرتكبة ضد الصوفيين. لكن المشكلة هي أنه يصف المجلسي بأنه استاذ الشاه بينما كان استاذ الشاه هو المير محمد باقر الخاتون آبادي.

في ذلك الحين. لكن لا يمكن اعتبارها سببا مباشرا ودافعا للشاه لممارسة القتل والنفي ضد الصوفيين .

بالاضافة الى ذلك، فانه ـــ كما أسلفنا القول آنفا - كانت مواجهة الصوفيين ومكافحتهم في العهد الصفوي أوسع من أن يكون سببها عداوة المجلسي لهم واكبر من أن يكون المجلسي منفذها والقائم بها بمفرده.

فقضية التصوف كانت مطروحة في ذلك العهد من الناحية النظرية، والناحية الاجتماعية والممارسات الدينية، وكذلك من الجانب السياسي. وكان تصدي ملوك الصفويين للصوفيين يندرج في اطار الجانب الثالث، ويرتبط بالصراع الذي حصل بين أعضاء البلاط الشاهنشاهي والصوفيين ومريدي الملوك الصفويين الذين شعروا أن دائرة نفوذهم أخذت تضيق رويدا رويدا بمرور الزمن، وحتى في عهد الشاه حسين الصفويين توجهوا للاعمال الحقيرة والمهن الواطئة.

اما علماء الشيعة فقد كانوا ينظرون الى التصوف من زاوية التعاليم الدينية، سواء أخطأوا في ذلك ام أصابوا، وكان المجلسي من جملة اولئك العلماء.

وقد ذكر المورخون من جملة أعمال المجلسي ممارسات قالوا إنه آذى بها اتباع الاديان الاخرى وأفراد الاقليات السابقة. فقد ذكر لكهارت أنه وجد لدى المجلسي «ممارسات وحشية ضد الزرادشت الايرانيين» وادعى أن «تعذيب هؤلاء البائسين اشتد في عهد الشاه سلطان حسين".[٦٧]

---

[٦٧] ـــ (انقراض سلسله صفويه) ص ٨٤..

وحسب ما قاله لكهارت فان «محيي طريقة ومذهب التشيع كرسوا كل اهتمامهم بعد جلوس» هذا الشاه «ووجهوا الضغوط الى ناحية اليهود والزرادشتيين وأجبروا كثيرا من افراد هذين الدينين على اعتناق الاسلام».[٦٨]

اما بشأن المسيحيين فقد استخدم لكهارت اسلوبا اكثر ليونة ومرونة وتحدث عن رأفة الشاه وعطفه عليهم، وبالطبع فقد أرجع السبب في ذلك الى ضعف عزيمته وعدم حزمه «مما جعله غير قادر على المقاومة والصمود بوجه رغبات ومطالب رجل ذي عزيمة صلبة وحزم كمحمد باقر»[٦٩].

ان لكهارت استند الى أقوال الاسقف الاعظم أنقوره الذي كان قد سافر الى ايران عام ١٦٩٩م لاجراء مباحثات هدفها تمديد وتجديد منح امتيازات للهيئات التبشيرية الكاثوليكية في ايران. وقد توفي المجلسي في رمضان ١١١٠هجري ويطابق هذا التاريخ ٢٠ مارس ١٦٩٩.

وعلى هذا الاساس فانه اذا كانت «أعمال وحشية» حصلت إثر فرمان (أمر) الشاه الصفوي لحمل الزرادشتيين على اعتناق الاسلام، فقد وقعت في عهد حياة المجلسي يفترض أنها وقعت في الاشهر الاوائل لعام ١٦٩٩ الميلادي. والكاتب غير مطلع على طبيعة هذه الأعمال، لكنه يعلم أنه من وجهة نظر الفقه الاسلامي اذا قبل أتباع الاديان الاخرى بشروط الذمة يمكنهم العيش بحرية في البلد الاسلامي، ومن خلال معرفتنا بعلوم

٦٨ــ (انقراض سلسله صفويه)، ص ٨٥.

٦٩ــ (انقراض سلسله صفويه)، ص ٨٨.

المجلسي الدينية لا يمكننا أن نتصور أنه كان يرضى على مثل هذا الاجبار بحق أتباع باقي الاديان.

وثمة رسالة فقهية للمجلسي تحت عنوان (**صواعق اليهود**) يبين فيها أحكام أخذ الجزية من أهل الكتاب. يقول المجلسي في مقدمة الرسالة المذكورة: «**لقد قرر الباري تبارك وتعالى أخذ الجزية من أهل الكتاب**» وبعد بضعة أسطر يوضح المقصود بأهل الكتاب فيقول «**انهم اليهود... والنصارى والزرادشتيون**». ويعتقد أن أتباع هذه الاديان «**متى ما عاشوا بين المسلمين وعاشروهم... وشاهدوا شرائعه الحقة وعباداته الكاملة، فانهم يدركون حقيقة دين الاسلام بسرعة وما لم يتعصبوا فانهم يعتنقون الاسلام**».

ومن النقاط الجديرة بالاهتمام في نهاية هذه الرسالة هي جملة: («الحكام» يجب أن لا يسلطوهم على المسلمين، وعليه أن يؤكد على المسلمين بأن لا يهينوهم عبثا»)[٧٠].

واساسا، فبخصوص وضع الاقليات الدينية في ايران خلال العهد الصفوي ينبغي أخذ مختلف الجوانب بنظر الاعتبار. وقد ذكر نصر الله الفلسفي في تقرير تفصيلي له كيفية معاملة الشاه عباس الصفوي مع اتباع باقي الاقليات الدينية، وأورد نقاطا مهمة.

---

[٧٠] ـ رسالة صواعق اليهود، مطبوعة ضمن خمس وعشرين رسالة بالفارسية، ص ٥١٥ - ٥٢٢ .

وقد كان تعامل الشاه يسوء ويحسن معــــهم تبعــا ـــ في الغـــالب - للظروف السياسية، فقد كان الشاه يدرك أحيانا أن بعض زعماء الفــــرق الدينية يتجسسون لصالح الأجانب وطبعا فتبعا لذلـــك يســـتعمل الشـــدة والخشونة معهم، وهذا ما كان يرى بخصوص اليهود على الدوام لانه كـلن يرى تجسسهم للأجانب.

ويتحدث عن كيفية معاملة الشاه مع بعض المسيحيين الخونة فيقول:

[وكان الشاه يتعامل مع القسيســـين والرهبـــان المسيحيين وضيوفهم المبشرين الاجانب معاملـــة شديدة اذا ما ارتكبوا عمـــلا مخالفـــا للقوانـــين الايرانية او قاموا بممارسات لا تنسجم مع اصول سياساته] [71].

ومن باب الاتفاق فان لكهارت الذي كـــان يعتقـــد أن للمجلســـي ونظرائه وأسلافه يدا في إساءة معاملة اتباع سائر الاديان، يعترف شـــخصيا بأن سلوك الشاه ومعاملته مع المسيحيين الكاثوليك كـــانت تتـــم بدفـــع وتحريض من كبير أساقفة الفرقة الارثذوكسية او أحد القسيسين منها[72].

وهو نفسه (أي لكهارت) بعد أن يتهم المجلسي بالتضييق والتشدد مـع اليهود يذكر قصة ينقلها براون عن التنكابني ويستنتج أنه «ليس معلومـــا

[71]ــ (زندكاني شاه عباس اول) ج ٣ ، ص ٩٣١ - ٩٧٢ .

[72]ــ (انقراض سلسله صفويه)، ص ٨٩ .

مدى صحة القول بأن المجلسي هو الذي كان مسؤولا عن تعذيب اليهود»[٧٣].

والقصة التي يستند إليها لكهارت هي الحلم الذي نقله التنكابني «أن الأفواه والألسنة تناقلت أن رجلا رأى في المنام الملا محمد باقر وسأله عن أحواله» وكان جواب المجلسي له هو أن أيا من أعماله لم تنفعه سوى عمل واحد وهو «أنه أهدى يوما تفاحة ليهودي».

وينقل التنكابني هذه القصة عن رسالة الاغلاط المشهورة للسيد محمد مجاهد ونقل عنه قوله «ان هذا حلم غلط» ومفتعل وبناء على القواعد العقلية والمروية فانه يعد رؤيا كاذبة[٧٤].

ولا بد من القول إن أصل ادعاء لكهارت أيضا مثل هذه القصة ذاتها، لا اساس له وغير موثق. وبناء على ذلك فالافضل أن نؤيد الاحتمال الذي ذهب إليه هذا الكاتب من أن المجلسي «ولدوافع دينية لا

---

[٧٣]ـ (انقراض سلسلة صفوية)، ص ٨٥

[٧٤]ـ قصص العلماء، ص ٢٠٦ ، و (تاريخ ادبيات ايران)، ص ٢٧٩ (يستنتج براون من هذه القصة أن المجلسي يرغم أنه كان متعصبا وخشنا - ذو اخلاق حسنة. ولكنه ومن أجل التعرف على الخصال الحميدة لدى المجلسي لم يكن بحاجة لنقل هذه الحكاية التي تتناقلها الأفواه والألسنة، وانما كتبت حوله العديد من الكتب من قبل كتاب التراجم ومن جملتهم الجزائري الذي يروي عنه براون امورا مفصلة - فقد تحدثوا في هذا الباب بالتفصيل. وربما لفتت القصة نظر براون إليها وحازت على اهتمامه نظرا لكونها تعكس كيفية معاملة المجلسي مع شخص غير مسلم).

بدافع الحقد والحسد، عمل على تهيئة أرضية وقوع الاذى والتعذيب ضد الاقليات الدينية»[٧٥] ونطوي كشحا عن الأمر، ونكتفي بالاشارة أنـــــه يبدو من بعض التقارير التاريخية أنه كانت للمجلسي علاقات طيبـــة او غير عدائية على الأقل مع غير المسلمين الساكنين في اصفهان، ولقد قـــرأ بعض فقرات التوراة بالعبرية وفهم معناها بواسطة طبيب يهودي او مسيحي باصفهان وأن ذلك الطبيب كان يحظى بثقته[٧٦].

والامر الاخير الذي نتناوله في هذا الموضوع هو تدخـــل المجلســـي في شؤون الحكم والدولة. يقول السيد صفا: «ان النفوذ الواسع للملا محمـــد باقر المجلسي... في شؤون الدولة كان معروفا على عهد الشـــاه ســـليمان والشاه سلطان حسين... وقد استغل ضعف الشاه سلطان حسين والمـــلا سكرتيره، فأخذ يتدخل في شؤون الحكم. و... كان اســـتمرار ملوكيـــة سلطان حسين يتوقف على وجوده». واعتبر صفا «أن غلبة هذا الرجـــل المتعصب المتزمت المتشدد» «أحد الاسباب والعلل العديدة التي أفســـدت عمل ذلك الشاه الضعيف وادت به الى الانحطاط»[٧٧].

وهكذا ذهب المرحوم عبد الهادي الحائري الى القول بأن «الســـنوات الاربع الاخيرة من اشغال المجلسي لمنصب شيخ الاسلام في عهد الســـلطان حسين، نجد أن المجلسي كان في الحقيقة هو الذي يدير امور حكومة ايران»

---

٧٥ ــ (انفراض سلسله صفويه)، ص ٣٨ .

٧٦ ــ البحار، ج ١٠٧ ، ص ١٧٣ .

٧٧ ــ (تاريخ ادبيات) ج ٥ ، القسم الاول، ص ١٨١ .

وفي ضوء قدرته الكبيرة ونفوذه الكبير في أنحاء دولة ايران، شاعت سياسة مذهبية خشنة ومتشددة في مقابل السنة، مما ادى الى وقوع الهجوم الافغاني على الاراضي الايرانية[٧٨].

يبدو أن مقصوده ومقصود الاستاذ صفا حول «اذى السنة والخشونة معهم» لم يكن سوى تأليف المجلسي كتبا في شأن الامامة. والواقع أن المجلسي دافع عن المذهب الشيعي دفاعا شديدا وكبيرا بكل صلابة، وطبعا فانه انتقد مؤسسي مدرسة الخلافة واتباعهم انتقادات شديدة، وهذا ما سنتطرق إليه في فصل آخر تحت عنوان «آراء المجلسي». لكن القول بأنه قام بعمل مضاد لأهل السنة او ألب الشاه على اتخاذ سياسة مناوئة وخطوات معادية لأهل السنة، ليس سوى من قبيل ذات الاعمال المنسوبة إليه والمتهم بها المجلسي بشأن الأقليات الدينية، وهو ما أسلفنا القول فيه توا.

فالشاه رغم أنه وافق في البداية على مطالب المجلسي وأقبل عليه بوجهه، لكنه بالغائه فرمان (امر) منع شرب الخمر ابتعد عنه عمليا. كان المجلسي شيخ الاسلام وذكرنا أنه كان يمارس الامور الحسبية والقضاء والافتاء وما شابهها من الأعمال. واذا لاحظناه يعاشر الشاه او يتردد عليه ليمارس وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان الحواشي والبلاط لم يكن يروق لهم ذلك.

---

[٧٨] ـ (دائرة المعارف الاسلامية) «ليدن» ج ٥ ، ص ١٠٨٧ .

واساسا فان القول بوجود صلة وثيقة وعلاقة متينة بين الشاه الصفوي والمجلسي (وغيره من علماء الدين) ليس صائبا. فمن يتحدث عن «مفاسد القرب من الملوك» ويعتبرها «مما يؤدي الى خسران الدنيا والعقبى» ويشير الى بعض تصرفاتهم الخاطئة، وكان هو نفسه ملتزما بما أوصى به الآخرين من عدم التقرب اليهم[٧٩].

والذين أشكلوا على المجلسي وانتقدوا مواقفه السياسية والاجتماعية لم يشككوا في تقواه والتزامه الديني، حتى لا يطرح وجود الازدواجية في سلوكه وأقواله.

ولنشر الى نتائج وآثار خطوات المجلسي على الهجوم الافغاني على ايران. فقد اقتفى عبد الهادي الحائري اثر حامد الغار وكاتب هذه السطور لا يعلم حقا هل إن الغار لديه ادلة وبراهين وشواهد على ما قاله ام لا؟ ام أنه مجرد استنباط ظني لا أكثر.

فالمصادر التاريخية تقول بغير ذلك وتطرح الموضوع بشكل آخر. وقد اورد تفاصيل الحوادث كل من كروسينسكي و لكهارت ووليم فور

---

[٧٩]ــ عين الحياة، ص ٥٠٢ . البحث في طبيعة وكيفية العلاقة بين العلماء و البلاط الصفوي من البحوث المهمة والجديرة بالمناقشة في تاريخ ايران وتاريخ المذهب الشيعي، ومن شأنه تسليط الضوء على الممارسات والافكار السياسية لعلماء الشيعة. لكن من المسلم به أن دورهم في سقوط الحكم الصفوي وانهيار الدولة الصفوية وتعرض البلاد من جديد الى هجمات الأجانب والى تسلط الحكام المستبدين على مقدرات ايران، لم يكن بالشكل الذي وصفه بعض المؤلفين والكتاب.

وآخرون[80]. ولا حاجة لشرح ذلك في هذا الكتاب. وانما ما يتعلق بموضوع بحثنا هو مقدمات فوضى وتمرد الافغان، ثم تحركهم للقضاء على الصفويين ومحوهم.

ولا يمكن انكار أن وجود الازدواجية المذهبية وتطرف بعض الشيعة والسنة لعب دورا في قيام تلك الغائلة والفتنة. فقد أوفد ميرويس - الذي كان من أذكى الرجال وأكثر القادة الأفغان نفوذا - في زمن السلطان حسين بأمر من كركين خان الوالي الارمني في قندهار الى إصفهان. وخلال مدة اقامته في اصفهان ادرك ان ركائز الحكومة الصفوية ضعيفة وأركانها متداعية ورجالها متفرقون وقلوبهم شتى وان السيطرة والنفوذ بيد المشرفين على امور نساء الشاه والامراء، وعرف أن بالامكان التخطيط لاسترداد قندهار، لكنه كان بحاجة - للقيام بهذا العمل - الى فتاوى العلماء.

ولذلك وبذريعة توجهه الى الحج استأذن الشاه وتوجه الى مكة والمدينة والتقى علماءهما، وتحدث معهم حول «الظلم والتعسف اللذين يمارسهما الشيعة» وذكر لهم بعض الممارسات ثم استجازهم في التصدي للشيعة انطلاقا من (الغيرة الدينية)، وحصل على الجواب بالايجاب. فأخذ الاجوبة وعاد الى ايران، ثم خدع الشاه وحواشيه بمكره وعاد الى قندهار.

---

[80]ـ (انقراض سلسله صفويه) ص ٩٢ - ١١٨ . و ١٢٦ - ١٩٦ ، و سفرنامه كروسينسكي ص ٣٠ - ٦٧ ، و (بر افتادن صفويان و بر آمدن محمود افغان) اين سقوط الصفويين وغلبة محمود الافغاني، ترجمة: ابو القاسم سري.

وفي قندهار جمع الافغان وعبأهم وقرأ على مسامعهم «فتاوى علماء الحجاز» وفتاوى "علماء الهند وما وراء النهر" وألبت تلك الفتاوى الافغان وألهبت مشاعرهم واستثارت لديهم الغيرة «فقرروا اقتحام ساحة الحرب والقتال».

وفي الواقع ان ميرويس استغل الاختلاف المذهبي، ومن خلال اطلاعه على ضعف الحكومة المركزية، قام بتهييج أحاسيس الافغان وتأليبهم على التمرد والثورة، واسترجع حكومة قندهار.

وحسب ما قاله لكهارت فانه لم تكن هناك علائم تدل على « تفكيره بالعزم على التوجه الى اصفهان للاطاحة بالشاه».[٨١]

لكن هذه الافكار برزت فيما بعد عندما ساد الضعف والوهن الواضحان على أسس واركان الحكم الصفوي وتفاقم قوة محمود الافغاني. وبناء على ذلك فاذا كنا بصدد البحث عن العوامل المحركة والمشجعة للافغان على مهاجمة ايران بشكل مباشر فان أقوى تلك الاسباب والعوامل هما تهاوي وتلاشي الحكم الصفوي واهتزاز اركان الدولة الصفوية، اولا، والمشاعر الطائفية والفتاوى الدالة على كفر الشيعة، ثانيا.

هذا في الوقت الذي امتنع علماء الشيعة - ومن بينهم المجلسي - عن اصدار مثل تلك الفتاوى بتكفير مخالفي «المذهب الحق» وكنموذج على ذلك ذكرنا سلفا اعتراض المحقق الكركي على الشاه اسماعيل الصفوي.

---

[٨١]ـ (انقراض سلسله صفويه) ص ١٠٧ - ١٠٨ .

وتبقى نقطة واحدة وهي انتشار ورواج كتب المجلسي في معظم المدن، وكما أشرنا سلفا، فان الملحوظ في كتب المجلسي أنها تذكر بصراحة خطأ تيار الخلافة ومدرسة الخلافة وتتضمن بحوثا لا تروق لشخص سني ولا تسره مطالعتها، لكن هذا الامر كان يمكن أن يشكل ارضية مساعدة - فقط - على القبول بتلك الفتاوى، لكنه لم يشكل المحرك والمهيج الاساس والمباشر لتحرك الافغان وثورتهم.

والاهم من ذلك، أن الفاصلة الزمنية بين وفاة المجلسي وسقوط الصفويين تبلغ عشرين عاما وكانت تلك الفترة هي التي شهدت ظهور بوادر وبدايات حركة ميرويس. وقد وقعت كثير من الاحداث التي دللت على نقاط ضعف الحكومة وأظهرتها للناس واتخذت سياسات كثيرة في غير محلها. ومن تلك السياسات ينبغي الاشارة الى اوامر الشاه بممارسة الاذى بحق السنة. وادت تلك الاوامر الى تأليب وتهييج، شعوب داغستان، وبلوجستان وافغانستان.[82]

وخلافا لما قاله براون - ويمكن أن يكون الآخرون قد اتبعوه في ما قاله وكرروا زعمه - فان المجلسي لم يكن هو الذي وفر واعد اسباب انهيار الدولة الصفوية وزوال اقتدار ايران[83] وان الذين يمتلكون حاسه شم بحثية وتحقيقية قالوا - بحق - انه إثر وفاة المجلسي وتزايد نفوذ مسؤولي شؤون

[82] ـ (تاريخ ادبيات در ايران) ج٥ ،القسم الأول، ص ٢٧ .

[83] ـ يراجع: (تاريخ ادبيات فارسي)، ص ١١٥ ، و(تاريخ ادبيات) ج ٥، القسم الاول، ص ١٨١، و(انقراض سلسلة صفوية)، ص٨٢.

الخليلات وفتيات البلاط والشاه وتفاقم نزاعات مسؤولي البلاط وهنت وتهاوت اسس وركائز حكم الشاه "وبان الخلل والفتور في البلاد".[٨٤]

ونعتقد أن أحد اسباب ما اتهم به المجلسي من اعمال نسبت إليه هو الخطأ الذي وقع فيه مينورسكي، وتبعا له وقع الاخرون فيه بحق المجلسي. فقد خلط مينورسكي بين محمد باقر المجلسي والمير محمد باقر الخاتون آبادي، وخلط بين المير محمد حسين الخاتون آبادي والملا حسين ملا باشي، فوضع أحدهما مكان الآخر، وأخذ يرفع عقيرته وينسب اعمال هذا الى ذاك، وبالعكس.

وخلاصة القول:

ان المجلسي عالم دين كان ينظر الى نشر التعاليم الشيعية وترويج الآداب والتقاليد الدينية، وطرح آرائه وعقائده بشأن الملل والنحل والفرق المنحرفة عن الدين القويم، وتنظيم وتدوين إحدى اكبر الموسوعات الروائية للشيعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها كان المجلسي ينظر اليها كميادين لنشاطه وفعاليته. كما أنه تسلم بعض المناصب الدينية الرسمية التي يتوجب على الفقيه النهوض بعبء مسؤوليتها - بناء على التعاليم الدينية - في السنوات الاخيرة من عمره.

---

[٨٤] ــ البحار، ج ١٠٢، ص ١٧، وقصص العلماء، ص ٢٠٥ .

٤

تأليفات المجلسي وتلاميذه

- مؤلفات المجلسي

يعتبر محمد باقر المجلسي مؤلفاً مكثراً جمّ المؤلّفات. واعتُبرت كثير من مؤلفاته - بلحاظ كثرة مشاغله الاجتماعية واعماله الرسمية وفي ضوء ضعف بنيته البدنية ــ مثيرة للتعجب والدهشة. وقد ألّف المير محمد حسين الخاتون آبادي، سبط المجلسي، الذي تتلمذ على يديه مدة طويلة ورافقه في بعض أسفاره وأكمل بعض مؤلفاته - بطلب من استاذه - الف رسالة في «**تبيان عدد مؤلفات وكُتب الفاضل الكامل العلامة، رئيس العلماء والمحدّثين، الوحيد في عصره وزمانه، مولانا محمد باقر المجلسي**». ويعود تاريخ الرسالة الى ما بعد وفاة المجلسي، وتوفي مؤلفها نفسه في علم ١١٥١ الهجري القمري (٤٠ عاماً بعد وفاة المجلسي).

ويوضح الخاتون آبادي في مقدمة الرسالة المؤلفات والكتب التي ألفها المجلسي، ذاكراً عدد سطورها. وتضم الرسالة فصلين وخاتمة. والفصل الاول حول **الكتب العربية - وهي عشرة** - والفصل الثاني يتضمن **الكتب الفارسية وهي تسعة واربعون كتاباً**. وفي الخاتمة يذكر الخاتون آبادي عدد جميع أسطر كتب المجلسي ويقسّمها على سنوات عمره فيكون الناتج **ان المجلسي كتب كل يوم ٥٣ سطراً منذ ولدته امه حتى وفاته. وبعد حذف سنوات ما قبل البلوغ يكون العدد ٦٧ سطراً يومياً، ومعدل عدد كلمات كل سطر يكون ٥٠ كلمة.**

وغدت رسالة الخاتون آبادي مستنداً ومصدراً للمؤلفين الذين جاءوا فيما بعد. فقد ترجمها المحدّث النوري كلها في (الفيض القدسي) واوردها الأغا أحمد البهبهاني في (المرآة) مثلما هي، وذكرها صاحب (روضات الجنات) بعينها. واستفاد منها المرحوم السيد عبد الحجة البلاغي في (كلزار) أي روض البلاغي. وقد طبعت في السنوات الاخيرة مرتين:

(١) في ختام كتاب خمس وعشرين رسالة بالفارسية للعلامة المجلسي[١].

(٢) في بداية قائمة كتب المجلسي[٢].

وقبل القاء نظرة على هذه القائمة وتسليط الضوء عليها لا بد من الإشارة الى ما كتبه **التنكابني** حول مؤلفات المجلسي. فقد قال دون أن يقدم مستنداً لقوله ان **معدل السطور التي الّفها المجلسي كل يوم تبلغ (١٠٠٠) سطر وكل سطر يتضمن (٥٠) كلمة**. وبالطبع فانه مع الأخذ بنظر الاعتبار (أيّام المرض والسفر والتدريس) وباقي العقبات والموانع دون ممارسته الكتابة فان حجم كتبه وعدد مؤلفاته كبير جداً « ولا يتيسر انجازه

---

[١]ـ يحتوي هذا الكتاب على ٢٥ رسالة للمجلسي باللغة الفارسية في المجالات والعلوم المختلفة. قام بتحقيقه السيد مهدي رجائي وطبع من قبل مكتبة آية الله المرعشي بقم عام ١٤١٢ هـ . ق . للاطلاع على هذه الرسالة راجع: ص ٦٣٣ - ٦٤٢ .

[٢]ـ راجع: قائمة كتب المجلسي (كتاب شناسي مجلسي). يتضمن هذا الكتاب قائمة مفصّلة وتعريفاً بمؤلفات المجلسي مع توضيح اماكن الاحتفاظ ببعض نسخ تلك المؤلفات (المخطوطة) ومعلومات حول طبع كل كتاب او طبقاته المتعددة، وبعض المعلومات الاخرى. لمزيد من الاطلاع يراجع آخر الكتاب الحالي.

واصداره لأكثر الناس»[٣].

ونجد المحدث النوري يشير الى قول التنكابني هذا ويعلق عليه بأنه غير صحيح، لأن الخاتون آبادي قد عدد واستعرض جميع مؤلفات المجلسي وكتب مقدار ما تضمنته (من الصفحات والسطور)، أولا.

وثانيا: اذا كان ادعاء التنكابني صحيحا فينبغي القول ان جميع كتب المجلسي وتآليفه قد كتبها خلال (٤) سنوات من عمره، وفي هذه الحالة يطرح هذا السؤال: اين اذا بقية الكتب التي ألفها المجلسي طيلة ال ٦٩ عاما الاخرى من عمره؟! (ج ١٠٢، ص١٦٣).

وكتب لكهارت استنادا الى ما قاله التنكابني «**ان محمد باقر المجلسي يعتبر من اكثر المؤلفين والمحققين كتابة وتأليفا بحيث ان حصيلة عمله اليومي تبلغ (١٠٠٠) سطر او (٥٠،٠٠٠) كلمة**» وقد علق على ذلك - والحق معه - بأن هذا الأمر مبالغ فيه وحتى لو كان عدد الكلمات التي يؤلف بها كتبه المجلسي يوميا عشر العدد المذكور أعلاه يكون ما كان يكتبه أنطوني ترولوب (Anthony Trolop) يوميا (ويبلغ ٣٠٠٠) أزاءها قليلا.[٤]

---

[٣]ـ قصص العلماء، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

[٤] ـ (انقراض سلسله صفويه) ص٨٢. [وانا استغرب من هذا القول حقا، اذ بلغ ما قمت بتحقيقه من الكتب والمؤلفات اكثر من ١٠٠ مجلد وما ترجمته مع هذا الكتاب ٢٦ كتابا بالاضافة الى ترجمة اكثر من ٨٥ مقالة من الفارسية الى العربية وبالعكس مع ديوان للشعر وتأليف ٣ كتب، كلها انجزتها ولما يتجاوز

وانطوني ترولوب هذا قاصّ انجليزي (١٨٠٥ - ١٨٢٢ م) كان معروفاً بغزارة الكتابة وكثرة التأليف وكان يقضي عدة ساعات متواصلة يوميـاً في الكتابة، وينجز كل ربع ساعة ٢٥٠ كلمة.[٥]

وارتكب التنكابني خطأ آخر لا يمكن التغاضي عنه. فبناءً على مـا رواه المحدّث النوري، كان المجلسي يلقي درسه يوماً فتحدث بعض الطلبة عـن كثرة ما كتبه العلامة الحلّي وأعرب الحاضرون عن دهشـتهم وتعجبـهم لغزارة مؤلفاته.

فقال أحد التلاميذ: ان مؤلفات استاذنا ليست بأقل مـن مؤلفـات العلامة الحلي، بيد أن المجلسي قال على الفور: اين ما كتبته من مؤلفـات العلامة الحلي؟ كيف يمكن المقارنة بينهما؟ فأنا أجمع من هنا وهناك بعـض المواضيع واضمها الى بعضها، بينما كتب العلامة الحلي مليئة بالموضوعـات الفكرية والعلمية والتحقيق.

ويعلّق المحدث النوري على ذلك بأنه دليل على تواضع المجلسـي، اذا العارفون بكتبه ومؤلفاته يعلمون كـم هـي مليئـة بالنقـاط الدقيقـة والموضوعات المهمة والتحقيق المعمق (ج ١٠٢، ص ٢٩ ـــ ٣٠).

وهذه الرواية حصل فيها تحريف في (قصص العلماء) فصارت علـى الشكل التالي: إن المجلسي قال: "ان مؤلفاتنا أيضاً ليست بأقل من مؤلفـات

عمري ٤٠ عاماً فكيف والمجلسي غادر الدنيا وعمره ٧٣ عاماً لما نستكثر عليـه ما قيل بشأنه ـــ رعد جبارة].

[٥] ـــ انقراض سلسلة صفويه، ص ٥٩٨ - ٥٩٩ .

العلامة الحلي، فقال له أحد تلاميذه: ان كلامكم الصدق، والحق ما قلتــه، ولكن مؤلفات العلامة الحلي كلها كتبت بتحقيق معمّق ومليئة بـــالفكر، بينما كتبكم جمعتم مضامينها جمعاً، فوافقه المجلسي على ما قال".[٦]

ويبدو ان التنكابني لم يدقق فيما كتب وإلا فان المجلسي لم يكن امـــرأً يترعج من تقدير وتبجيل العلماء ويحاول أن يقارن نفسه بهم.[٧] ولا شــك أن مترلته أسمى من هذه المنافسات الحقيرة.

وسبق أن تحدثنا عن اهتمام المجلسي بنشر التعـــاليم الشـيعية باللغــة الفارسية، ونضيف هنا القول بأن **مقدار ما كتبه المجلسي وألّفــهُ باللغــة الفارسية يفوق ٢٠٠،٠٠٠سطر** وهي تســاوي حــوالي ١/٦ مقــدار مؤلفاته. ويعتبر كتاب (**بحار الأنوار**) اكبر كتب المجلسي **وتحتوي مجلداتــه على اكثر من ٦٠٠،٠٠٠ سطر** وهو يعادل ١/٢ مجموع ما ألفه المجلسي خلال حياته كلها. ونراه يسمي (**البحار**) به (**الكتاب الكبير**).[٨]

ويأتي بالمرتبة الثانية بعد (البحار) من حيث المقدار **تعليقاته وحواشــيه على كتب الحديث الأربعة** والكتب الفقهية وتقدر سطورها بــــ**(٤٠٠) الف سطر**.

---

[٦] ــ فصص العلماء، ص ٢٠٦ .

[٧] ــ حول عدد مؤلفات العلامة الحلّي وعدم صوابية ما قيل عن كتابته الف سطر يومياً، ذكر الافندي في رياض العلماء بعض النقاط المفيــدة (راجــع: ريــاض العلماء، ترجمة حياة العلامة الحلي، والبحار ج١٠٢ ص١٨).

[٨] على سبيل المثال، راجع: كتاب الاربعين، ص ٢١و ٤٣٢و ٥٨١ .

ثم يأتي الدور **لمرآة العقول** ويبلغ عدد سطوره بحوالي (**١٠٠**) **ألف سطر**.

واكبر مؤلفاته الفارسية كتاب (**حياة القلوب**) الذي يقع في (٣) مجلدات **ويشمل** (**٦٥**) **ألف سطر**، وبعده كتابا (**حق اليقين**) و(**عين الحياة**) اللذان يبلغ عدد سطور كلٌ منهما (**٢١**) **ألف سطر**. وهناك رسائل اصغر حجماً من هذه الكتب.

المادة الأصلية لكتاب المجلسي هو (**الحديث**)، وموضوعها (**الكلام**) و(**الفقه**) و(**الأخلاق**) و(**التاريخ**).

اما المخاطَبون بكتابات المجلسي وقرّاء مؤلفاته فينقسمون أيضاً الى أصناف تبعاً لأنواع كتب المجلسي، اذ ان كثيراً منها كتبت بالفارسية لعامة الناس.

ولو استثنينا (**بحار الأنوار**) الذي سنتناوله بشكل خاص في مبحث قائم بذاته فيما بعد، فهناك عدة مؤلفات للمجلسي خصصها لشرح الاحاديث والروايات، منها: **مرآة العقول، وشرح الاربعين، وملاذ الاخيار** بالعربية **وعين الحياة** بالفارسية.

ويعتبر **مرآة العقول** من افضل الشروح التي كتبت لـ (**الكافي**). في بداية الكتاب يبين المؤلف فهمه ورؤيته لمكانة الحديث في الدين، والأسمى منه، مكانة الحديث عند مصدر العلم ومنبعه الأصيل.

لقد ايقن المجلسي أن الله - تبارك وتعالى - لم يدع الناس وأهواءهم و لم يطلق لهم العنان ليسيروا اينما ذهبت بهم آراؤهم، بل اراد الباري منهم

أن يتّبعوا الرسول الاكرم وأهل بيته (عليهم السلام) ويقتفوا آثارهم.

ولقد قرن اهل بيت الرسول بالقرآن الكريم وأودع علم القرآن ومعارفه لديهم. وبعد أن لاذت شمس الامامة بأستار الغيبة الكبرى، دعا الناس الى مراجعة الكتب والرسائل التي رواها الثقاة عن لسان الائمة، وكتبوها.

وعلى هذا الاساس، كرّس المجلسيّ كل اهتمامه لإحياء الآثار المنسية والروايات الواردة عن أهل البيت، واعتمد في «أخذ المعارف» الى المصادر الروائية فقط، ولم يخش في هذا السبيل لومة لائم.

ثم أوضح أنه، بمرور الزمن، جرت بينه وبين الطلبة والتلاميذ من دارسي العلوم الدينية مباحثات ونقاشات، تمخضت عن كتابة العديد من الحواشي والتعليقات على كُتُب الحديث.

وقد حمله الخوف من ضياعها او نسيانها او تلفها بمضيّ الزمن، أن يجمعها في مكان واحد، ولهذا الغرض فقد بدأ بتحشية كتاب **الكافي**،لأن هذا الكتاب أكبر وأشمل وأدق كُتُب الفرقة الناجية.[9]

اضافة الى ذلك، يذكر المير محمد صالح الخاتون آبادي، صهر المجلسي، في «**حدائق المقربين**» انه من بين الكتب الروائية الاربعة فأن محمد باقر المجلسي لم يكتب حاشية على أحدها وهو (**من لا يحضره الفقيه**) نظراً لأن أباه كان قد كتب حاشية عليه وشرحاً، ولذلك لم يشرحه المجلسي من

[9]ـ مرآة العقول، ج١ ، ص ١ - ٣ .

جديد. وأنه كلّفه بكتابة شرح لـ (**الاستبصار**) وتكفّل هو بكتابة شرح كلٍّ من «**الكافي**» و«**التهذيب**».[10]

واسلوبه في الكتابة هو - كما ورد في مقدمة الكتاب - ذكر بحث، مختصر وجيز حول سند الحديث، نظراً لكون السند يمثل الاساس لأي رواية.

ويقسّم الأحاديث الواردة في **الكافي** من حيث السند طبقاً لتقسيم وتبويب المتأخرين كـ: المجهول، والمرفوع، والحَسن، والضعيف، والصحيح، والمرسَل، والموثّق.

وبعد دراسة السَند، يبدأ في شرح الحديث ويذكر ما يتضمّنه من نكات مهمة ونقاط دقيقة على سبيل الإشارة. ويستخدم المجلسي في شرح الاحاديث ما كان قد استفاده من الفوائد والمعارف والمعلومات التي كتبها كاتبو الحواشي على (**الكافي**) وما تعلمه من مشايخه الأفذاذ، دون أن يأتي على ذكر أسمائهم او يفنّد أقوالهم ويرفض آراءهم.

وقد قام المجلسي بتأليف **مرآة العقول** خلال نفس السنوات التي كان مشغولاً خلالها بتأليف (**البحار**) وفي معظم الأبواب المتشابهة، اورد في موضوعات (**البحار**) الاحاديث ذات المضامين المتشابهة في **المرآة** وأرجع إليه أحياناً.[11]

ومع ذلك فلم تكن النقاط البديعة والامور الجديدة قليلة وخاصة في

---

[10]ـ البحار، ج١٠٢ ، ص٢٧.

[11]ـ كنموذج على ذلك راجع: مرآة العقول، ج١ ، ص٢٣٥.

شرح القضايا والأبواب الفقهية في (**الكافي**) نراه يفصل في الشرح ويطنب في التوسع بالبيان، اكثر مما كتبه في الأقسام والأبواب الفقهية بـ (**البحار**).

وبدأ هذا الشرح من آخر كتاب الكافي (**الروضة**) وفرغ من كتابته عام ١٠٧٦ ثم قام بشرح سائر الأجزاء والأقسام حتى عام ١١٠٢.[١٢]

وحسب ما كتبه المير محمد حسين الخاتون آبادي والملا عبد الله الافندي، فان هذا الشرح لم يكتمل.[١٣] وقال ابوه المير محمد صالح كذلك في (**حدائق المقربين**) أن المجلسي طلب منه عند وفاته أن يكمل **المرآة** وأنه كان مشغولا بذلك (ج١٠٢، ص١٢٧).

واذا كان ادعاء هؤلاء الثلاثة صحيحا فيبدو أن أمنية المؤلف لم تتحقق وآماله لم تتجسد. وكان قد كتب في ختام المقدمة أن تأليف **المرآة** برجاء من ابنه محمد صادق وأنه يأمل لو قبضه الله إليه قبل إتمام الكتاب أن يقوم ولده بإكماله.[١٤]

إلا أنه وكما أشار أغا بزرك الطهراني، فان النسخة الكاملة للمرآة عثر عليها [١٥] ويبدو أن المؤلفين ولكتاب المذكورين ليسوا مطلعين عليها.

---

[١٢] ــ الذريعة، ج٢، ص٢٧٩ – ٢٨٠ .

[١٣] ــ خمس وعشرون رسالة بالفارسية، ص٦٣٦، وتعليقة أمل الامل، ص٢٤٩.

[١٤] ــ محمد صادق توفي في حياة أبيه {راجع: رسالة تذكرة الأنساب في قائمة كتب المجلسي «كتاب شناسي مجلسي» ص٢٣}.

[١٥] ــ الذريعة، ج٢٠، ص٢٨٠.

وقال السيد حسين نصر بشأن «**مرآة العقول**» ان المجلسي تنــاول في هذا الكتاب المباحث العقلية أيضاً.[16] وتخصّ إشارته المجلّـــدات الاولى للكتاب والتي تتضمن المباحث الكلامية.

وهذا الخبر لا يمكن اعتباره غير صحيح لكن معالجة المجلســي للمبــاحث العقلية في هذا الكتاب تختلف عن سائر مؤلفاته وخاصة في **بحار الأنوار**، وحــتى في البحار نجده يهتم بنقل ونقد وتأييد المباحث العقلية. وعلى هذا الاســاس، فان التركيز على **مرآة العقول** ووصفه بهذه السمة ليس وصفاً دقيقاً.

لقد طُبع مرآة العقول مرةً طبعة حجرية في اربعة مجلّدات، ومــرة أُخــرى طبعت بصفّ الحروف في ٢٦ مجلّداً[17].

اما **شرح الاربعين** فانه حصيلة المباحثات العلمية للمجلســي خــلال سفره الى مدينة مشهد التي تضم مرقد الامام الرضــا (ع) عــام ١٠٨٩ . فخلال هذه السفرة، طلب منه الطلاب والفضلاء أن يقيم لهم مجلساً لشرح الاحاديث والتباحث فيها، وأن يفسّر لهم عدداً من الاحـــاديث الغامضــة والقضايا الفقهية و العقائدية وغيرها. ثم اعربوا عن رغبتهم في أن يكتـــب المجلسي حصيلة تلك المباحثات والمجالس.

---

[16] (تاريخ فلسفه در اسلام) تاريخ الفلسفة في الاسلام، ج٢، ص ٤٦٥.

[17] الذريعة، ج ٢٠، ص٢٨٠، و(كتاب شناسي مجلسي) قائمة كتب المجلســي، ص٢٨٧.

ورغم أن المجلسي كان في حال السفر و لم تكن كثير من المصادر الـــتي يحتاج الى مراجعتها في متناول يده فانه لم يقوَ على رفض هــــذا الرجــاء، ولذلك فقد قضى بعض الليالي في تدوين شرح بعض الاحاديث، ثم تفاءل بهذا العمل وسرّ لهذه الخطوة التي تحققت عن هذا الطريق.

وامنيته التي ذكرناها انفاً كانت هي أن يختار أربعـــين حديثـاً مـــن الاحاديث التي يحتاجها الناس في أعمالهم الدينية وامورهم العبادية، ويقـــوم بشرحها وتبيانها في كتاب خاص، وهكذا تحقق ذلك الامل بتأليف كتــاب **شرح الاربعين**.

ودوافع المجلسي وحوافزه في تحقيق الامل المذكـــور هـــي "التأسّـــي بالسلف الصالح" في تنفيذ مضمون الحديث النبوي المـــــروي بـــالتواتر او الاستفاضة [18] في موسوعات الحديث لدى العامة والخاصة. ويبدأ المجلســـي **شرح الاربعين** بهذا الحديث ويورده عن إحدى طرقه الروائية. وفي كتــاب العلم بكتاب البحار يخصص باباً لهذا الحديث بتعابيرمختلفة مـــع الشـــرح والتوضيح.[19]

والصيغة المشهورة للحديث المذكور هي:

---

[18]ــ الخبر المستفيض هو الخبر الذي يكون رواته في كل الطبقات اكثر مــن(٢) أو (٣) أشخاص ويطلق عليه اصطلاح (المشهور) ايضـــاً. (الدرايـــة/ الشـــهيد الثاني، ص٦)

[19] ــ البحار، ج١، ص١٥٣ - ١٥٨ (الحديث السابع وشرحه كما ورد في كتاب شرح الاربعين).

[مَن حَفِظ على أُمَّتي أربعين حديثاً ينتفعون بهـــا بعثه اللّه تعالى يوم القيامة فقيهاً عالماً].

وموجز ما فهمه المجلسي من هذا الحديث هو أنه اذا حفظ امرؤ أربعين قولاً من أقوال رسول الله (ص) حول الاسس العقائدية وامّهات العبـادات والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة، من أجل أُمّته، فان الله يوفّقه للتـأمُّل في هذه الاحاديث والتدبّر فيها وتطبيق مضامينها ومن خلال ذلك يكـون يوم القيامة في زمرة فقهاء وعلماء الامّة.

وقد اوضح المجلسي مراتب حفظ الحديث والمراد مـن «الفقيـه» في موضوعاته وكتبه الدينية.[٢٠]

وعلى اساس ما فهمه المجلسي من الحديث، اورد روايـات مهمـة في المباحث العقائدية والفقهية والمواعظ الاخلاقية من الكتب الروائية الموثوقـة

---

[٢٠] ـ ما كتبه الاستاذ نبيح الله صفا على هامش تبيانه لكتـب «الاربعينـات» لا يتسم بالدقة. فقد قال: «ان ما قام به علماء الشرع يستند الى حديث ضعيف روي عن النبي (ص) ورد فيه أنه (من حفظ اربعين حديثاً تخص أمر الدين بعثـه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً..) والمراد به هو أن يحفظ كل مؤمن أربعين حديثاً نبويـاً في ذاكرته لكي يحشر يوم القيامة في زمرة علماء الأُمة) «تاريخ ادبيـات، ج ٥، القسم الاول، ص ٢٥٥». فما هو المقياس او الدليل والمعيار الذي استند إليه فـي وصف الحديث المذكور بأنه «حديث ضعيف»؟ ثم إنه لم يبيّن المعنى المراد مـن الحديث تبياناً صحيحاً، فالكلام هنا يدور حول «حفظ الحديث» - بمراتبه المختلفة - من أجل الامّة، لا أن يحفظ الشخص في ذاكرته أربعين نصاً لأحاديث نبويـة، ليكون مشمولاً بهذه البشارة.

بها فالكافي، والامالي، وتوحيد الصدوق، والخوائج والجرايح للراوندي، واختار منها «غوامض الحديث» و«المتشابهات» وشرحها وسلط الضوء عليها، وبيّنها بالتفصيل.

ومن جملتها الحديث المعروف حول خلقة العقل، والذي ورد شرحه عيناً كما هو في البحار ومرآة العقول، وحديث الامام الصادق في الاستدلال على وحدانية الله تعالى، قام بشرحه المجلسي في البحار مع قليل من الاختلاف، واحاديث اخرى تخص رؤية الله، وعلم وصفات الله، وخلقة الاسماء الإلهية ومباحث تتعلق بمعرفة الله.

وقد بذل المجلسي جهوداً واسعة وقدم ايضاحات مطوّلة في ذيل هذه الاحاديث والروايات، مستهدفاً «تشييد الاصول الايمانية» لأتباع مذهب الامامية. ومن جملتها أنه خصص فصلاً مطوّلاً لنظرية البداء، وفتح باباً لنفي الصفات الزائدة على الذات، وتحدث في هذا الصدد استناداً الى الامور العقلية والنقلية (الروائية).

وعالج المجلسي في مباحث النبوة والامامة موضوعات عديدة من أبرزها: عصمة الانبياء، واثبات النبوّة الخاصة، واثبات إمامة أمير المؤمنين، وبشكل عام نظرية الشيعة الامامية في هذا الخصوص، وايمان أبي طالب، ومعراج الرسول الاكرم (ص)، والرجعة، وسلط الضوء - بشكل خاص - حول مفهوم العصمة والرجعة بالتفصيل.

ومما أورده المجلسي في موضوع العصمة: الموضوع الذي كتبه في ذيل الرواية التي نقلها عن الامام الرضا (عليه السلام) في تفسير آيات من القرآن

الكريم توهم بصدور الذنب او السهو عن الانبياء.

وهذه الرواية اوردها المجلسي في البحار أيضا، لكنه شرحها بالتفصيل في هذا الكتاب، وخاصة أنه ذكر نقاطا قيمة ومفاهيم قيمة في نطاق توضيح حكمة «اعتراف الأئمة بالذنب» والذي نجده مبثوثا في الادعية المختلفة المروية عنهم.

وفي الموضوعات والبحوث الفقهية، أورد المجلسي عدة أحاديث مهمة بعضها تستنبط منها قواعد فقهية، في مباحث العبادات ومقدماها، وبادر الى دراسة آراء الفقهاء بشأن هذه المسائل. ويشمل هذا القسم من الكتاب الذي يضم الاحاديث العشرة الاخيرة الآراء الفقهية الاستدلالية للمجلسي، ويمكن من خلاله الوقوف والتعرف على اسلوبه في البحث الفقهي والدراسات التي تخص الرجال وإسناد الروايات.

كما أنه أورد بعض الروايات الأخلاقية في موضوع الزهد والمواعظ وشرحها وبينها. ومع أن المجلسي دون في هذا الكتاب كثيرا من الموضوعات الجديدة والنقاط البديعة إلا أنه قال في عدة مواضع - منه أنه لمعرفة تفاصيل البحوث ينبغي مراجعة ما ورد بشأنها في «**البحار**» و«**مرآة العقول**».

وحتى الآن، طبع (**شرح الاربعين**) مرتين [21] لكن لم تظهر للكتاب حتى الآن طبعة محققة ومتضمنة للنقد العلمي والتدقيق في مصادره التي استند إليها.

---

[21] ـــ (كتاب شناسي مجلسي) ص ٨٠ - ٨١، وكتاب الاربعين، ص ١ - ٢ .

اما (**ملاذ الاخيار في فهم تهذيب الاخبار**) فيتضمن شرحاً لـ (**تهذيب الاحكام**) المؤلّف من قبل الشيخ الطوسي[٢٢] وقد ألفه المجلسي بطلب ورجاء من ابنه **محمد صادق**. وكان قد كتب حاشية وتعليقات على (تهذيب الاحكام) خلال السنوات التي كان يتولى فيها تدريس التهذيب، وهذه التعليقات والحواشي تنفع طلبة العلوم الدينية المبتدئين والمتوسطين والمتقدمين في الدراسة والمستوى العلمي. وللمجلسي حافز آخر دفعه لكتابة هذه الحواشي والشروح هو قلقه من تلف وضياع او تبديل مدوّناته اثر الحوادث المختلفة.[٢٣]

ووفقاً لما كتبه **المير محمد حسين الخاتون آبادي** فان هذا الشرح لم يصل الا الى كتاب الصوم.[٢٤]

وقد ذكر ذلك المحدّث البحراني في (**لؤلؤة البحرين**) أيضاً، بَيد أن **المحدّث النوري** أكد في (الفيض القدسي) انه علاوة على هذا القسم، فان المجلسي كتب شرحاً لكتاب الطلاق حتى نهاية التهذيب أيضاً، وانه كانت لدى النوري نسخة منه (ج١٠٢، ص٤٦) لكنه عثر خلال اعمال البحث

---

[٢٢] ـ يراجع يقارن مع (تاريخ فلسفة در اسلام)، ج٢، ص٤٦٤.

[٢٣] ـ ملاذ الأخيار، ج١، ص٤.

[٢٤] ـ (بيست وبنج رساله فارسي) خمس وعشرون رسالة بالفارسية، ص٦٣٦ و(كتاب شناسي مجلسي) ص ٤٤.

والاستقصاء التالية على نُسَخٍ كاملة منه، وطبعت نسخة كاملة منه على اساس هذه النسخ ذاتها.[٢٥]

وبالطبع فان الرأي المرجّح هو ما ذكره الملا عبد الله الأفندي تلميذ ومساعد المجلسي. وعلى هذا الاساس، فان شرح المجلسي لكتاب التهذيب لم يكتمل، إلا أنه كتب تعليقات على الكتاب كله حتى نهايته.

ويدرس المؤلف في هذا الشرح - كشرحه للكافي - سند الحديث اولاً ثم يدقق ويدرس نص الحديث من المنظار الفقهي، ويستفيد من حواشي أبيه، والملا عبد الله الشوشتري والمحقق الأردبيلي والآخرين.[٢٦]

وكما يذكر أغا بزرك الطهراني وكما تدل عليه مطالعة الكتاب فانه اكتفى بذكر كثير من الاحاديث دون أن يجد حاجة لشرحها، ربما بسبب كونها لا تحتاج الى تبيان ولكون مضمونها مفهوماً.[٢٧] ومع كل ذلك فانه لا يمكن اعتبار العمل الفقهي للمجلسي في هذا الكتاب مشابهاً لبحوثه العلمية وتحقيقاته الفقهية في المرآة والبحار وشرح الاربعين.

والمجلسي هو الذي يوضح سبب هذا الامر في مقدمته قائلاً:

[ان هذا الكتاب لم يخرج مثلما كنت أريد ولم يتبلور ترتيبه وترابطه كما كنت آمل، بسبب

---

[٢٥] ــ ملاذ الاخيار، ج١ (مقدمة المصحح، ص٤١ - ٤٥) والذريعة، ج٢٢، ص١٩٠ - ١٩١.

[٢٦] ــ ملاذ الأخيار، مقدمة المصحح، ص٤٣.

[٢٧] ــ الذريعة، ج٢٢، ص ١٩٢.

كثرة انشغالاتي واضطراب وضعي... لكن ما لا
يدرك كله لا يترك جله] [28]

وهذا الكتاب هو الآخر ألفه المجلسي في سني عمره الاخيرة.

وهناك عدة مؤلفات وكتابات للمجلسي باللغة العربية تتناول الموضوعات الفقهية، والرجال، والعقائد. [29]

ومن مؤلفاته باللغة الفارسية يعتبر (**عين الحياة**) كما أشرنا من قبل، شرحا لوصية النبي (ص) الى ابي ذر والتي وردت في **مكارم الاخلاق** للطبرسي وتنبيه الخاطر لورام بن أبي فراس وبتعبير المجلسي «إن كل واحد من مفاهيمها ورد في اخبار وروايات كثيرة» [30] . وقد بادر هو أيضا الى ذكرها بشكل كامل في البحار نقلا عن مكارم الاخلاق. (ج٧٤، ص٧٣ - ٩١).

ان موضوع الكتاب المذكور (**عين الحياة**) هو المواعظ والزهد، إلا أن المؤلف ضمنها في بعض المواضع ـ بمناسبة شرح بعض فقرات الحديث ـ أمهات البحوث العقائدية والعبادية والاخلاقية. وقد أشرنا الى بعض مضامين الكتاب في عدة مواضع من هذا الكتاب.

ومن جملة فصوله المهمة الترجمة الكاملة لقصة بلوهر ويوذاسف في

---

[28] ـ ملاذ الاخيار، ج١، ص٥.

[29] ـ (بيست وبنج رساله فارسي) خمس وعشرون رسالة بالفارسية ص٦٣٦ - ٦٣٧.

[30] ـ عين الحياة، ص١٩

بحث «ذم الدنيا» برواية ابن بابويه في **إكمال الدين**. وقد أورد المجلسي هذه القصة وأبى إلا أن ينقلها للقراء كاملة «نظرا لاحتوائها على فوائد يندر مثيلها» و لم يشأ «أن يحرم القارئ من بركاتها» على الرغم «من طول القصة»[31].

وقد انتقد المجلسي التعاليم والطقوس الصوفية في ثلاثة مواضع من الكتاب، مما يدل على حساسيته تجاه قضية «التصوف» وهذا ما سنورده في الفصل الثالث عند الحديث عن الامر بشيء من التفصيل.

وقد أعيد طبع عين الحياة مرتين حتى الآن، وطبع القسم الخاص بقصة بلوهر ويوذاسف بشكل مستقل أيضا.[32]

وفي ايدينا كتاب آخر للمجلسي عنوانه «**مشكاة الأنوار**» قال عنه المير محمد حسين الخاتون آبادي أنه موجز **عين الحياة** هذا. لكن وكما قال المحقق الفاضل فان الأفضل هو أن نعتبر **مشكاة الانوار** منتخبا من **عين الحياة** ومقتبسا منه[33] وبذلك يزول تشكيك بعض المؤلفين بكون **مشكاة الانوار** من تأليف المجلسي، من ناحية، ومن ناحية اخرى ينتفي تأليف كتابين على يد المجلسي بذات الاسم.[34] وكان **عين الحياة قد تم تأليفه** عام ١٠٣٧.

---

[31] ـ عين الحياة (الحيوة) ص ٢٧٦ - ٣٤١ .

[32] ـ (كتاب شناسي مجلسي) اي شرح قائمة كتب المجلسي، ص٢٧٣ - ٢٧٤.

[33] ـ مشكاة الانوار، مقدمة المصحح، ص١٧ - ١٨.

[34] ـ المصدر السابق نفسه، و«كتاب شناسي مجلسي» ص٢٨٨.

الكتاب الآخر للمجلسي بالفارسية هو **حياة القلوب** وهو يتناول تاريخ حياة الانبياء الماضين، ونبي الاسلام وأئمة الشيعة وقد ألفه المجلسي بين عامي ١٠٨٥ و ١٠٧٨ وبقي المجلد الاخير للكتاب ناقصا فأكمله **أغا رضي المجلسي** حفيد الملا عبد الله اخ محمد باقر المجلسي. [٣٥] وللمجلسي كتاب آخر بالفارسية اسمه **جلاء العيون** في حياة أئمة الشيعة وقد ألفه عام ١٠٨٩. [٣٦]

اما **حق اليقين** فهو يتضمن أفكار المجلسي في موضوع العقائد، وقال عنه الخاتون آبادي انه كان اخر **مؤلفات المجلسي** وقد انتهى من تأليفه في شعبان من عام ١١٠٩ . [٣٧]

ويعتبر **كتاب الرجعة** من أشهر مؤلفاته الكلامية المشهورة. وللمجلسي كتب في الآداب والسنن، والادعية والزيارات، وعدة كتب فارسية اخرى أشهرها (**حلية المتقين**)، و(**زاد المعاد**) و(**تحفة الزائر**). ويندرج في هذا الباب لآ

وقد لاقت كتب المجلسي اقبالا كبيرا متزايدا منذ عهد تأليفها وبقيت نسخ كثيرة منها، واعيد طبعها مرارا، وقام المؤلفون المتأخرون بتلخيص بعضها وترجموا بعضها الى اللغتين العربية والاوردية.

---

[٣٥] ــ «كتاب شناسي مجلسي»، ص٢٣٢

[٣٦] ــ «كتاب شناسي مجلسي»، ص٤٧و ٢٠٢.

[٣٧] ــ «بيست وبنج رساله فارسي»، ص ٦٤١، و«كتاب شناسي مجلسي»، ص٢١٦ .

وقد ترجم المحدث الشهير السيد عبد الله شبر كتابي **جـلاء العيـون وحق اليقين** الى اللغة العربية، كما قام السيد محمد باقر الهنـدي بترجمـة الكتابين الى اللغة الاوردية، وهكذا الامر بالنسبة **لرياض القلوب** الذي هـو الترجمة الاوردية لحياة القلوب وأنجزها محمد واجد علي شاه.

ومن مقتبسات جلاء العيون كتاب اطلق عليه **جلاء الأبصـار** ومـن مقتبسات **حلية المتقين** كتاب سمي بـ (**منتخب حلية المتقين**). وقـد ذكـر مؤلفو «كتاب شناسى مجلسي» أي قائمة كتب المجلسي، معلومات مفيـدة في هذا الصدد لدى ذكرهم عنوان كل كتاب.

وللمجلسي **رسائل فقهية متعددة بالفارسية في** المبـاحث العباديـة، والاحكام الجزائية، والحقوق السياسية وغيرها، كرسالتين كتبهما حـول **أعمال الحج والعمرة** (رسالتان كبيرة وصغيرة) ورسالة في **مال النواصب**، ورسالة في **الكفارات**، **وآداب الرمـي وتسـديد السـهام**، وفي **آداب الصلاة**، **وصواعق اليهود** (وهي حول كيفية أخذ الجزيـة مـن اليـهود وحليتها أو حرمتها)، ورسالة في **شكوك الصلاة**، ورسالة في **الرضـاع**، ورسالة في **الديات**. وسبب تأليف معظم هذه الرسائل هو المترلة التي كـان يتمتع بها المجلسي من ناحية الفقه والفتوى.

والعمل المهم الآخر الذي أنجزه المجلسي بالفارسية **ترجمـة الرسـائل والآثار العقائدية والدعائية** لغرض نشر الثقافة والفكر الشيعي بين افـراد الشعب «لكي يستفيد منها الشيعة كافة والمؤمنون عامـة وينـهلوا مـن بركاتها». وقد تحدثنا في الفصل الثالث عن هذا الموضوع.

ومن هذه الكتب والرسائل التي ترجمها المجلسي: **ترجمة توحيد المفضل، والزيارة الجامعة، ودعاء كميل، ودعاء السمات، وحديث توحيد الامام الرضا(ع) وترجمة القصيدة التائية لدعبل الخزاعي**، وعمله الاخير هـــــذا كان بطلب من الشاه سلطان حسين الصفوي. لقد كان ينـــــوي ترجمـــة قصائد اخرى لبعض الشعراء الشيعة كالفرزدق والسيد الحميري، لكنـــه لم يتح له ذلك.[٣٨]

- تلامذة المجلسي:

وربى المجلسي كثيرا من الطلاب، وكما ذكر العلامة مؤلف كتـــاب «تلامذة العلامة المجلسي» فان إحدى أكبر مواهب العلامة محمـــد بـــاقر المجلسي - الى جانب بقية خصائصه - اقبال طلبة العلوم الدينيــــة علـــى حلقات درسه واندفاعهم الى التتلمذ على يديه. وذكر تلميــــذ ومســـاعد المجلسي المعروف السيد نعمة الله الجزائـــري أن عـــدد طـــلاب المجلســـي يتجاوزون الألف.[٣٩] وهذا بحد ذاته يعكس ويجسد اهتمام علماء وأفـــاضل ذلك العصر بالاستفادة من علوم المجلسي والنهل من فيوضاته.[٤٠]

---

[٣٨] ــ خمس وعشرون رسالة بالفارسية، ص ٥٤ - ٥٥ ومعظم هـــذه الرســـائل ليست ذات حجم كبير، وقد طبعت كلها في الكتاب المذكور.

[٣٩] ــ الأنوار النعمانية، ج، ص٣٦٢

[٤٠] ــ ورد في عبارة السيد نصر التي قال فيها (يشارك في درسه اكثر من ألـــف طالب) {تاريخ فلسفة در اسلام، ج٢، ص٤٦٤} شيء من التساهل في الدقة.

ويعلم من كثرة إجازاته للعلماء والمتعلمين أنه كان يمارس التدريس في شتى المجالات والعلوم كالتفسير والادب والكلام والفقه، وقبل كل شيء في علم الحديث، واستمرت حوزة تدريسه ابتداء من عام ١٠٧٠ حتى آخر عمره، لمدة ٤٠ عاما، وكانت من أبرز الحلقات العلمية باصفهان.[٤١]

ويمكن مشاهدة هذه الخصوصية لدى دراسة حياة المجلسي أنه كان يختار من بين المشاركين في جلسات درسه الاشخاص الذين يتوسم فيهم القدرة العلمية، ليكونوا مساعدين له في نشاطه العلمي التأليفي، كاستنساخ المصادر والمراجع وتجميع الكتب، ويشجع الطلبة الراغبين في ممارسة هذا النشاط بل ويقدم لهم التسهيلات اللازمة للرفاهية والدراسة.

ويورد السيد **نعمة الله الجزائري** في **الأنوار النعمانية** تقريرا مفصلا عن ذهابه الى اصفهان ومعيشته في كنف المجلسي وتمتعه بدعمه واسناده.[٤٢] كما انه تحدث عن السلوك الودي والحب الصميمي والمعاملة الطيبة المقترنة بالاحترام من قبل المجلسي تجاه طلابه.

وقد عدد بعض المؤلفين في كتبهم طلاب المجلسي. فقبل الجميع، خصص **المحدث النوري** في **الفيض القدسي** القسم الثاني من الفصل الثالث لهذا الموضوع وذكر أسماء (٤٩) من ألمع وأبرز تلاميذ المجلسي. ومن بين هؤلاء التلاميذ:

- **السيد نعمة الله الجزائري.**

---

[٤١] ـ تلامذة العلامة المجلسي، ص ٣ - ٤ .

[٤٢] ـ (انوار نعمانية) الأنوار النعمانية، ج٣، ص٣٦٢.

- **المير محمد صالح الخاتون آبادي.**
- **المير محمد حسين الخاتون آبادي.**
- **الملا محمد علي الاردبيلي.**
- **الملا عبد الله الافندي.**
- **الميرزا محمد المشهدي.**
- **والملا عبد الله البحراني.** (ج١٠٢، ص٨٢ - ١٠٤)

اما المرحوم السيد **مصلح الدين المهدوي** فانه أورد في ترجمة حياة العلامة المجلسي - بعد استقصاء يستحق التقدير - **أسماء ١٨٠من تلاميذه.**[٤٣]

وذكر الشيخ **أغا بزرك الطهراني** في المجلدات الخاصة بالقرن الحادي عشر والثاني عشر من كتابه **(طبقات أعلام الشيعة)** اكثر من **(١٠٠) من تلامذة المجلسي.** والبحث الأخير في هذا المجال أنجزه **السيد احمد الإشكوري** تحت عنوان تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه.

فقد درس الاشكوري اجازات المجلسي لمختلف الأشخاص ونظر في ترجمات حياتهم وعدد منهم **(٢١١) فردا من تلاميذ المجلسي** كما ذكر أسماء (٦٣) شخصا آخرين يحتمل كونهم تتلمذوا عند المجلسي.

والتأمل في هذه البحوث يدل بأن طلاب المجلسي كانوا من أهالي المدن والمناطق المختلفة في ايران وخارجها وقد جاءوا الى اصفهان لدراسة العلوم الدينية. ولذلك وجدنا من غير الضروري ذكر أسماء تلامذته وتبيان منزلتهم

---

[٤٣] ـ «زندكينامه علامه مجلسي» ترجمة حياة المجلسي، ج٢، ص١ - ١٦٦ .

العلمية، نظرا لوجود تلك البحوث والتحقيقات المتعددة والمطبوعة علـــــى اوسع نطاق.

٥

بحار الأنوار

يتمتع بحار الأنوار بمنزلة خاصة بين مؤلفات المجلسي، والمجلسي مدين للبحار في خلوده، اكثر من غيره، واذا ادعينا أن البحار يعكس قابليات وقدرات المجلسي العلمية لم نجانب الحقيقة. وان العديد من الكتب المطبوعة بالفارسية هي في الواقع ترجمات لأقسام من هذا الكتاب. وكثير من الموضوعات الواردة في كتبه الاخرى مستمدة ومقتبسة من البحار.

والذين يطرون على المجلسي ويثنون عليه يشفعون قولهم باسم هذا الكتاب، رغم ان معظمهم لا يعرفون إلا إسم الكتاب وحسب، وحتى الذين يذمونه وينتقدونه فانهم يجعلون معيارهم وملاك عملهم هذا الكتاب نفسه، وفي هذا الشأن فان من يجهلون بمضامين البحار ليسوا قليلين.

ومن هنا فان التعريف بالبحار ووصفه وتحليل مضامينه امر ضروري لمعرفة محمد باقر المجلسي. فالمجلسي مجرداً من البحار بعيد كل البعد عن حقيقة هذا الرجل.

ومع أن المؤلفات الفارسية للمجلسي كانت وما تزال تحظى بالمطالعة والدرس والتحقيق، لكن أياً منها لا تمتلك التأثير الذي يملكه كتاب بحار الانوار الذي يعد كالبحر الزخّار ذي الفوائد الجمّة.

وقد أعدّ كاتب هذه السطور قبل بضع سنوات تقريراً ملخّصاً عن هذا

السفر الكبير، ذكر فيه نقاطاً كثيرة.[1] وها نحن نقدم في هذا الكتاب تقريـواً تفصيلياً مما كتبناه عن بحار الانوار.

فالاسم الكامل للكتاب هو: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمــة الأطهار.** وهو من اكبر وأشهر الموسوعات الروائية الجامعة للحديث لــدى الشيعة، ونظراً لتنوع مباحثه وكثرة موضوعاته فيمكــن اعتبــاره دائــرة معارف وموسوعة قائمة بحد ذاقما.[2]

---

[1]ـ طبع هذا التقرير في الموسوعة العلمية للعالم الاسلامي، المجلــد الســادس، (حرف الباء) بعد مضي فترة طويلة نسبياً على كتابته.

[2]ـ أُلِّفت الموسوعات الشيعية المهمة للروايات في مرحلتين زمنيتين. الاولى في القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجري وتم خلالها تأليف الكتب الأربعة الاولى (الكافي - من لا يحضره الفقيه - الاســتبصار - والتــهذيب.) ومؤلفوها هم «المحمدون الثلاثة الاوائل» ومن بين الكتب الاربعة المذكورة نجـد ان الكافي يعالج العديد من الموضوعات والمسائل الدينية بينما الثلاثة الاخـــرى تسلط الضوء على القضايا الفقهية فقط.

والمرحلة الثانية هي القرن الحادي عشر الـــهجري وتــم خلالــها تــأليف المجاميع الروائية الثلاثة: وسائل الشيعة، والوافي، وبحار الأنوار، وقام بتأليفـــها «المحمدون الثلاثة الأُخَر». فالاول في الفقه والاثنان الآخران يشـــتملان علـــى مباحث وموضوعات اخرى متنوعة أيضاً.

(للاطلاع على المزيد من التوضيح بشأن هذه الكتب يراجع: **الذريعة** تحـــت عنوان كل كتاب منها، و**علم الحديث** للسيد شانَجي، و**مستدرك الوسائل**، المجلّـــد الثالث، ومصادركثرة اخرى).

ولقد حظي هذا الكتاب بالاهتمام واجتذب إليه أنظار الباحثين والمحققين والقراء العاديين، نظراً لكونه يذكر مصادر الروايات المنقولة عن أئمة الشيعة، وباعتبار اشتماله على بحوث كلامية وتاريخية وفقهية وتفسيرية وأخلاقية وحديثية ولغوية دبّجها يراع المؤلف، وتبويباً كاملاً - نسبباً - للموضوعات، وشرحاً وتبياناً لكثير من الروايات واحتوائه على نسخ نادرة ومفقودة لكتب المؤلفين الشيعة القدماء وكذلك في ضوء المترلة العلمية للمجلسي نفسه.

وعلى الرغم من ضخامة حجم بحار الأنوار فانه - ومنذ عصر تأليفه ـ استنسخ مراراً وحظي باستقبال واسع واهتمام كبير من الناس قديماً وحديثاً، ومنذ اواخر القرن الثالث عشر حيث ظهرت وانتشرت صناعة الطباعة الآلية، تمت طباعته كله او طبع بعض أجزائه - مراراً وتكراراً.

واهتم العديد من العلماء بترجمة او تلخيص بعض مجلداته، وبذلوا في ذلك جهوداً كبيرة، وبعضهم كتب حواشيَ وتعليقات عليه، والبعض الاخر أعدوا فهارس له، وعدد آخر من العلماء عقدوا العزم على نقد وايضاح آراء مؤلفه، وآخرون طرحوا نقاطاً تخص الكتاب نفسه وتسلط الضوء على مضامينه.

دوافع المجلسي لتأليف البحار

لقد بين المجلسي في مقدمة بحار الأنوار الدوافع والبواعث التي جعلته يقوم بتأليف هذا الكتاب.

واولها: اعتقاده بأن العلم النافع هو المستقى من نبع **الوحي** والمقتبس من أنواره، وهذا العلم كامن في **القرآن وأحاديث العترة**.

والثاني: ان كثيراً من مؤلفات الامامية بقيت بعيدة عن متناول الأيدي او فقدت تماماً، وأن البحث عنها وتجميعها في مكان واحد ضروري.

والثالث: ان هناك قلقاً مما يمكن أن يحدث في المستقبل ويُخشى من أن تضيع هذه المؤلفات او يصيبها التلف والفقدان.

سنؤجل البحث في الموضوع الأول الى الفصل المخصص لـ"آراء المجلسي"، ونسلط الضوء على الموضوعين الآخرين، فنقرأ في **بحار الأنوار** قول محمد باقر المجلسي:

[بعد الاحاطة بالكتب المتداولة المشهورة تتبعتُ الاصول المعتبرة المهجورة التي تركت في الاعصار المتطاولة والازمان المتمادية اما: لاستيلاء سلاطين المخالفين وأئمة الضلال او لرواج العلوم الباطلة بين الجُهّال المدعين للفضل والكمال، او: لقلّة اعتناء جماعة من المتأخرين بها، اكتفاءً بما اشتُهر منها، لكونها أجمع وأكفى واكمل وأشفى من كل واحد منها].

ولا يخفى دور العوامل السياسية في تبلور ونشوء المسيرة التاريخية للحديث والمعارف الشيعية، لا يخفى لا الباحثين على العلوم الاسلامية

والمؤرخين. فقد وردت في الكتب والمصادر تقارير كثيرة شأن المضايقات والضغوط التي مارسها الحكام والولاة على أئمة الشيعة وأتباعهم.

ومعروفة قصة سجن محمد بن أبي عمير في عهد هارون الرشيد، وتلاشي كثير من كتب الشيعة التي كانت لديه وغسلها بمياه الامطار كما انه معروف كيف أحرقت الكتب الكثيرة في مكتبة الشيخ الطوسي في علم ٤٤٨، وتخفي بعض صحابة الأئمة وهجراتهم السرية التي اضطروا إليها، وما شابهها من الوقائع والأحداث التي يحفل بها تاريخ الشيعة المليء بالمنعطفات والمحن، كلها أدت الى دمار وضياع التراث المكتوب للشيعة الامامية.[٣]

وسنبين مقصود المجلسي من العلوم الباطلة المرتبط بذاته ونظرته حول العلوم في الفصل المتعلق بذلك في هذا الكتاب. لكن من الطبيعي اعتبار عدم الرغبة في استنساخ كتب الماضين أمرا عاديا.

وان تأليف كتب كالكافي وأمثاله تم بناء على كتب الأقدمين وهدفه جمع الاحاديث وتبويبها وتقسيمها. على سبيل المثال، كان هناك قبل الكليني ما لا يقل عن أربعة أجيال من مؤلفي كتب الشيعة الامامية، وقد

---

[٣]ـ في هذا الصدد تراجع كتاب تاريخ الحديث. وقد أورد النجاشي في رجاله قصة ابن أبي عمير (ص ٣٢٦) ولنموذج ابن أبي عمير أهمية من هذه الزواية وهي أنه كان من اكثر العلماء الشيعة انهماكا ومؤلفات، وأدقهم في الكتابة والتحقيق، في عهد الائمة، وقد بذل جهودا كبرى وواسعة ومتواصلة في استنساخ كتب سلفه وتميز بدقة كبيرة في النسخ والتحقيق في الروايات وضبطها، مما يندر نظيره.

توافر على مؤلفاتهم وحصل على كتبهم كلها او آثار المتأخرين منهم، ثم عقد العزم على جمع كتبهم في مكان واحد، وحفظها.[٤]

وبالطبع فانه بتأليف هذه الكتب لا يحس طلاب العلم بالحاجة الى مؤلّفات الأقدمين ولا يشعرون بالحاجة الى الاحتفاظ بها وحيازتها وحفظها. وادى هذا الاسلوب - عملياً - الى قلة الاستنساخ والنُسخ، وبقائها مهجورةً وتلفها.[٥]

وبمرور الزمن عُلِمَ أنه **أولاً**: كل مؤلف يقوم بختيار وقبول الاحاديث من تلك الكتب بموجب اسسه الفكرية ومعرفته بالحديث والرجال الرواة، ومن المحتمل جداً أن لا تجد عدد من الروايات طريقها لتكون ضمن المجاميع الروائية.

وثانياً: هناك احتمال الخطأ والسهو في نقل الروايات.

ولهذا فينبغي النظر الى جهود المجلسي الفائقة ودقته البالغة في جمع تلك الكتب والمؤلفات، وتقويم هذه الجهود تقويماً صحيحاً وصائباً. وقد بذل بعض العلماء الاقدمين جهوداً قيّمة في تجميع وحفظ تلك الكتب، ومنهم

٤ـ حول مراحل تأليف وكتابة موسوعات الحديث الشيعية في القرن الرابع تُراجع مقالة «تاريخ كتابة مصادر الحديث لدى الشيعة الامامية» لكاتب هذه السطور، وقد طرحت في مؤتمر الكتب والمكتبات في الحضارة الاسلامية، مشهد، مؤسسة شؤون العتبة الرضوية المقدسة، صيف ١٩٩٥.

٥ ـ الذريعة، ج٢، ص ١٣١ (تحت عنوان «أصل»).

السيد ابن طاووس.[٦] لكن رقعة عمل المجلسي الواسعة ومتابعته الجادة في هذا الباب كانت اكبر واكثر تأثيراً من غيره، أضعافاً مضاعفة.

فقد كان يبحث عن نسخ الكتاب شرقاً وغرباً، ويذهب الى كل من يظن أن لديه كتاباً او رسالة تفيده، فيلح عليه ويصر أيُّما إصرار طالباً مساعدته. ثم إنه وجّه جماعة من الأشخاص للسفر الى البلاد الاسلامية والبحث والاستقصاء، وتحمُّل المصاعب والمشاق، ومواجهة بخل أصحاب تلك النسخ بها وهو الأهم من كل تلك المشكلات.

ومع كل تلك المصاعب وبفضل كل ذلك الاسناد والدعم والتعاون الذي أبداه ثلة من الفضلاء معه أمكن جمع كثير من المراجع والاصول والمصادر المعتبرة التي كانت محل اهتمام ومراجعة العلماء.

وقد تم التعرف على بعض مساعديه ومن ضمنهم: **الملا عبد الله الافندي مؤلّف رياض العلماء، والملا ذو الفقار الاصفهاني**[٧] ، **والسيد نعمة الله الجزائري**[٨] **والملا عبد الله البحراني.**[٩]

---

[٦] ــ ذكر ايتان كلبرغ في كتابه التحقيقي (مكتبة ابن طاووس) مواصفات وخصائص كثير من الكتب الموجودة في مكتبته (قام بترجمة الكتاب السيد على قرائي ورسول جعفريان).

[٧] ــ السيد أحمد الحسيني، تلامذة العلامة المجلسي، ص٢٤.

[٨] ــ الانوار النعمانية، ج٣، ص ٣٦٢.

[٩] ــ روضات الجنّات، ج٤، ص ٢٥٤ . والبحراني هذا هو صاحب الكتاب الكبير (عوالم العلوم) الذي طبع في العديد من المجلدات. كتبوا عنه أنه كان ذا مقدرة كبيرة في تصنيف وتبويب الموضوعات، وكتابه يؤيد هذا القول. ولا

ويبدو أن المجلسي كان يريد في البداية ان ينتهي العمل عند هذه المرحلة، والعمل الوحيد الذي قام به هو تصحيحها وتنقيحها وترويجها (البحار، ج١، ص٤) ثم عقد العزم على تأليف فهارس لعشرة من كتب الحديث. وهذه الكتب تعتبر من المجاميع المعتبرة لكنها ليست منظمة بالاسلوب الموضوعي (من حيث المضمون)، ومنها قرب الأسناد للحميري والخصال ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق.

وكان هدف المجلسي هو أن يجعل طلبة العلوم الدينية والعلماء يتمكنون من الاستفادة منها من خلال الفهرست المشترك الذي يجمع مضامين الكتب العشرة، وبذلك يمكنهم معرفة الأحاديث والاخبار والروايات التي تخص كل موضوع، ومصادرها، ومستندات كثير من أقوال وفتاوى فقهاء وعلماء السلف.

وبرأي المجلسي فمن خلال تدوين هذا الفهرست تتحقق نقطة أخرى وهي تفنيد وابطال ظنون بعض الأفراد - وهم بعض العلماء الماضين - وآرائهم المستندة الى القياس.

يقول المجلسي:

[اني لما رأيت بعض مؤلفات أصحابنا - رضي الله عنهم - في الاخبار غير منظومة على وجه يسهل للطالب أن يعثر منها على الاخبار المتعلقة بطلب

يستبعد أن يكون قد ساعد المجلسي في هذا المجال، وبالطبع فهناك بعض الآراء السلبية الموجودة في (عوالم العلوم) فينبغي الانتباه إليها ومعرفتها.

من المطالب ولذلك يغفلون عن كثير من الاخبار ويطعنون بذلك على سلفنا الاخيار بأهم لم يتبعوا مسالك أئمتهم عليهم السلام في منهجهم وتبعوا المقايس والاوهام فأخذت في تأليف كتاب يشتمل على فهرست اخبار تلك الكتب].[10]

وأنجز المجلسي هذا الفهرست الموضوعي في عام ١٠٧٠.[11] وأشار هو نفسه في بعض اجازاته الى هذا الفهرست ورأى المرحوم الشيخ أغا بزرك الطهراني نسخة منه.[12]

وكان المجلسي قلقاً من تلف او ضياع ونسيان النسخ المتوافرة (من الكتب التي جمعها) مما حمله على تأليف **بحار الأنوار**. اضافة الى ذلك، فان المصادر التي ظهرت لتوها توجد نقاط كثيرة لا يوجد مثليها في الكتب الرائجة والمشهورة وليست هناك سوى بعض النقاط المتفرقة في أبواب متنوعة، وهذا الانبثاث والتفرُّق يجعل - في الغالب - الاحاطة بجميع الاخبار والروايات المتعلقة بموضوع واحد أمراً غير ممكن، ولذلك فقد دخل العمل مرحلة جديدة وقرر المجلسي أن يجمع كل الاخبار والروايات

---

[10]ـ توجد نسخة من هذا الفهرست بخط المجلسي طبت صورة منها في بحار الأنوار، الجزء ١٠٣ من الطبعة الجديدة. والعبارة المذكورة هي جزء من تلك المقدمة.

[11]ـ راجع: الصفحة الأخيرة من صورة نسخة هذا الفهرست.

[12] ـ الذريعة، ج١٦، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

والأحاديث والموضوعات في هذه المصـــادر في اطـــار وقـــالب مجموعـــة موضوعية واحدة.

وبتأليف المجلسي للبحار انتفت الحاجة للفهرست. [١٣] بيد أننا وعـــبر المقارنة بين التبويب والتقسيم الموضوعي لذلك الفهرست وموضوعات بحار الأنوار، فلا نجانب الصواب لو قلنا أن ذلك العمل يمكن أن يسمى «**الخطة التمهيدية والمخطط الأوّلي لبحار الأنوار**.

وبالطبع فانه توجد بين الكتابين بعض الاختلافات الموضوعية، يمكـــن معرفتها من خلال المقارنة بين فهرست البحار وفهرست هذه الرسالة. على سبيل المثال فان كتاب السماء والعالم يوجد في القسم السادس وفي بحـــار الانوار في القسم الرابع عشر. وبالنسبة لأحوال صحابة رسول الله بشـــكل مستقل في هذا الفهرست (القسم التاسع) وفي البحار نجد أنه توجد قســـم من أحوال النبي محمد (ص) في الكتاب السادس و.. (البحار، ص٧).

وكان المجلسي قد قرر في التصميم الاولي والخطة التمهيدية للبحـلو أن يكون الكتاب في ٢٥ مجلّداً، ولكنه بالنظر لازدياد حجم المجلد الخـــامس عشر فانه قسّمه الى مجلّدين وأصبح الكتاب يقع في ٢٦ مجلّداً. وكل مجلـــد مخصّص لموضوع مستقل ولمعظم الموضوعات تقسيمات فرعية، ويضم كـــل كتاب العديد من الأبواب.

وتوجد في **بحار الأنوار** بعض العناوين التي لم تكن توجـــد في كتـــب الحديث السابقة بشكل مستقل وعدّها المجلسي مـــــن امتيـــازات تأليفـــه

---

[١٣]ـــ بحار الأنوار، ج١٠٣، مقدمة النسخة المصورة.

كـ«كتاب العدل والمعاد» و«كتاب السماء والعالم» و«تاريخ الانبياء والأئمة عليهم السلام».

ويبدأ كل باب بما يناسبه من آيات القران الكريم، وهذه الآيات ترتبط بالموضوع محل البحث اما بشكل صريح وواضح واما بواسطة القرائن والأدلة التاريخية، والروائية والتفسيرية.

على سبيل المثال، في بحث «ظهور العالم وبدء الخليقة». يورد المجلسي آيات من القرآن الكريم تتحدث عن مراحل خلق السموات والارض (البحار، ج٥٤، ص ٢ - ٤).

اما في البحث المتعلق بالقيامة فانه يخصص باباً لذكر علوّ مرتبة ومنزلة النبي وأهل بيته، وفي هذا الباب يذكر الآيتين الرابعة والخامسة من سورة الضحى التي ترتبط بالموضوع المذكور في ضوء ما ورد في الاحاديث المروية بطرق الشيعة (ج٧، ص ٣٢٦). وبهذا الترتيب يكون المجلسي قد أعدَّ فهرستاً موضوعياً لآيات وموضوعات القرآن الكريم أيضاً.

ويورد المجلسي بعد الآيات - وقبل أن يطرح الروايات ويعرض الاحاديث - أقوال المفسّرين بمقدار اللازم، وعادةً ما يكتفي بآراء أمين الاسلام الطبرسي من مفسّري الشيعة والامام الفخر الرازي من مفسّري العامة. وبعد ذلك يستعرض من الأحاديث التي ترتبط بكل واحد من العناوين، مع ذكر سندها، حسب الترتيب.

وفي بعض الأحيان يذكر قسماً من الحديث ويرجئ ذكر صيغته الكاملة في باب آخر اكثر تناسباً مع الموضوع. وفي بعض الاحيان يشير

المجلسي الى الموضع الأصلي لنقل الحديث في البحار نفسه، ويقدم احيانـــا بعض الايضاحات حول معنى الحديث اذا لزم الامر.

وبالطبع فان بعض المواضع التي يدل عليها المجلسي في الكتاب ليســت دقيقة ولا يجد المراجع بغيته فيها ولا يعثر على ضالته، وهذا من الامور الـتي تذكر لدى نقد الكتاب والاشارة الى بعض المآخذ عليه. [١٤]

وفي ضوء الفهرست المشار إليه، فان تأليف البحار بدأ بعد عام ١٠٧٠ للهجرة، ويحتمل - بنسبة قريبة من الصحة - أن انتهاء تدوينه قد وقع بعد عام ١٠٧٥ وانه لم يراع - في التأليف ـــ الترتيب بالترتيب والتسلســـل، دائما. وفي ختام كل مجلد ذكر تاريخ اتمامه.

فمثلا نجد أن اكتمال المجلدات: الثاني والخامس والحادي عشر والثـاني عشر تم في عام ١٠٧٧، والمجلد الثالث عشر في عام ١٠٧٨، والمجلد الثالث والرابع عام ١٠٨٠، والمجلد السابع في عام ١٠٨٦ والمجلد الثامن في عـــام ١٠٩١ للهجرة. [١٥]

---

[١٤] ـــ على سبيل المثال: يراجع البحار، ج٨٦، ص٣٢. ونجد المجلسي يشـــرح هنا حديثا ثم يقول: أوردنا التفاصيل في كتاب الايمان والكفر. بينما نـــراه ذكـــر الحديث في ذلك الكتاب دون شرح يذكر.

[١٥] ـــ يراجع: بحار الأنـــوار، ج٤، ص٣٢٢، وج١٤، ص ٥٢٢، وج٤٨، ص ٢٩١، وج ٥٠، ص٣٣٩، وج ٥٣ ، ص١٩٨، وج ٤٥، و ج٤٢، ص ٣٣٩، وج ٨، ص ٣٧٦، و ج ١٠، ص ٤٥٤، و ج ٢٧، ص ٣٤٧ ، وج ٣٤، ص ٤٥٣ . وقال المحدث النوري ان المجلدات من الاول الى الثالث عشر تم تأليفـها بالترتيب ويبدو أن قوله سهو (بحار الأنوار ج١٠٢، ص٤٠).

وأكمل المجلّد الثاني والعشرين (كتاب المزار) عام ١٠٨١ في النجف وهو في طريق عودته من سفر الحج، والمجلد الثامن عشر (كتاب الصلاة) في عام ١٠٩٤و ١٠٩٧، والمجلّد الرابع عشر (السماء والعالم) في عام ١١٠٤.[١٦] ويقول المحدّث النوري انه بدءاً من المجلد الخامس عشر (وبتعبير أصح: الخامس عشر والسادس عشر) حتى نهاية الكتاب (ما عدا المجلّدين الثامن عشر والثاني والعشرين) واثناء حياة المجلسي لم تخرج عن كونها مسوّدة و لم يكتب المؤلف سوى القليل من الشرح على اخبار المجلّدين الخامس عشر والسادس عشر (البحار ج١٠٢، ص٤٤). ومع ذلك فانه هو نقل عن محمد الخونساري[١٧] وهو نقل عن حدائق المقربين أن ثمانية مجلّدات من البحار بقيت على شكل مسوّدات ودون بيان او شرح وقد أوصى المؤلّف باتمامها (ج١٠٢، ص٢٧ - ٢٨).

كما نقل عنه قوله ان عدد سطور المجلّدات المكتملة (التبييض النهائي) يقرب من ٠٠٠و٧٠٠ **سبعمئة الف سطر** وهذا الرقم صحيح مع احتساب عدد أسطر المجلّدين الخامس عشر والسادس عشر (كتاب الايمان والكفر، وكتاب العشرة). وقد كتب المحدّث النوري والشيخ أغا بزرك الطهراني عدد الأبواب وعدد السطور في كل مجلّد.[١٨]

---

[١٦] ـ يراجع: البحار، ج٩٩، ص٣٠٢، وج ٨٨، ص٣٨٨ وج ٦٣، ص ٥٥٤ .

[١٧] ـ روضات الجنات، ج٢، ص٨٥.

[١٨] ـ البحار، ص٣٧ - ٤٤ {لم يذكر المؤلف رقم الجزء في الاصل - المترجم} والذريعة خلال تعريفه كتاب: بحار الأنوار.

ونقل السيد عبد الله الجزائري في (**الاجازة الكبيرة**) عن السيد نصر الله الحائري ان الملا عبد الله الأفندي (**مؤلف رياض العلماء**) كتب المجلدات الأخيرة من **بحار الأنوار** بعد وفاة العلامة المجلسي نقلاً عن النسخ المسوّدة التي كان قد كتبها قبل الوفاة.[١٩] وأورد المحدث النوري قرينةً تدلّ على صحّة هذا الادّعاء (ج ١٠٢، ص ٤٥ - ٤٦).

وقد عُثر على نسخة من المجلّد السادس عشر (كتاب الآداب والسنن بناءً على التقسيم الأوّلي للكتاب) بعد الطبعات الاولى **لبحار الانوار** في أوائل القرن الرابع عشر، بهمة وجهود الميرزا محمد الطهراني، وكانت قد تمت كتابتها في زمان المؤلف او بعده بقليل.[٢٠]

وبما أن المجلسي كان قد رقّم كتابي «المزار» و«الصلاة» بموجب التقسيم الاولي له فان الرقم (١٦) قد تكرر، والمجلدات التي تأتي بعد الثاني والعشرين تكون احياناً بالترتيب القديم واحياناً بترتيبها الحقيقي. ونجد الشيخ الحر العاملي يعرّف البحار ويسلط الضوء عليه - في نطاق حديثه عن المجلسي - طبقاً لترتيبه الاولي.[٢١]

وكان لدى المجلسي مشروعان اخران لم يستطع تنفيذهما:

---

[١٩] ــ الاجازة الكبيرة، ص ٨٤.

[٢٠] ــ الذريعة، ج٣، ص٢٣ (حول هذه النسخة راجع: مقدمة محمد باقر البهبودي في بداية المجلد ٧٦ من بحار الأنوار)

[٢١] ــ أمل الآمل، ج٢، ص٢٤٨ (الشيخ الحر توفي في ١١٠٤ وربما كان غير مطّلع على تجديد نظر المؤلف في تسلسل المجلدات).

(أ) **كتابة شرح كامل ومبتكر لبحار الأنوار**، يقول المجلسي:

{وفي بالي – إن أمهلني الأجل وساعدني فضله عزوجل – أن اكتب شرحاً كاملاً يحتوي على كثير من المقاصد التي لم توجـــد في مصنفـــات الاصحاب، واشبع فيها الكلام لأُولي الألباب} (ج١، ص٥).

(ب) كتابه **«مستدرك البحار»**:

يقول المجلسي في هذا الصدد انه لم يقم – لبعض الاســـباب – بنقـــل بعض الروايات من مصادر جديدة، نقلاً كاملاً، وانه يحتمل أن يحصـــل في المستقبل على عدد آخر من الكتب القديمة وأن إلحاقها سيؤدي الى خلـــق اضطراب في الكتاب واختلاف النسخ الموجودة من الكتب عـــن بعضـــها بعضاً، ولذلك فانه يفضل ان يقوم بتأليف مستدرك لكتاب بحار الأنوار.[٢٢]

كمـــا أن المجلسي كـــــان يتمتع خلال تـــــأليف البحار – الـــذي بدأه في

النصف الثاني من عمره – بتعاون ومساعدة بعض الفضلاء والدعم المـــــالي للحكومة الصفوية والتسهيلات والامكانات التي وفّرها له الصفويـــون في تجميع المصادر.

---

[٢٢] ــ البحار، ص٤٦ {لم يكتب المؤلف رقم الجزء في الاصل – المترجم} وقـــد اختار المجلسي لمشروعه هذا اسم مستدرك البحار (سميّناه بمستدرك البحـــــار). والنقطة الجديرة بالالتفات في عبارة المجلسي هذه هي أن نسخ البحار قد وصلت في زمان تأليفه الى المدن المختلفة. يقول المجلسي: {إذْ الإلحاق في هذا الكتـــب يصير سبباً لتغيير كثيرٍ من النسخ المتفرقة في البلاد}.

ويروي السيد عبد الله الجزائري عن جده السيد نعمة الله الجزائـري أن المجلسي سمع أثناء بحثه عن كتب القدماء لغرض تأليف البحار أن نسخة من كتاب (**مدينة العلم**) لمؤلفه الشيخ الصدوق توجد في **إحدى مدن اليمن**.

فنقل الخبر الى سلطان ذلك العهد - ويحتمل أن يكون الشاه سـليمان الصفوي الحاكم آنذاك - فبادر الشاه وبعث أحد الامراء حـاملاً هدايـا نفيسة وكثيرة الى اليمن ليتمكن ـ بمساعدة سلطانها - من الحصول علـى الكتاب والاتيان به.

كما روى الجزائري أن السلطان أوقف عدة املاك شخصية منه لتوفير تكاليف تأليف البحار ليدفع منها اجور كتّاب النُّسخ.[٢٣]

إلا أن القرائن والادلة والنسخ الموجودة كلها تشهد بأن المجلسي هـو الذي أنجز القسم الاعظم من تأليف الكتاب شخصياً. فقد كـان يختـار الآيات المناسبة لكل باب، ويكتب تفسيرها، وينتخب الروايات ويشـرحها بنفسه.

وكان يعينه بعض الأشخاص - ثلة منهم غير معروفـين - في نقـل الاحاديث الطويلة او أجزاءً من الأدعية او استنساخ عدة رسائل واقسـامٍ من بعض الكتب. وقد صرح بذلك في رسالة كتبها أحد تلاميذ ومساعدي المجلسي له حول البحار، وبطلب من المجلسي نفسه، وأوردهـا المؤلـف بالكامل في الجزء الأخير من البحار. يقول:

---

[٢٣] ـ الاجازة الكبيرة، ص ١٩٧ - ١٩٨.

[إن إضافة رسالة التفضيل الى بحار الأنوار مع أنه ليس عملا صعبا لأن أحد طلبة العلـــوم الدينيـــة الذين كلفتموهم بهذا العمل يستطيع القيام بـــــه بكل سهولة خلافا للحالات التي تقومون فيـــــها ببث وتوزيع موضوعات ومضــــامين رســـالة او كتاب على أبواب متفرقة.] [٢٤]

وينتقد المحدث النوري الذين استشكلوا على المجلسي استعانته بالآخرين في تأليف الكتاب ولربما شككوا في تأليف البحار من قبل المجلسي فقـــــط، واكد أن تلك المساعدة والمعونة كانت ثانوية، بالضبط مثلمــــا ان فقيـــها يستعين بالكتب الاربعة الروائية لتأليف كتاب فقهي.

وفي الوقت نفسه ينبغي عدم الغفلة عن كون تأليف **البحار** نموذج قيم

---

[٢٤] ــ الاجازة الكبيرة، ص ٧٣، والبحار ج ١٠٢، ص ٣٠ - ٣٤، والبحـــار ج ١٠٧ ص ٣٠ - ٣٤، والبحار، ج١٠٧، ص١٦٨ (ورد النص الكامل للرســـالة في ص ١٦٥ حتى ١٧٩). ونسب السيد بهبودي هذه الرسالة الى الملا عبـــد الله الافندي (البحار، ج١٠٧، ص ١٦٥) لكن السيد أحمد الحسيني قال فـــي كتابـــه (تلامذة العلامة المجلسي (ص٢٤) إن كاتب الرسالة هو الملا ذو الفقار. على أي حال، فهذان الشخصان كلاهما كانا من المساعدين الجادين للمجلســـي وواقفيـــن على طريقة عمله، وبناءا على ذلك فان شــــهادتيهما مقبولتـــان. هـــذه الشـــهادة الصريحة تدل على أن المجلسي تولى هو شخصيا عملية التأليف والتدوين لمعظم الكتاب.

ومصداق رائع للعمل الجماعي والتعاون تحت نظرواشراف وتوجيه وتسديد شخص واحد. وفي ضوء تاريخ تأليف بحار الأنوار فانه يعتبر مبادرة بديعة وعملاً مبتكراً ومهماً.

فقبل المجلسي لم يكُ هناك أي نموذج من هذا النمط من الكتب، و لم يظهر الى الوجود بعده حتى العهود الأخيرة نموذج يمكننا الاشارة إليه.

وفي السنوات الأخيرة، بدأ مشروع لتدوين **جامع أحاديث الشيعة** على يد فقيه الشيعة الفذ المرحوم آية الله البروجردي باسلوب وطريقة مشابهة، في مجال الفقه، وبالطبع فان مواصلة الدرب تمت بشكل آخر.[٢٥]

- عناوين موضوعات وأرقام أبواب بحار الأنوار حسب ترتيب المجلدات

ذُكر أن البحار يتكوّن من ٢٦ مجلّداً، على الشكل التالي:

- كتاب العقل والعلم والجهل في ٤٠ باباً.
- كتاب التوحيد في ٣١ باباً.
- كتاب العدل والمعاد في ٩٥ باباً.

[٢٥] ـ ان رسائل اخوان الصفا و(نامه دانشوران ناصري) أي رسالة العلماء من تأليف الناصري، نموذجان للعمل الجماعي. لكن وضع مؤلّفي هذين الكتابين يدل على كونهم من مرتبة واحدة ودرجة متماثلة، خلافاً للبحار الذي تولّى تأليفه شخص واحد (المجلسي) واعانه على ذلك اشخاص آخرون اقل منه من حيث المستوى العلمي.

- كتاب الاحتجاجات والمناظرات في ٨٣ باباً (تشمل احتجاجات القرآن، النبي الاكرم محمد (ص)، أئمة الشيعة، أصحاب الأئمة، وبعض علماء الامامية في زمن الغيبة، في مواجهة الكفّار والمشركين والمناوئين).

- كتاب قصص الانبياء في ٨٣ باباً.

- كتاب تاريخ نبينا وأحواله في ٧٢ باباً.

- كتاب الامامة في ١٥٠ باباً.

- كتاب الفتن وما جرى بعد النبي (ص) في ٦٢ باباً.

- (كتاب) تاريخ الائمة في ٢٩٧ باباً (من المجلد التاسع حتى الثالث عشر حيث سمّى المجلد الاخير بكتاب الغيبة).

- كتاب السماء والعالم في ٢١٠ أبواب.

- كتاب الايمان والكفر في ١٠٨ أبواب (في بداية هذا الكتاب قال إن الأبواب المتعلقة بـ(العِشرة) سيأتي بها في كتاب مستقلّ آخر يشمل ١٨٠ باباً).

- كتاب الآداب والسنن والأوامر والنواهي والكبائر والمعاصي في ١٣١ باباً.

- كتاب الروضة في ٧٣ باباً (يشمل المواعظ والكلمات القصار والخطب).

- كتاب الطهارة والصلاة في ٢٢١ باباً.

- كتاب القرآن والدعاء في ٢٦١ باباً.

- كتاب الزكاة والصوم في ١٢٢ باباً (البحوث المتعلقة بالخمس والاعتكاف واعمال السنّة أيضاً وردت في هذا المجلد)

- كتاب الحج في ٨٤ باباً (يشمل البحوث المتعلقة بالحج، والجهاد، والمرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

- كتاب المزار في ٦٤ باباً.

- كتاب العقود والايقاعات في ١٣٠ باباً.

- كتاب الاحكام في ٤٨ باباً.

- كتاب الاجازات (يشمل الاسانيد وطرق المؤلّف وكذلك إجازات العلماء للطلاب ومعاصريهم).

ولقد رتّب المجلسي موضوعات الكتاب على أساس عناوين وترتيب كتب الحديث، والكلام، والفقه، والتاريخ وبعض المؤلفات العلمية (كالكتب الطبية وكتب علوم الحيوان).[٢٦]

ومع الاخذ بنظر الاعتبار أن المادة الاساسية في هذا الكتاب هي الحديث والرواية فانه فتح آفاقاً جديدة للتحقيق. على سبيل المثال، ان المباحث الكلامية كالاحباط والتكفير والارزاق والآجال، التي وردت في مجلّد "العدل والمعاد"، او ما تضمّنه كتاب «السماء والعالم» من أبواب متنوعة واحاديث نقلت ودُرست يتيح للقارئ الاطلاع على النظريات

---

[٢٦]ـ على سبيل المثال يمكن مقارنة تقسيم أبواب البحار في البحوث المشابهة مع كتاب الكافي، كما يمكن مقارنة موضوعات كتاب العدل والمعاد مع الكتب الكلامية.

الكلامية المستندة الى مصادر البحث والدراسة الدينية (القرآن والحديث خاصة).

بالاضافة الى ذلك، فان كثيراً من مواضيع الكتاب اقترنت بنقل الآراء الكلامية مما وفّر الارضية للدراسة النقدية والمقارنة التطبيقية لها مع التعاليم والآراء والنظريات الدينية.

ويقول المجلسي في مقدمة البحار:

[ومن الفوائد الطريفة لكتابنا اشتماله على كتب وأبواب كثيرة الفوائد، جمة العوائد، أهملها مؤلفو أصحابنا رضوان الله عليهم، فلم يفردوا لها كتاباً ولا باباً: ككتاب العدل والمعاد، وضبط تواريخ الأنبياء والائمة (ع) وكتاب السماء والعالم المشتمل على أحوال العناصر والمواليد وغيرها مما لا يخفى على الناظر في بحار الأنوار.] (ج١، ص٥).

وان جمع الأحاديث الدائرة حول موضوع واحد في كتاب واحد يؤثر في تسهيل فهم المعنى المقصود والمراد فيها، كما يوضح التعارض المحتمل بين الصيغ المختلفة منها. على سبيل المثال، ورد في حديث نقله الصدوق في علل الشرائع عبارة "**لا تَطُفْ بقبر**" وقد أورد المجلسي حديثين آخرين حول الموضوع نفسه مما ساعد على فهم المقصود بهذا التعبير والمراد بذلك

العبارة ودلّل على معنى كلمة (لا تَطُف) هنا ليس النهي عـــن الطــواف (البحار، ج ٩٧، ص ١٢٦ - ١٢٨).

والنموذج الآخر هو حديث رواه الصدوق في كتاب التوحيد مســنَداً عن الامام الصادق (ع). وينقل الصدوق هذا الحديث بواسطة واحــدة أي راوٍ واحد ثم عن محمد بن يعقوب الكليني (صاحب الكـــافي). وفي هـــذا الحديث توجد عبارة تختلف بين نسخ الكافي وما نقل الصدوق في التوحيد.

فالصدوق يقول في التوحيد: ان الامام الصادق (ع) قال جوابـــاً لأبي بصير:

[ووهب لأهل معصيته القوة على معصيَتـــهم ولم يمنعهم إطاقة القبول منه، لأن علمه أولى بحقيقـــة التصديق، فوافقوا ماسبق لهـــم في علمــه، وان قدروا أن يأتوا خِلالاً تنجيهم عن معصيته].[27]

في هذه العبارة ـــ التي تتطابق مع مسلّمات مذهب الامامية ـــ يوجــد تشويش. إذ إن عبارة **[إن علْمه أولى بحقيقة التصديق]** لا تتطابق مع صدر الحديث ونهايته، بينما جاء في الكافي:

[ووهب لأهل معصيته القـــوة علـــى معصيتـــهم ومَنَعَهُم إطاقة القبول منه، لان علمه أولى بحقيقـــة

[27] - التوحيد، ص ٣٥٤.

التصديق، فوافقوا ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا خلالاً تنجيهم عن معصيته][28]

وليس في الرواية التي نقلها الكافي اضطراب او تشويش، فالجُمل بمجموعها تفيد المعنى المراد كتحصيل حاصل لكن فهم الحديث يبدو صعباً ويندرج في عداد المتشابهات، لأنه يدلّ ـ في الظاهر ـ على الجبر، بينما الجبر مرفوض بصراحة في القرآن الكريم وأحاديث الأئمة (عليهم السلام) وليس هناك متكلّم ومحدّث امامي واحد يؤمن بهذه العقيدة، وقد سمّي أتباع المذهب الشيعي "**أهل العدل**"، لأنهم لا يعتبرون العباد مجبورين على ارتكاب الذنب والإثم.

وان اقتران هاتين الروايتين ببعضهما في البحار يظهر التعارض فيما بينهما، والأطرف من ذلك والملفت للنظر ما يكتسبه المجلسي في تبيان وشرح الحديث ورأيه في منشأ الاختلاف.

فالمجلسي يرى أن الحديث صحيح بالصيغة التي رواها الكليني، ولكن (منع اهل المعصية عن اطاقة القبول منه) لا تعني (سلب قدرتهم) بل المراد به هو "عدم إعطاء أقصى حد من القدرة عن طريق اللطف والهداية الخاصة". بعبارة أخرى: ان المجلسي يعتقد ان القدرة "لدى افراد البشر ذات مراتب، وان الجميع يتمتعون بالمرتبة الاولى لئلا تحصل أدنى شائبة بوجود الجبر".

---

[28] - في عبارة الكافي وردت كلمة (منعهم) بدلاً من (لم يمنعهم) وعبارة (ولم يقدروا) بدلاً من (وان قدروا) (الكافي، ج ١، ص ١٥٣).

اما عن حكاية التباين بين روايتي الصدوق والكليني، هل يمكن القول إن الحديث قد نُقل بكلتا الصيغتين؟ هل نسخة الكافي التي استند اليها الصدوق تختلف عن النسخ الاخرى؟ اذا كان الحديث بالصيغة التي نقلها الصدوق قد صدرت عن الامام، لماذا لا يُلاحظ فيها انسجام في التعبير؟ هل اعتقد الصدوق باحتمال حصول تحريف في الرواية، في ضوء الإشكال الموجود في رواية الكليني ولذلك اعتمد القياس في تصحيحها؟

إن المجلسي يرى أن الاحتمال الأخير هو الصحيح ويقول:

[توجد في رواية الصدوق تغييرات مدهشة وتحمل على سوء الظن بالصدوق. فقد أدخل هو هذه التغييرات لكي يجعلها منسجمة مع مذهب أهل العدل (الامامية)] [٢٩]

وفي الأساس، إن شرح المجلسي وتبيانه في هذه الموضوعات يعتبر أحد النماذج الجيدة والموفّقة لهذا النوع من التحقيقات.

وان تقسيم الموضوعات وتبويبها في البحار رغم أنه يستحق التقدير، إلا أنه توجد في بعض مجلدات بحار الأنوار عناوين لا ارتباط لها بالموضوع المطروح، مباشرة، وأنها طرحت في باقي الكتب والمؤلفات المشابهة للبحار، تحت عنوان آخر، ومن جملتها:

---

[٢٩] - بجار الأنوار، ج ٥، ص ١٥٦ – ١٥٧، ونفس الشيء في مرآة العقول، ج ٢، ص ١٠٢ – ١٠٣.

- أبواب من علوم الحديث وقواعد فقهية واصولية مذكورة في كتاب العلم.

- إبطال التناسخ المذكور في كتاب التوحيد.

- البحوث الكلامية كالأجل، والوعد والوعيد والحبط والتكفير، والاحكام المتعلقة بالتكليف ، وعلل الاحكام والشرائع وفلسفة خلقة الانسان المذكورة في "أبواب العدل".

- الطاعون والفرار منه، المذكورة في "أبواب الموت".

- قصص بعض الاشخاص والاقوام والسلاطين المذكورة في كتاب "قصص الانبياء".

- الحوادث والوقائع التي حصلت خلال عهد حكومة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والأحكام الفقهية المرتبطة بالبغاة، المذكورة في "كتاب الفتن" (المجلد الثامن).

- أبواب كعلم النجوم واحكامه الفقهية، وأيام السعد والنحس، والسحر والرؤيا، والحكم الفقهي المتعلق بالمداواة بالاشياء المحرمة، وحقوق الحيوانات (حق الدابة على صاحبها) وأحكام الصيد والذباحة، وآداب الأكل والشرب واحكام الأشربة المذكورة في كتاب "السماء والعالم".

- البحوث الفقهية المتعلقة بالحدود في كتاب "الآداب والسنن".

ويحتمل أن يكون المجلسي قد راعى بعض المحاذير والحدود الضابطة في تبويب وتقسيم (بحار الأنوار) وخاصة في التقسيمات الفرعية، وأبرزها أمران:

الأول: الهيكل الاول والتخطيط العام الذي وضعه هو في خمسة وعشرين فرعاً وعنواناً اصلياً.

والثاني: مقدار الموضوعات التي يتضمنها كل موضوع.

على سبيل المثال:

عندما ازدادت الموضوعات المطروحة في المجلد السادس عشر عن حدّها، قام المجلسي بفصلها وتخصيص مجلد خاص لها.

كما انه عمد الى ضم بحوث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع بحوث الحج إذ إن الموضوع الاول لم يكن مقداره كبيراً[30]

وبالرغم من كل ذلك، ففي ضوء قيام المجلسي بوضع عناوين جديدة ومبتكرة وفي ضوء وسعة رقعة عمل المجلسي وضخامته، ينبغي اعتبار البحار من أفضل التآليف الروائية والحديثية، بلحاظ تقسيمه الموضوعي.

*** مصادر بحار الأنوار**

كان الهدف الأصلي للمجلسي ــ كما نقل ــ جمع وتدوين روايات وأحاديث الشيعة الامامية بشكل موضوعي، وبناءً على ذلك فقد استند الى

---

[30] – في كثير من كتب العلوم المختلفة، تُشاهد مراعاة مثل هذه الامور والالتزامات وعدم ارتباط بعض البحوث بالموضع التي طرحت فيه، أمر شائع. فمثلاً: الفقهاء الماضون، يطرحون بحث البلوغ في موضوع (الحَجْر)، وأحكام النفقة في كتاب النكاح. وقد خصّص الشيخ الحر العاملي قسماً كبيراً من وسائل الشيعة لأحاديث أخلاقية وجمعها تحت عنوان واحد هو (جهاد النفس)، وقس على هذا.

عدد كبير من المصادر والكتب والمؤلفات والرسائل المعتبرة او المنسوبة الى أئمة الشيعة وأصحابهم وعلماء الامامية. كما يوجد عدد من المصادر غير الامامية او المشكوك في كونها من مصادر الامامية، في عداد مصادر المجلسي. ومجموع هذه المصادر نسميه "**مصادر المتن او النص**".

لكن في مجال شرح وتفسير وتبيان الاخبار والروايات والآيات استخدم المجلسي مصادر كثيرة من قبيل كتب اللغة والتاريخ والكلام والفلسفة وكتب الحديث المتعلقة بالعامة، وشروحها. وهذه المصادر نسميها "**مصادر الشرح**".

ولقد قام في الفصل الاول للمقدمة بتعريف هذين النوعين من المصادر، وفي الفصل الثاني منها أوضح مدى ثقته واعتماده على مصادر المتن.[٣١]

أولاً ـ مصادر المتن:

ذكر المجلسي ٣٦٥ كتاباً ورسالة في الحديث والتفسير والكلام والتاريخ والفقه والدعاء والاجازات، مع أسماء مؤلفيها.

وأُلّفت هذه الكتب من القرن الاول (الهجري) حتى زمان المؤلف (المجلسي) وهو القرن الحادي عشر، من قبيل: كتاب سُلَيم بن قيس الهلالي: ورسالة توحيد المفضّل، وكتب الشيخ الصدوق، والمقالات والفِرَق لسعد بن عبد الله القمي، والكتب الكلامية للخواجة نصير الدين الطوسي، والكتب الفقهية للمحقق الكركي.

---

[٣١] - البحار، ج ١، ص ٦ و ٢٤.

كما صرح في آخر الفصل الثالث من مقدمة البحار أنـــــه لا ينـــوي الاقتصار على نقل أحاديث المصادر المتواترة، مثل كتب الشيعة الاربعة، إلا عند الضرورة، لأنه يمكن أن يؤدي الى نسخ وهجر تلك الكتب، وهـــــذا ليس لائقا.[٣٢]

وبالطبع، يعلم من الرسالة التي أشرنا اليها سلفا وذكرهـــــا المجلســـي ووصف كاتبها بأنه (بعض أذكياء تلامذتنا)[٣٣] يعلم أن بعض الاشــــخاص كانوا يرون إيراد أحاديث الكتب الاربعة لأن كثيرا من أحاديثها لم تـــرد في مكانها المناسب وتسبب ذلك في تأخر الحصول عليها.

ويذكر المجلسي الشهيد الاول الذي كتب في (**الذكرى**) عن بعـــــض الاحكام انه لم ترد في هذا الموضوع رواية. بينما تلك الرواية جـــــاءت في موضع غير مناسب. ومن ناحية اخرى فان مجاميع الحديث الجديدة كالوافي ووسائل الشيعة أيضا لا تقدم جوابا عل كل تلك التساؤلات (البحـــار، ج ١٠٧، ص ١٧٨).

هذه الرسالة دونها الكاتب بطلب من المجلسي والهدف منـــها تدويـــن فهرست من الكتب التي من الافضل أن تضاف الى مجموعة مصادر البحار، لأن بعض الاستنادات قد تمت اليها او نقلت منها بعض الموضوعات.

---

[٣٢] – البحار، ص ٤٨. وهكذا قال مكملـــو البحـــار حـــول الكتـــب المتداولـــة والمشهورة للرجال والفهرست ما يماثل هذه النقطة، راجع: بحـــار الأنـــوار، ج ١٠٢، ص ١٩٣ – ١٩٩.

[٣٣] – البحار، ج ١٠٧، ص ١٦٥ (قلنا سابقا إن هذا الشخص هو الملا عبد الله الافندي او الملا ذو الفقار).

وبهذا تبلغ **مصادر النوع الاول حوالي ٤٠٠ مصدر** وقد ذكر المحدّث النوري ما يقارب ٥٠ كتاباً كاثبات الوصية وتفسير أبي الفتوح الـــرازي، والايضاح للفضل بن شاذان النيشابوري، وانسان العيون في سيرة الامـــين المأمون (المعروفة بالسيرة الحلبية) تأليف برهان الدين الحلبي، وهي ذكـــرت اما في المقدمة ولكن لم يُنقل مها موضوع واما أنها وجـــدت فيمـــا بعـــد وحصل عليها المؤلف تباعاً وكان ينبغي أن تستخدم في تأليف مســـــتدرك البحار.[٣٤]

وبحث المجلسي في صحة انتساب هذه الكتب الى مؤلفيها وكذلـــك مقدار اعتماده عليها وثقته بالنسخ المعدة منها وكيفية نقل الموضوع منـــها (البحار، ج ١، ص ٢٦ – ٤٦). وفي الفصل الثالث ذكر الرموز الخاصـــة بالكتب التي نقل منها مراراً موضوعات في البحار.[٣٥]

وتطرق في بحوثه الى ما يتعلق بمؤلفي بعض الكتب مثل قرب الاســـناد، وروضة الواعظين، وعيون المعجزات، وفقه الرضا، ودعائم الاسلام، وطب الأئمة، وجامع الأخبار ومصباح الشريعة، كما تحدث عن مقدار مطابقـــة مضامين بعض الكتب مع العقائد الشيعية كمشارق الانـــوار، والالفـــين

---

[٣٤] – البحار، ج ١٠٢، ص ٦٠ – ٧٥. قال انه: لو لم أكن مشغولاً بكتابة مستدرك الرسائل لتمنيت أن أكون من روّاد هذا الميدان وطلائعه، لكني لا أظن أن أجلي يمهلني حتى أنال بُغيتي وأحقّق امنيتي.

[٣٥] – البحار، ص ٤٦ – ٤٨. أشار في ختام الفصل أنه سيذكر في البحوث الفقهية الاسم الكامل لتلك الكتب بدلاً من الرموز.

للحافظ رجب البُرسي، وتنبيه الخاطر لورّام بن عيسى، وعوالي اللئـالي (او غوالي اللئالي) لابن أبي جمهور الاحسائي.

وناقش المجلسي طريقة نقل الاحاديث من حيث الاسـناد والارسـال وضعف طرق الرواية او قوّتها في بعض الكتب كتحف العقـول، ووقعـة صفّين وتفسير الفرات، وتطرق الى عدم الحاجة لبعض الكتب بسبب أخـذ الموضوع من المصادر المتقدمة مثل: ربيع الشيعة وكتب القاضي نـور الله الشوشتري، واشار الى طريقته واسلوبه في نقل الروايـات مـن كتـب كمشارق الأنوار وعوالي اللئالي، وتحدث المجلسي ايضاً في التحقيق بشـأن مذهب عدد من المؤلفين كالقاضي نعمان المصري وابو اسـحاق الثقفـي (مؤلّف الغارات) وذكر في كل ذلك معلومات قيّمة عن الرجال والكتـب والمؤلفات.

ولمزيد من التوضيح نذكر بعض النماذج:

* **دعائم الاسلام** كان ينسبه بعضٌ الى الشيخ الصدوق ويبـدو مـن كلام المجلسي ان معظم معاصريه كانوا يظنون ذلك. بيد أن المجلسي يذكـر بأن مؤلّف هذا الكتاب هو القاضي نعمان المصري. ثم يدّعي أن الكـاتب المذكور كان مالكياً ثم أصبح شيعياً امامياً.[٣٦]

---

[٣٦] – البحار، ج ١، ص ٣٨، وسعى المحدّث النوري في خاتمة مستدرك الوسائل أن يثبت ــ عبر تقديم الادلّة والقرائن المتعددة ــ ان القاضي نعمان المصري إمامي، لكن الحق هو أنه شيعي اسماعيلي وقد تولّى القضاء في مصر في عهد الفاطميين. وبالطبع فان كتابه يعتبر من المصادر المقبولة عند فقهاء الامامية سابقاً وحالياً.

* **مصباح الشريعة** ينسب الى الامام الصادق (عليه السلام) وينظر اليه علماء أفذاذ كالسيد رضي الدين علي بن طاووس بكل احترام وتقديـــر[٣٧] لكننا نجد المجلسي يطرح شكه في الموضوع ويرى أن عدم تطابق وتشـــابه مضامينه وأسلوبه مع سائر كلمات الأئمة قرينة على نفي هذه النســـبة الى الامام الصادق (ع). ويشير الى أن الشيخ الطوسي لم يكن يثق بروايـــات الكتاب جميعها ثقة كاملة.[٣٨]

* **كتاب قرب الاسناد** مع أنه كان يُنسب الى (أبو جعفر محمد بـــن عبد الله الحميَري) فان لدى المجلسي ظنّاً قوياً بأن هذا الكتاب من تـــأليف أبيه (البحار، ص ٧) ويورد الشيخ أغا بزرك الطهراني دلائل وقرائن تـــدل على صحة رأي المجلسي هذا.[٣٩]

* **مشارق الأنوار** للحافظ البُرسي يرى المجلسي أنه يحتوي على امـــور تتصف بالغلوّ ومختلط فيها الصحيح وغير الصحيح ونظراً لوجـــود هـــذه الموضوعات في الكتاب، فانه يحتمل وقوع المؤلّف في خلط المباحث والغلـوّ في حق الأئمة ولذلك يكتفي المجلسي بنقل الروايات التي تنسجم مع مـــاهو

---

[٣٧] – البحار، ص ١٥ [لم يشر المؤلف الى رقم الجزء من البحار ــ المترجم] (يقول: إن هذا الكتاب يشير الى طريق السير الى الله ويتضمن أسراراً لطيفة).

[٣٨] – البحار، ص ٣٢ [لم يذكر المؤلف رقم الجزء من البحار ــ المترجم] (يعتقد المجلسي أن مصباح الشريعة من آثار الصوفيين ومشتمل على كثير من اصطلاحاتهم).

[٣٩] – الذريعة، ج ١٧، ص ٦٧ – ٦٨.

موجود في المصادر المعتبرة لدى الشيعة (الاصول المعتبرة) [البحار، ص ١٠].

* **تحف العقول**: يقول عنه المجلسي انه نظراً لكونه يتضمن مواعظ ومسلّمات أخلاقية، فان رواياته ليست بحاجة الى سند، علاوة على أن انتظام مضامين الكتاب يدل على علو مترلة المؤلف وسموّها.[٤٠]

* **طب الأئمة**: كرر المجلسي نفس رأيه الذي طرحه حول تحف العقول بشأن هذا الكتاب أيضاً، فهو يعتقد انه خلافاً لشهرته لا يعد من الكتب المعتبرة ويوضح أنه في الأدعية والروايات الطبية ــ خلافاً للأحكام الفقهية ــ لا يحتاج الامر الى سند قوي.[٤١]

وهكذا الامر بالنسبة لكتاب (**طب النبي**) الذي يقول عنه المجلسي: انه بالرغم من كون معظم أحاديثه مروية من طُرُق غير شيعية، فانه متداول بين علمائنا.

ويشير الى ماورد في (**آداب المتعلمين**) للخواجة نصير الدين الطوسي ويستشهد بما قاله عن كتاب طب النبي "ان على المتعلّم أن يعرف شيئاً عن

---

[٤٠] - البحار، ص ٢٩ (انظر البحث حول سند هذا الكتاب وعدم صلاحية الاستناد الى استنباطاته الفقهية المستندة الى الروايات الواردة فيه، كتاب مصباح الفقاهة ج ١، ص ٥ - ٨).

[٤١] - البحار، ص ٣٠ (هذا الرأي للمجلسي يستحقّ التأ مّل، وقد ورد في كتب أُصول الفقه أيضاً باب عنوانه "التسامح في أدلّة السُنَن").

الطب وأن يتبرك بالأحاديث الواردة في كتاب طب النبي من تأليف أبـــو العباس المستغفري".[٤٢]

واشاراته الاخرى تخص كون النسخ التي اعتمد عليها واستفاد منـــها موثقة. فكثير مما جمعه (من الكتب) نسخ كانت قد وجدت وعثر عليـــها (في الطريق)[٤٣] وفي ضوء هذه المشكلة نجد المجلسي يهتم بتقديم أدلة وقرائـن على صحة نسبة هذه الكتب، كقدم النسخ، ووجود العلائم الدالة علـــى قراءتها لدى المشايخ، ووجود إجازات عن المؤلف او الآخريـــن في هـــذه النسخ وبالتالي كتابة النسخة بخط المؤلف او العلماء المشهورين، كلها يمكن أن تكون قرينة على صحة نسبة هذه النسخ الى مؤلفيها. ومنها: إكمـــال الدين للصدوق[٤٤] وقرب الاسناد للحميري[٤٥] وأمالي الشيخ الطوســـي[٤٦] وتحف العقول لابن شعبة الحراني (البحـــار، ص ٤٣)والمســـتدرك لابـــن

---

[٤٢] - البحار، ص ٤٢ (علينا ان لاننسى أن الباحثين برهنوا بأن آداب المتعلمين ليس للخواجه نصير الدين الطوسي).

[٤٣] - حول هذا المصطلح راجع الفصل ٦ (المنزلة العلمية للمجلسي وآراؤه ـ فقرة: المجلسي والحديث).

[٤٤] - البحار، ج ١، ص ٢٦ (كتبنا هذا الكتاب اعتمادا على نسخة قديمة قريبة من عصر المؤلف) كما قال المجلسي.

[٤٥] - البحار، ج ١، ص ٢٦: "كتبنا قرب الاسناد نقلا عن نسخة قديمة كانت قد استنسخت عن نسخة بخط ابن ادريس الحلي".

[٤٦] - البحار، ج ١، ص ٢٧: "رغم أن الأمالي لا يصل الى شهرة باقي كتب الشيخ الاخرى: لكننا عثرنا على نسخة قديمة جدا منه ترى عليها إجازات كبار العلماء".

بطريق[٤٧]، والاصل لزيد الزرّاد (البحار، ص ٤٣) والغارات للثقفي (البحار، ص٣٧).

وهناك نقطة جديرة بالتدقيق والامعان وهي ان عدداً من مصادر البحار قد حُفِظَت بالاعتماد على هذا الكتاب (البحار) وبفضل اعتماد المجلسي عليها في تأليفه الكتاب المذكور، وحسب، وبعضها الآخر بالرغم من وجود نُسَخ متعددة منه فان المجلسي غالباً ما اعتمد على النسخ الموثوقة والمعتمدة والمتقدمة.

وقد اعتمد المحدث المتتبع الحاج الميرزا حسين النوري (المتوفى عام ١٣٢٠) في تدوين (مستدرك الوسائل) على بحار الأنوار في نقل بعض الروايات عن مصادرها، نظراً لكونه لم يحصل على تلك المصادر نفسها، واشار الى ذلك في مصادره.[٤٨]

وهكذا الامر بالنسبة للمحدّث المعاصر للمجلسي الشيخ الحر العاملي الذي اعلن ثقته بمنقولات ومرويات المجلسي في وسائل الشيعة واثبات

---

[٤٧] - المصدر السابق نفسه: "توجد نسخة قديمة منه عندنا هي ــ بظن قوي ــ بخط المؤلّف".

[٤٨] - مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٢٩١، والذريعة، ج ٣، ص ٢٦ (كتب أغا بزرك الطهراني: مع أن أُستاذنا العلاّمة، المحدّث النوري لديه مكتبة نفيسة فانه لم يحصل مطلقاً على بعض المصادر واضطر لتأليف مستدرك الوسائل بمراجعة بحار الأنوار).

الهداة، وعندما لم يحصل على بعض الكتب التي احتاج اليها فانه كان ينقل عن (البحار) ما يريد.[49]

وفي رسالة تلميذ المجلسي اليه، صرح أَن أُستاذه استفاد ـــ علاوة على رسائل وكتب القدماء ـــ من أحاديث كثيرة بخط علماء كبار كابن القمي، والشيخ البهائي والشهيد الاول. ويصف كاتب الرسالة تلك الاحاديث بأنها (**الاحاديث الوجاديات**) كما انه نقل أحاديث عن طريق الاجازة (**الاحاديث الاجازيات**) والسَّماع (**الاحاديث المسموعة**) عن أبيه والآخرين (البحار، ج ١٠٧، ص ١٧٣).

ثانياً ـــ مصادر الشرح:

وبعد إتمام بعض المجلّدات، قرر المجلسي كتابة شرح وتفسير للآيات التي يتضمنها كل باب، وقام بهذا الامر في ما يخص المجلدين الاولين. ولهذا السبب فان عدداً من المجلّدات صدرت وهي تحتوي على آيات ذات تفسير واخرى غير مفسّرة.[50] وقد حدّد هذا القسم في كل باب تحت عنوان التفسير، وكما مرّ لاحقاً، فان المجلسي اعتمد بشكل أساس على **مجمع البيان للطبرسي ومفاتيح الغيب للامام الفخر الرازي**، واستفاد منهما.

---

[49] – إثبات الهداة، ج ٣، ص ٥٨١ – ٥٨٦، ومقدمة محمد باقر البهبودي لكتاب البحار ص ٢٣.

[50] – البحار، ج ١٠٢ (الفيض القدسي)، ص ٣٧.

وبالطبع فانه راجع تفاسير اخرى واستفاد منها أيضاً، ومن جملتها **أنوار التنزيل للبيضاوي، والدر المنثور للسيوطي، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري**، كذلك.

وفي شرح الاحاديث (الذي يشتمل على تبيان وتوضيح الكلمات والاصطلاحات وتفسير العبارات المعقدة او الغامضة، والتعريف بالطرق والمذاهب، ونقل الوقائع والاحداث التاريخية، وتبيان واستعراض الآراء الكلامية والفلسفية، ودراسة الآراء الفقهية، ونقل الاخبار والروايات من المصادر الروائية الحديثية العامة التي تورد في تأييد او توضيح حديث من الاحاديث) استفاد المجلسي من المصادر الاصلية لكل موضوع.

وأورد هذه المواضيع والتوضيحات في فصول او فقرات تحت عنوان (إيضاح، تنوير، تذنيب، تذييل، تكملة، فذلكة، غريبة، أقولُ) وفي أحيان كثيرة استخدم كلمة "بيان" أكثر من غيرها.

وذكر المؤلف هذه المصادر في الفصل الاول من مقدمة البحار (ج ١،ص ٢٤ – ٢٥) واشار الى أسمائها، كما أن اسماء بعضها الآخر تُعرف من خلال مراجعة النص. ومنها:

– صحاح اللغة للجوهري، وقاموس اللغة للفيروزآبادي، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وتهذيب اللغة للأزهري ومجمع الامثال للميداني، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، **في الأدب.**

– الصحاح الستّة لدى أهل السنة، وجامع الاصول لابن الأثير، ومسند احمد بن حنبل، ومطالب السؤول لابن حجَر (فتح الباري)، وشرح

القسطلاني وشرح الكرماني على صحيح البخاري، وشرح النووي وشرح صحيح مسلم، والشفاء للقاضي عياض، وشرحه، في **القضايا والمسائل الحديثية والروائية وشرحها**.

- والكامل في التاريخ لابن الاثير، وتاريخ الطبري، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني، والمنتظم لابن الجوزي، وعرائس المجالس للثعالبي (المعروف بقصص الانبياء) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، في **الأبحاث والموضوعات التاريخية**.

- وفيات الاعيان لابن خلّكان، والأغاني لأبي الفرج الاصفهاني، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، في **تراجم الأشخاص**.

- والشفاء لابن سينا، والمبدأ والمعاد له أيضاً، والتحصيل لبهمنيار، والقبسات لميرداماد، والمعتبر لأبي البركات البغدادي[٥١] في **الفلسفة**.

- شرح المواقف للجرجاني، وشرح المقاصد للتفتازاني، والمحصل للفخر الرازي، ونقد المحصل للخواجه نصير الطوسي وشرح العقائد للمحقق الدواني في **الكلام**.

- واحياء علوم الدين للغزالي في **الأخلاق**.[٥٢]

---

[٥١] - أورد الموضوعات الموثوقة والمعتبرة بواسطة شرح المقاصد للتفتازاني.

[٥٢] - كان المجلسي ــ كمعظم علماء الأخلاق ــ متأثرا في توضيح الموضوعات الاخلاقية بالغزالي ويورد أحيانا عدة صفحات من كتاباته نصا او مع بعض التغيير رغم أنه غالبا ما يمتنع عن ذكر اسمه ويكتفي بالقول: قال بعض المحققين. وعلى سبيل المثال: راجع ج ٦٨، ص ٢٦٦ - ٢٧٧ (قال الغزالي: حقيقة التفكر...) ونقل بالمضمون بعض ما جاء في احياء العلوم ج ٤، ص ٤١٢

– والقانون لابن سينا، وقانون المسعودي لأبي ريحان البيروني، وشـــرح التذكرة للبيرجندي، والجامع لابن البيطار (المعروف بمفردات ابن البيطـلو)، وعلل الاشياء لبليناس، وحياة الحيوان للدَميري، وعجـــــائب المخلوقـــات

– ٤١٣، وكذلك راجع ج ٦٩، ص ٢٦٦ – ٢٧٧ (قال بعض المحققين: إعلم أن الرياء مشتقٌ من الرؤية...) حيث نقل جانباً لما ورد في احياء العلوم ج ٣، ص ٢٩٠ – ٣٠٢ وراجع ايضاً الجزء نفسه ص ٣٠٨ – ٣٠٩ (قال بعض المحققين: إعلم أن العجب انما يكون بوصفٍ هو كمالٌ...) وهو منقول من احياء العلوم ج ٣، ص ٣٦٠، وراجع ج ٧٠، ص ٢٥ – ٣٦ (تتمة مهمة: قال بعض المحققين: إعلم أن معرفة ذم الدنيا لا يكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة...) وهو مأخوذ من الاحياء ج ٣، ص ٢١٤ – ٢٢٥ (وقارن بينه وبين الفهم الناقص وغير المعبّر وغير الناضج الذي يوجد في تنبيه الخاطر لورّام بن أبي فراس في هذا البحث).

فقد أورد ورّام أقوال الغزالي بشكل موجز ــ ودون ذكر المصدر ــ في "بحث الدنيا والآخرة". ونرى المجلسي قد أدخل ــ في ختام هذا البحث ــ بعض التغيير على العبارة، بناءً على مبادئه الكلامية. فقد تحدث الغزالي عن "الفرقة الناجية" واعتبرها هي الفرقة السائرة في طريق رسول الله وأصحابه، وأوصى مرة اخرى بوجوب اتّباع نهج النبي والصحابة. بَيْدَ أنّ المجلسي لا يؤمن بهذه الرؤية ولا يرى (حجيّة الصحابة).

وفي المقابل: فانّه يرى وجوب اتّباع الائمة ويؤمن بان السير على نهجهم هو السبيل الوحيد للنجاة، ولذلك نجده يستبدل عبارة "**وهُمُ الصحابة**" عبارة "**أئمّة الهدى**". وكمثال آخر يمكن مراجعة ج ٧٠، ص ١٤٨ – ١٥٠ (قال بعض المحققين: معنى الجاه ملك القلوب) وهو مقتبسٌ من احياء العلوم ج ٣، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.

للقزويني وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري في **الأبواب المختلفة لمجلّد (السماء والعالم)**.

- والترجمة العربية للتوراة والانجيل وكذلك فقرات من التوراة بالعبرية[٥٣] **في تاريخ الانبياء وتاريخ نبي الاسلام (ص)**.

وبعد أن يذكر مؤلف بحار الأنوار أسماء تلك الكتب يضيف: أنه سيتحدث بالتفصيل في المجلد الاخير حول هذه الكتب ومؤلفيها وأحوالهم، إلاّ أنه لم يفعل ذلك، وبالطبع فقد كان المجلسي يذكر بعض النقاط ويشير الى بعض الامور في مناسبتها، في مواضع مختلفة. على سبيل المثال بمناسبة البحث في تفسير الآية ٤٠ من سورة المؤمن، يقول بعد تبيان رأي المتكلمين والمفسّرين:

[أورد البيضاوي ــ في هذا الباب ــ كلا الرأيين ورجح صحة الرأي الثاني، لأنه غالباً ما يتّبع الزمخشري] (البحار، ج ٦، ص ٢١٤).

وفي موضع آخر يذكر قصة أصحاب الرّسّ نقلاً عن **قصص الانبياء** للراوندي الذي نقلها بدوره عن الصدوق، ثم ينقل موضوعاً مطوّلاً في هذا

---

[٥٣] -جاء في رسالة الملاّ ذو الفقار الى المجلسي: انك اوردت فقرات من ترجمة التوراة والانجيل في مواضع من المجلد الخامس... وكذلك أوردت بعض فقرات التوراة العبرية في أحد أقسام المجلد السادس، ونقلته عن شخص ثقة. أظن ان هذا الشخص الموثوق أحد الطبيبين: عبد الله او المسيح (البحار، ج ١٠٧، ص ١٧٢ - ١٧٣).

الشأن عن **عرائس المجالس** للثعلبي. وفي اواسط هـــذا الموضـــوع يقـــول الثعالبي: "قال بعض العلماء" ثم ينقل بالتفصيل ما رواه الراوندي.

ثم يقدم المجلسي توضيحاً لتلك الرواية المفصّلة قائلاً: انه من المحتمـل أن يكون ما ذكره الثعالبي عندما قال "قال بعض العلماء" هو ما ورد في روايـة الراوندي: **فأولاً**: كان الثعالبي قد أورد في كتابه كثيراً من الروايات مـــن المصادر الشيعية بهذا الأُسلوب.

وثانياً: ان طريقة الراوندي في كتابه هي ان يختصر الروايات، حيـــث وجدنا أنه ينقل ــ احياناً ــ عن الصدوق خبراً لكننا لا نجد فيـــه ثلاثـــة أرباعه (البحار، ج ١٤، ص ١٥٩).

والمثال الآخر: إنه ينقل رواية من نهج البلاغة ويشير الى نقطتين حـــول طريقة الشريف الرضي:

الاولى: انه لا ينقل ــ أحياناً ــ اجزاءً من الرواية.

والثانية: إن ما أورده في نهج البلاغة هو الروايات المقبولة عند الشـــيعة والسنة (البحار، ج ٥٥، ص ٢٥٨ و٢٦٦) وهاتان النقطتان لهما الـــدور الاساس في نهج البلاغة.

والنموذج الآخر: رأيه في شأن ابن أبي الحديد. فهو من المعتزلة المحبـين لأمير المؤمنين، وقد درس على يد استاذه الامامي احمد بن طاووس وتـــأثّر به، لكنه اينما صادف في **نهج البلاغة** تعبيرات تعبّر بوضوح وصراحة عــن نظرية الامامة الشيعية أبى أن يقبلها وحاول أن يتأوّلها. وقد أدرك المجلســـي

وعرف هذه الخصوصية لدى ابن أبي الحديد، وقال: "إن طريقة ابن أبي الحديد هي أن يأتي بالحق ثم عنه يحيد"[٥٤]

وفي إجازاته يذكر المجلسي كذلك معلومات مفيدة حول الكتب التي تمثل في الغالب مصادر بحار الأنوار. فمثلاً في الاجازة التي كتبها في المشهد الرضوي لأحد تلاميذه وذكر فيها سعة اجازته وروايته[٥٥] صرّح أن طرق اجازته تعود الى كثير من مؤلفي الكتب، وذكر في هذه الاجازة أقواها وأوثقها.

وأوضح في هذه الاجازة أوضاع الكتب المختلفة ونسبتها الى مؤلفيها، وفي مجال تصحيح بعض التصورات ـــ التي وجدت لها من باب المصادفة اليوم ـــ بعض الأنصار والمؤيدين.

وفضلاً عن ذلك، فقد أورد نصوص بعض الاجازات التي منحها له بعض كبار العلماء المعاصرين له، كالملاّ محمد طاهر القمي الذي أجازه بنقل كل مروياته، من القراءة والسماع والاجازة، وتوجد في هذه الاجازة التي تتصل بكبار علماء الشيعة، توجد أسماء أشخاص كابن قولويه،

---

[٥٤] – البحار، ج ٣٢، ص ٣٧.

[٥٥] – البحار، ج ١٠٧، ص ١٥٦: "أجزته أن يروي كل ما لديّ اجازته وكل ما صحت لدي روايته، أي جميع الآثار والمؤلفات التي كتبت في العالم الاسلامي، سواء مؤلفات الامامية او العامة، وهي تشمل جميع فروع العلوم كالتفسير والحديث والأدعية والكلام والاصول والفقه والتجويد والمنطق والصرف والنحو واللغة والمعاني والبيان".

والعلامة الحلّي، وفخر المحققين، والشهيد الثاني وصاحب المعالم حسن بن زين الدين (البحار، ص ١٢٩ - ١٣١).

ومن ضمن الاجازات التي أوردها: إجازة الشيخ الحر العاملي، والملا محسن الفيض الكاشاني والميرزا محمد الاسترابادي أيضاً (البحار، ص ١٠٤، و١٢٤ و١٢٥ -١٢٨).

في مواضع اخرى، يذكر المجلسي سلسلة أسناده المتصلة ببعض الآثار المهمّة او خصائص النسخة الَتي يعتمد عليها وينقل منها. فمثلاً حول الصحيفة السّجادية يذكر أولاً طريق اجازته ثم يتحدث عن خصائص النسخة التي عثر فيها على رواياته وأحاديثه ويقول ان هذه النسخة هي بخط جد الشيخ البهائي، وقد نقل عن نسخة محمد بن مكي ويستمر بهذا الشكل حتى نسخة ابن ادريس الحلي (البحار "لم يذكر المؤلف رقم الجزء"، ص١٦٤).

*** طريقة نقل الموضوعات**

إن التزام المجلسي بذكر مصادر موضوعات النص والشرح في كل أنحاء وأجزاء كتابه بحار الأنوار مشهود، بل إنه لم يترك هذا الاسلوب حتى في نقل مسموعاته من معاصريه واساتذته. فمثلاً عندما يشرح عبارة من حديث ينقله يقول المجلسي: "وقد أجاب بعضُ مَن عاصرناه...".

وبشكل عام فان المجلسي يندر ان يذكر أحد معاصريه بالاسم[٥٦] وغالبا ما يصفهم بالقول " بعض المعاصرين"، "بعض الأزكياء"، "بعض المحققين من المعاصرين"، "بعض الافاضل المدققين ممن كان في عصرنا" و"بعض من عاصرناه". كما أنه لا يذكر من أسماء القدماء إلا ماندر. واسلفنا الاشارة فيما سبق الى نموذج (الغزالي) "البحار، ج ٢، ص ٢٨٤".

ومن المصاديق الاخرى الملا محمد أمين الاسترابادي. فقد كان يسميه المجلسي " بعض المتأخرين"، وانتقد استشكالاته على الفقهاء قائلا انها باطلة (البحار، ج ٢، ص ٢٨٤).

وفي مبحث (البداء) قدم المجلسي بالمناسبة توضيحا عن الوافي للملا محسن الفيض الكاشاني ووصفه بـ "بعض الأفاضل" (البحار، ج ٤، ص ١٢٨) كما سمى الملا رفيعا النائيني "بعض المحققين" (البحار، ص١٢٩) ونقل عن أحد معاصريه كان قد نقل عن أب المجلسي له شرحا لحديث، فوصفه المجلسي بالقول "بعض الأفاضل الكرام" (البحار، ص ٥٦).

وحول أحاديث المتن، نرى ان المجلسي وفضلا عن ذكر المصدر، فانه من أجل ان يجتنب "ارسال" الحديث أخذ يذكر سند الحديث[٥٧] وطرح

---

[٥٦] – في باب "نوروز وتعيينه" يذكر المجلسي رواية عن "بهاء الدين علي بن عبد الحميد النسابة" ينقل ان هذا الشخص كان حيا في زمان تأليف البحار وكتب المجلسي عنه "دامت فضائله" (البحار، ج ٥٦، ص ١١٩).

[٥٧] – المجلسي انتقد مستنسخي تفسير العياشي لكونهم حذفوا السند من الاحاديث. ويعتبر تفسير العياشي من اهم مصادر الشيعة الامامية المأثورة ونسب علماء علم الرجال التفسير المذكور للعياشي. يقول المجلسي أنه رأى نسختين من هذا

الاختلافات بين السند والمتن في المصادر المختلفة، ويذكر احياناً الرأي المرجّح عنده (البحار، ج١، ص٤٦).

وفي بداية الفصل الثالث من المقدمة كتب المجلسي:

[ولو كان في السند اختلاف نذكر الخبر من أحد الكتابين ونشير الى الكتاب الآخر بعده ونسوقه الى محل الوفاق ولو كان في المتن اختلاف مغير للمعنى نبينه] (البحار، ج١، ص٤٦)

وفي حديث آخر يرويه الشيخ الصدوق في التوحيد تُشاهَد هذه العبارة (بما معناه):

[سألت الصادق (عليه السلام): هل حمد الله العباد على الآثام والمعصية (وهل هم مجبورون عليها)؟ أجاب الامام: ان الله أقهر من أن يقوم بهذا العمل].[٥٨]

هذه العبارة يمكن توضيحها مع قليل من التكلُّف، وهو ما انتهجه المجلسي نفسه، لكنه وبعد أن قدم التوضيح اللازم لمعنى الحديث قال: يبدو

الكتاب وقد حذف المستنسخون أسناد الاحاديث منها من أجل تقليل حجم الكتاب واختصاره، وقد اعتذروا في بداية النسخة بعذر هو أسوأ من الفعل نفسه (البحار، ج١،ص٢٨).

[٥٨] - التوحيد، ص ٢٦٢ (بالمعنى).

أنه قد حصل في هذه الرواية تصحيف، وبدلاً من كلمـــة "**أرأف**" وردت كلمة "**أقهر**".[٥٩] وفي موضع آخر يورد رواية من تفسير العياشي ثم يـــورد توضيحاً من الطبرسي في تفسير **مجمع البيان** ويستنتج أنه حصل سقط جزءٌ من العبارة في نسخة تفسير العياشي التي عنده.[٦٠]

ومع ذلك، فمن أجل الاجتناب عن اطالة الروايات فانه يرمز أحيانـــاً للرواة الموجودين في السند ذي الأسماء الكثيرة وأوردها في الفصل الرابـــع للمقدمة بشكل كامل، فقال:

[ان أكثر المؤلفين دأبهم التطويل في ذكر رجـــال الخبر وبعضهم يسقطون الاسانيد فتنحط الاخبار بذلك عن درجة المسانيد فيفوت التميـــيز بـــين الأخبار في القوة والضعف، والكمال والنقــص.. فاخترنا ذكر السند بأجمعه مـــع رعايـــة غايـــة الاختصـار، بالاكتفاء عن المشاهير بذكر والدهـــم او لقبهم أو محض اسمهم خالياً عن النســـبة الى الجد والاب وذكر الوصف والكنية واللقـــب. وبالاشارة الى جميع السند ان كان ممـــا يتكـــرر

---

[٥٩] – البحار، ج٥، ص ٥٣ (قارنوا هذا التوضيح للمجلسي مع رواية اخرى في التوحيد ص٣٦٠).

[٦٠] _ البحار، ج١٤، ص١٩٣. ويراجع نموذجان آخران في ج٧، ص١٣١ و١٩٢ أيضاً.

كثيراً في الأبواب برمز او علامة واصطلاح ممهد في صدر الكتاب] (البحار، ج١، ص٤٨ – ٦١).

ثم ذكر نماذج الاختصار في السند واسماء الرواة. وطبعاً فانه في الموضوعات والبحوث الفقهية، تخلى عن هذا الاسلوب وفي ضوء أهمية السند والحاجة الماسة اليه، ولذلك فقد أورد كل السند كاملاً بصورته الاصلية التامة (البحار، ج١، ص٤٨).

وقد درس عدداً من الروايات من حيث السند والنص وأشار الى كون مضمون الحديث غريباً او أن سنده ضعيف او ان مضمونه لاينسجم مع البديهيات والامور الدينية المتفق عليها، وغير ذلك.

فمثلاً اَورد حديثاً من كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق، وبعد التوضيحات التي كتبها للحديث قال: "ان نص هذا الخبر قد تعرض للتحريف ووقع فيه سقوط ونقص و لم نورد نحن ـــ اضطراراً ـــ بعض اجزائه".[٦١]

ومرة أورد رواية من قصص الأنبياء للراوندي وأوضح ان مثل هذه القصص تعود الى وهب بن منبّه ولا يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها

---

[٦١] – البحار، ج٧، ص٢٢١ (ووعد بأن يأتي بنص هذا الحديث كله مع شرح ما فيه من مضامين في باب "صفات الشيعة" ولذلك كتب في المجلد ٦٥ ص١٧٠ – ١٧٥ النصّ الكامل له، مع تسليط الضوء على عباراته، وقال في الختام مرة اخرى، "ان في هذا الحديث اشكالاً كبيراً وانني لم أجده في أي كتاب آخر لكي أصحّحه بموجبه، كما وجدت فيه تصحيفاً وحذفاً في العبارات".

(البحار، ج١٤، ص ٣٧٠). وفي موضوع خلق العالم، أورد رواية من الأخبار المسلسلات ثم قال:

[هذا الحديث ضعيف من حيث المضمون ـ ومخالف للقول المشهور وسائر الاحاديث، ولذلك فلا ينبغي الاعتماد عليه] (البحار، ج٥٤، ص١٠٤).

ونقل عن كتاب معثور عليه (وجده في مكان ما) من تأليف القدماء رواية طويلة منسوبة الى الشيخ الصدوق. وبعد انتهاء الرواية وتوضيح المجلسي لها نقرأ هذه الجملة:

[هذا الخبر غريب جداً (مدهش وبعيد عن التصور) وأنا لا أعتمد عليه ولا أثق به، لأنه ليس مأخوذاً من اصل معتبر، بالرغم من كونه منسوباً الى الصدوق] (ج٥٤، ص٣٤١).

وبهذا الاسلوب كتب في ختام بحث العوالم:

[ان معظم الأخبار الموجودة في هذا الصدد فيها مواضيع غريبة وعجيبة وبعضها غير معتبرة السند، كالروايات الموجودة في كتب البُرسي وفي كتاب جامع الاخبار[٦٢] وبعضها معتبر أيضاً

---

[٦٢] – جامع الاخبار ـ وكما أشار المجلسي ـ منسوب الى الشيخ الصدوق وهذا خطأ، ويوضح المجلسي أن مؤلف هذا الكتاب يروي عن الشيخ الصدوق بعد

ومنتخب من كتب القدماء. وطبعا فان ما جـــاء
في هذه الاحاديث ليس بعيدا عن قدرة الله تعالى]
(ج٥٤، ص٣٤٩).

والاهم من ذلك، ان المجلسي يمتنع أحيانا حتى عن نقـــل الروايـــات، بسبب عدم ثقته بها وعدم اعتماده عليها:

[في أحد الكتب القديمة، وجدت روايات طويلـة
في موضوع الملاحم ولكن بسبب عدم الثقـــة في
سندها فقد صرفت النظر عن نقلها، بالرغم مـــن
أن بعض هذه الروايات نقلت عن الامام الصادق
(ع) وبعضها رويت عن دانيال].[٦٣]

وبذلك نجد أن المجلسي يدقق في الامور ويمعن النظر بكـــل جديـــة في توثيق الروايات، ويتيح امكانية الدراسة النقدية والحصول علـــى المصـــادر

خمسة رواة او خمسة اعقاب (وسائط) ويحتمل ان يكون الكتاب من تأليف أبي الحسن علي بن سعد الخياط الواعظ (ج١، ص١٣ -١٤). وفي موضع آخر، يذكر المجلسي بأن هذا الكتاب من مستوى ونمط عوالي اللئالي وأمثاله (ج١،ص٣١).

٦٣ - البحار، ج ٥٥، ص٣٣٥. وفي ج٥٧، ص١٢١ نقل روايتين من جامع الاخبار والدر المنثور للسيوطي، ووصفهما بأنهما ضعيفتان من حيث السند والمضمون.

الاصلية والمقارنة أحيانا بين الاصل والفرع.[٦٤] وفي الفصل السادس سوف نطرح نتائج أخرى لهذه الطريقة وهذا الاسلوب ونؤكد أن منهج المجلسي دليل ساطع وبرهان قوي على أن علماء الشيعة لم يكونوا أبدا يريدون "نقل الروايات المختلفة" او "تلفيق المواضيع المزيفة ونسبة الاقوال المكذوبة الى الأئمة". وان نقل الروايات المختلفة هي مقدمة لدراستها النقدية وامعان النظر فيها.

*** بحار الأنوار من منظار الآخرين**

طرحت حول بحار الانوار ـ كما طرحت بشأن مؤلفه المجلسي نفسه ـ وجهات نظر مختلفة بين مؤيد ومخالف. وقد أشير مرارا الى أن هذا الكتاب كان منذ زمن تأليفه محل اهتمام وموضع عناية، وغالبا ما كان مقبولا، ولكن من خلال ما ذكره المجلسي في مقدمة الكتاب يمكن ادراك أنه كان هناك أشخاص في ذلك العهد أيضا يحملون نظرة سلبية عن هذا الكتاب (ج١، ص٥) بيد أنه توجد تعابير وتصريحات لكثير من المؤلفين والكتاب تدل على تقدير وتثمين هذا الكتاب العظيم الذي يعتبر ـ من حيث اشتماله على معظم او جميع مرويات الشيعة الامامية ـ فريدا ولا مثيل له، بل ويعد في وسط الشيعة موسوعة احاديث وروايات لم يكتب

---

[٦٤] - استند مصححو الطبعة ذات الـ ١١٠ مجلدات الى مصادره في تصحيحه وراجعوا كثيرا منها.

مثلها بعد و لم يؤلف كتاب من مستواها ونمطها، وفي الحقيقة أنه يوصف بدائرة معارف الشيعة او موسوعة التشيع.[٦٥]

وفي رأي **الشيخ الحر العاملي** فان التبويب والتقسيم الموضوعي الجيد للكتاب وشرح مشكلات الأخبار، تعتبر من ابرز خصائص هذا الكتاب الكبير.[٦٦]

اما **المحدث النوري** فانه يلفت النظر في كتابه الآخر الى أن المجلسي قام بشرح وتبيان الاحاديث ـــ واحيانا ـــ تهذيبها والتحقيق فيها وحولها، وقال: ان كثيرا من النكات والامور المذكورة في البحار لا توجد في غيره من الكتب.[٦٧]

وفي الذريعة ورد هذا الادعاء أيضا. والاهم من كل ما ذكر هو ما ورد في الرسالة التي بعثها تلميذ المجلسي اليه:

[من خصائص بحار الانوار هو أن شهرته

واعتباره آخذة في التزايد وكلما مضى زمان

[٦٥] - جامع الرواة، ج٢،ص٥٥٠ - ٥٥٢، وكشف الحجب والاستار، ص٧٦ - ٨١، وبحار الأنوار (الفيض القدسي) ج١٠٢، ص٢٨، والذريعة ج٣، ص١٦، و(اسلام ورجعت) أي الاسلام والرجعة، ص٥٥ و(مهرتابان) أي الرحمة المشرقة، ص٣٥، و(تاريخ ادبيات در ايران) أي تاريخ الادب في ايران ج٥، القسم الاول، ص٢٦٠.

[٦٦] - أمل الآمل، ج٢ـــ ص٢٤٨.

[٦٧] - دار السلام، ج٢، ص٢٣٧. ذكرنا في الصفحات الماضية بعض التحقيقات والآراء النقدية للمجلسي حول الاحاديث.

اتضحت مكانته وتبينت مترلته وعلا شـــأنه.... ومضامينه ستكون مفيدة حتى في عـــالم الـــبرزخ والآخرة وفي الجنة، واولئك الذين يهتمون بالملاذ المعنوية والروحية، بالاضافة الى اللذات الجسمية، سينتفعون من هذا الكتاب هناك أيضا].[٦٨]

ويبدو أن هذه المزايا والخصائص واحاطة المؤلف بالحديث والروايـــــة ومقدرته على معرفة الصحيح من السقيم أدت الى ان يكتسب البحار مترلة سامية وشأنا عاليا، حتى أن بعض الأخباريين تحدثوا عن كون جميع مروياته معتبرة،[٦٩] مما حمل عبد العزيز الدهلوي ـــ بعد مشاهدته مترلـــة المجلســـي وعلو مكانته ـــ ليقول مبالغا:

[من الروايات السابقة التي اخضعـــها المجلســـي للاختبار والتحقيق وأمعن فيها النظر واعتبرهـــا صحيحة دقيقة، فصارت عندهم (عنـــد علمـــاء الشيعة) بحكم الوحي].[٧٠]

---

[٦٨] - البحار، ج١٠٧، ص١٧٩ (قال ملمحا بأن كتابي الوافي ووسائل الشيعة لا يضاهيان ـــ بأي شكل من الاشكال ـــ البحار، ولا تقاس بفوائده).

[٦٩] - الحدائق الناضرة، ج١، ص٢٥: عبارة الملا ذو الفقار في رسالته الى المجلسي توهم بذلك أيضا (البحار، ج١٠٧، ص١٧٩).

[٧٠] - التحفة الاثنا عشرية، ص ١٠٨.

هذا القول بعيد عن الواقع طبعا، وليس هناك بين الشيعة شـــخص او كتاب يتمتع "بالحجية المطلقة" وأن اجلال الاشخاص واحترامهم لايـــؤدي الى القبول المطلق والكامل بكل آرائهم واقوالهم.

وبالاضافة الى ذلك، فان بعض العلماء كانوا يوجهون انتقادات مـــن بعض النواحي الى بحار الأنوار. واهم هذه النواحي امران:

الاول:

وجود روايات ضعيفة بل وغير صحيحة في هذه الموسوعة الروائية.

والثانية:

وجود بعض الشروح والتوضيحات للأحاديث والروايـــات تتضمـــن بعض الاشكالات.

فقد كان **السيد محسن الامين العاملي** يرى ان هذا الكتـــاب ونظـــرا لاحتوائه على الغث والسمين مـــن الروايـــات يحتـــاج الى تهذيـــب. وأن "توضيحات وشروح" المجلسي هـــي الاخـــرى مكتوبـــة علـــى ســـبيل "الاستعجال" ومن هنا فهي تفتقد الفائدة.

اما **العلامة الطباطبائي** (ره) فانه يؤكد على ان المجلسي كان ذا بصيرة واجتهاد في فن الحديث والروايات، بيد أنه وبسبب عدم سعة اطلاعه علـــى بعض القضايا الفلسفية ارتكب أخطاء واشـــتباهات في بعـــض الشـــروح والبيانات التي قدمها في الكتاب مما قلل من قيمة واعتبار كتابه.[٧١]

---

[٧١] - أعيان الشيعة، ج ٩، ص ١٨٣.

وفي إحدى حواشيه على بحار الأنوار[٧٢] يدعي أن المجلسي ـــ وبسبب عدم اطلاعه الكافي على البحوث والموضوعات الفلسفية ـــ فقد ارتكب خطأ في شرح بعض الروايات والاخبار الغامضة.[٧٣]

كما أن اناسا آخرين قالوا إن الهدف الاصلي للمجلسي من تأليف البحار حفظ آثار الشيعة وجمع رواياتهم واخبارهم في مجموعة مبوبة موضوعيا. وحسب قول هؤلاء فان (**البحار**) بمثابة (**مكتبة شاملة**) وبالطبع فانها تضم أنواع الآثار والمضامين.[٧٤]

وفي الواقع أن هذا الرأي هدفه الدفاع عن بحار الأنوار وينتقد الرأيين المفرط والمفرط:

- الرأي الذي يؤيد كل ما جاء فيه ويستحسنه.
- والرأي الذي يفند كل ما يتضمنه ويعده عديم الفائدة والقيمة.

اما **عبد الوهاب** فريد فهو الآخر يطرح هذا الرأي ويقول: ان المجلسي كان في مقام الجمع والتدوين لجميع أحاديث وآثار أئمة الشيعة و لم يكن يريد الانتخاب من بينها واختيار الجيد او الصحيح منها.[٧٥]

وليس هناك شك او ريب في أن المجلسي كان في البداية ـــ ينصب اهتمامه ويتمركز سعيه على جمع المصادر الشيعية، لكن ما حدث يدل ـــ

---

[٧٢] - (مهرتابان) أي الرحمة المشرقة، ص٣٥.

[٧٣] - بحار الأنوار، ج١، ص١٠٠ و١٠٤ (الحاشية).

[٧٤] - الكلام يجر الكلام، ج١، ص٣٢ - ٣٤، و(كشف اسرار) ص٣٠٩ - ٣٢٠.

[٧٥] - (اسلام ورجعت) الاسلام والرجعة، ص٥٥.

بوضوح ـــ أن الهدف النهائي له لم يكن هذا الامر، وأنه كان يريد تـــأليف كتاب يشتمل على **"مختلف العلوم والحكم والاسرار، ويغني عن جميـــــع كتب الحديث"** (ج١، ص٥).

ونعود ـــ مرة أخرى ـــ الى الرسالة محل البحث ونقرأ رأي مســـــاعد المجلسي ومعينه في هذا الموضوع. وهذا الامر يمكنه ان يبين طبيعـــــة رؤيـــة المجلسي أيضا:

[لابد أن جمع الاحاديث مرجح ومقـــدم علـــى شرحها وبيان مضامينها، لئلا يظن من يقرأ هـــذا الكتاب أن مؤلفه كان قـــاصرا أو مقصـــرا... وهذه نعمة كبيرة لطلبة العلوم الدينية بان يجـــدوا ويطالعوا جميع الاخبار والروايات الواردة بشـــأن موضوع علمي او عملي ديني في محل واحـــد وأن يملكوا نصوص تلك الاحاديث في كتاب واحـــد، لأنهم يستطيعون ـــ عن هـــــذا الطريـــق ـــ أن يدرسوا وضع الخبر من حيث كونه متواتـــرا أو احاديا. ولهذا العمل فوائد اخرى ايضا...

وانك وعدت بكتابة شرح مفصـــــل لهـــذا الكتاب وفي حالات كثيرة أحلت اليه... فلـــــو بدأت بتأليفه الآن وسميته (سقاية الخمـــور مـــن

الشراب الطهور) فما أعظمه من احسان تكـــون قد فعلته...] (ج١٠٧، ص١٧٧ – ١٧٨).

ومن مجموع هذه الآثار يمكن القول:

- ان تجميع المجلسي للآثار والاخبار والروايات في كتاب واحد غالبـــا ما نظر اليه نظرة ايجابية.

- ان تبويب الكتاب واختيار موضوعاته وانتخاب مواضع الاحـــاديث فيه في المحل المناسب، قلما تعرض للانتقاد او انه لم ينظر اليه نظرة انتقادية.

- وجهت انتقادات لوجود احاديث ضعيفة او غير معتـــبرة في بحـــار الانوار.

- ان شروح وتوضيحات المجلسي كانت تهبط الى مستوى "انها عامية" في بعض الاحيان، وقد تعرض لانتقادات من هذه الزاوية.

واذا سلمنا بان الحصول على التعليمات والمبادئ الشـــيعية يســـتلزم مراجعة مصادر هذه التعاليم والروايات، فحينذاك نجد أن خطوة المجلســـي التي خطاها في هذا الطريق عمل كبير وإنجاز ضخم.

وحول التقسيم الموضوعي للكتاب يمكن النظر اليه من زاويتين: تبويب الحديث وتقسيمات العلوم.

فان قارنا بين عمل المجلسي وانجازه من جهة وعمل معاصريه من جهـــة اخرى فلا شك ان تقسيمه وتبويبه يعتبر من افضل التقسيمات والتبويبـــات المماثلة وخاصة انه لم يقم بهذا التبويب والتقسيم بالنسبة لكـــل المعـــارف البشرية وانما عني بأمر القرآن والحديث فحسب.

اما بشأن الاحاديث الضعيفة، فقد قلنا سابقا: ان المجلسي ــ وفي ضوء هدفه الأولي ــ كان عليه أن يمضي في هذا الطريق. علاوة على ذلك فانه هو نفسه كان يبدي رأيه في كثير من الاحيان بشأن ما يورده من الروايات ويتضمن تعليقه نقاطا قيمة.

والاهم من ذلك، لو كان المجلسي يريد أن يكتفي بنقل الصحيح والموثق فقط لكانت النتيجة ظهور مجموعة من الكتب التي تعكس وجهة نظر المجلسي وحسب، ولكان ينبغي ان تتضامن مجموعة من العلماء ويتكاتفوا لتأليف كتاب يماثل البحار.[٧٦]

وسنتطرق الى شروح المجلسي وتعليقاته فيما بعد بشكل مستقل، ونسلط الضوء عليها بالتفصيل.

*** الاقتباسات المختلفة من بحار الانوار**

---

[٧٦] يقول الشيخ الصدوق في التوحيد (ص١١٩) انه كانت لديه روايات نقلها كبار علماء ومشايخ الامامية في تأليفاتهم، وهي من وجهة نظره هو صحيحة ايضا، لكنه ترك هذه الروايات واعرض عن نقلها في كتابه خشية أن يقرأها بعض الناس الجهلة والحمقى فيكذبوها وبالتالي يؤول بهم ذلك الى الكفر في النهاية.

وهذا الكلام الذي قاله الصدوق يصدق على المؤمنين العوام (ممن لا يميزون الجيد من الرديء)، لكن السؤال المطروح هنا هو: هل كان من المصلحة حرمان العلماء من تلك الروايات بأجمعها؟

يقول آغا بزرك الطهراني ان بحار الأنوار ــ وكما توقع مؤلفه ــ غدا نبعا ومنهلا[٧٧] لجميع من جاءوا بعده، ممن يبحثون عن علوم آل البيت (ع). فكل من كان يريد تأليف كتاب جامع للأحاديث كان يستفيد من هذه المائدة الكبرى. **وقد تم تأليف كتب من قبيل: جامع المعارف والاحكام، وحدائق الجنان، ومعارج الاحكام بالاستفادة من البحار.**[٧٨]

وبشأن (**عوالم العلوم**) الذي هو من تأليف الميرزا عبد الله البحراني (تلميذ المجلسي وربما مساعده) يتفق معظم المؤلفين والكتاب بأنه اعتمد كثيرا في تأليفه له على هذا الكتاب القيم والنافع للمجلسي.[٧٩]

حتى المجلسي هو الآخر استفاد من تأليفاته المتأخرة من هذا الكتاب نفسه (البحار)، وعلى سبيل المثال: يعتبر كتاب (**حياة القلوب**) ترجمة لمضامين من المجلدات الخامس حتى السابع من البحار.[٨٠]

وفضلا عن ذلك، فقد كتبت العديد من الشروح والتعليقات على عدة مجلدات من البحار، بعضها كانت تلخيصات له كما ترجمت بعض

---

[٧٧] - بحار الانور، ج١، ص٥: "فيا معشر اخوان الدين.... أقبلوا نحو مأدبتي هذه مسرعين، وخذوها بأيدي الاذعان واليقين.... فيا بشرى لكم ثم بشرى لكم اخواني بكتاب جامعة المقاصد، طريفة الفوائد، لم تأت الدهور بمثله حسنا وبهاء".

[٧٨] - الذريعة، ج٣، ص٢٦.

[٧٩] - الذريعة، ص٢٧، وفهرست الكتب الموجودة في مكتبة مجلس الشورى الوطني، ج٤، ص ٤٤ - ٤٦ وج١٠، ص٧٦٤.

[٨٠] - إيتان كلبرغ في مقالة "بحار الانوار" (ايرانيكا، ج IV، ص٩٢).

المجلدات الى الفارسية والاوردية. وكتبت ملحقات لبعض المجلدات في موضوعاتها، وقام بعضهم بكتابة مستدرك البحار وألفت العديد من الفهارس لهذا الكتاب.

وقد بادر المحدث النوري في الفيض القدسي، **وأغا بزرك الطهراني في الذريعة، ومصلح الدين المهدوي في (ترجمة حياة العلامة المجلسي)** وكذلك مؤلفو قائمة كتب المجلسي بالاشارة الى معظم هذه الكتب والمؤلفات المعتمدة على بحار الانوار.[٨١] ويبلغ عدد هذه المؤلفات ـــ مع الاخذ بنظر الاعتبار بعض الفهارس التي صدرت في السنوات الاخيرة ـــ ما يتجاوز الستين. ومن بينها:

- **الشافي الجامع بين البحار والوافي** / تأليف الملا محمد رضا التبريزي من علماء النصف الثاني للقرن الثاني عشر.
- **درر البحار**/ تأليف ابن أخ الفيض الكاشاني وهو يضم مختارات من أحاديث البحار مع حذف اسانيدها، وطبعا فانه لم يبلغ سوى موضوع المعاد و لم يتجاوزه.
- **حديقة الازهار في تلخيص البحار.**
- **مستدرك الوافي** وهو تلخيص لبحار الانوار.

---

[٨١] - البحار، ج١٠٢، ص٥٥ - ٦٠، والذريعة، ج٣، ص٢٦ - ٢٧، وص٨٢ - ٨٣ وج٦، ص٢٧، وج٢١، ص٤ - ٧، وترجمة حياة العلامة المجلسي (زندكينامة علامة مجلسي) ج٢، ص٢٧٤ - ٣١٦، وقائمة كتب المجلسي، ص٨٧ - ١٦٢.

وكتب المحدث النوري (جنة المأوى) كملحق للمجلد الثالث عشر من البحار، كما ان المرحوم محمد الطهراني كان قد خطط لكتابة مستدرك لكل بحار الانوار، يضم ٢٦ مجلدا، مرتبة وفقا لترتيب البحار نفسه. وقال الطهراني ان المجلد الاخير المشتمل على الاجازات، في غاية النفاسة والقيمة السامية.[٨٢]

وقد تمت ترجمة كثير من مجلدات البحار في الماضي وفي السنوات الاخيرة، من جملتها: عين اليقين وهوترجمة المجلد الاول، وجامع المعارف وهو ترجمة المجلد الثاني، ومجاري الانهار وهو ترجمة المجلد الثامن، ومحن الابرار وهو ترجمة المجلد العاشر.

اما المجلد الثالث عشر فقد ترجم عدة مرات: مرة في القرن الثالث عشر على يد الملا محمد حسن الاروميئي، واخرى على يد الميرزا علي اكبر الاروميئي، والمرة الثالثة على يد العالم المحترم علي دواني، مع التوضيحات والاضافات.

ومن اشهر وانفع الكتب المرتبطة بالبحار والمستمدة منه **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار**، من تأليف المحدث القمي وقد أعد الفهرست الموضوعي للبحار، وقد نقل المحدث القمي نموذجا من الاحاديث او الموضوعات من البحار حول كل موضوع، ولذلك اعتبره بعض الكتاب

---

[٨٢] - الذريعة، ج١، ص١٢٩.

تلخيصا للبحار.[83] ولا يخفى أن المحدث القمي اورد في بعـــض الحـــالات موضوعات لا توجد في البحار نفسه.[84]

وقد نظم سفينة البحار على اساس الطبعـــة القديمـــة مـــن البحـــار، وشخصت علاماته بالحروف الابجدية، وهي غير ذات جدوى في الطبعـــة الجديدة ولا معنى لها سوى التكلف.

ومن هنا، قام المرحوم السيد جواد المصطفوي بتأليف (التطبيق) فحـــل هذا الاشكال وطبق صفحات الطبعة الحجرية مع الطبعة الجديدة ذات المئـــة وعشرة اجزاء.

كما قام العالم الفقيد المرحوم الحاج الشيخ علي نمازي بمعالجة نواقـــص (**سفينة البحار**) وتفاداها في كتاب أسماه (**مستدرك سفينة البحار**) وهـــي تشتمل على عدة مجلدات.[85]

---

[83] – تاريخ الفلسفة في الاسلام، بسعي ميان محمد شريف، المجلد الثاني، ص٤٦٤ (مقالة السيد حسين نصر).

[84] – على سبيل المثال، يراجع ماورد في ذيل مادة (صوف).

[85] – كتب المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي عدة حواش على بحار الانوار وعلى شروح المجلسي ــ في الغالب ــ وكان مقررا أن تضم هذه الحواشي الى الطبعة الجديدة من بحار الانوار، في مواضعها، وهذا ما حصل بالفعل. إلا أنه صرف النظر عنها فيما بعد (مهرتابان ــ كيهان انديشه ــ الرقم ٤٤، لشهري مهر وآبان ١٣٧١ ــ اكتوبر وتشرين الاول ١٩٩٢ ــ مقالة "عقل ودين" للشيخ كديور). ولا بأس أن يشار هنا الى اشخاص آخرين من جملتهم المرحوم آية الله السيد محمد حجت كوه كمري، الذي انجز دراسة مفيدة وكتب

لكن يجدر هنا ان نشير الى ثلاث محاولات ومساع قيمة وهي:

(١) **المرحوم كاظم مرادخاني** الـــذي يتمتــع بتضلــع مدهــش في الاحاديث، ومن جملتها خبرته العجيبة ببحار الانوار. وقد بادر مرادخــاني ـــ ولغرض تسهيل الحصول على الموضوعات اللازمة من البحـــار ـــ الى اعداد فهرستين، تمت طباعتهما بعد وفاة ذلك الفقيد، بجـــهود اصدقائـــه. وهما عبارة عن:

- **المعجم المفهرس لألفاظ عناوين أبواب بحار الانوار.**

- ومعجم آيات بحار الانوار المعنون بـــ **(بحار الانوار في تفسير المأثور للقرآن)**، في مجلدين.

والكتاب الاول يمثل مفتاح عناوين وابواب البحار، حيث اســتقصاها ونظمها على اساس جذرها، وفقا للتنظيم الالفبائي.

وفي الكتاب الثاني أورد جميع الآيات التي تضمنها البحـــار، وفقـــا لترتيبها القرآني.

وفي كلا الكتابين، نجد ان جميع العناوين والارجاعات هي بموجـــب الطبعة ذات المئة وعشرة أجزاء.

(٢) تم تدوين **معجم الفاظ بحار الانوار** من قبل مؤسستين كلا علـــى انفراد، وطبعا ألفت عنهما دراسات وأبحاث انتقادية.

بحثا نافعا حول البحار وسنشير الى بعضها في فصل تحت عنوان (لمزيد من المطالعة).

(٣) **اعداد المعجم اللفظي والموضوعي لبحار الانـــوار** باســتخدام الحاسوب الآلي (الكومبيوتر) تحت عنوان (**مجموعة نور**) وهي تعد مصــدرا كاملا للمعلومات حول أرقام الاحاديث، والروايات المكـــررة، وكيفيــة الترتيب الموضوعي لها.

*** نشر بحار الانوار**

صدرت المجلدات الاولية للبحار تزامنا مع التأليف النهائي واكتمـــال تدوينه، بحيث استنسخت المجلدات ونشر الكتاب ولهـــذا السـبب كـــان المجلسي قد قال انه لا ينبغي اضافة ما عثر عليه من الاشــياء والمواضيـع المستجدة بل تأليف مستدرك للبحار (ج١، ص٤٦) (اذ الالحاق في هـــذا الكتاب يصير سببا لتغيير كثير من النسخ المتفرقة في البلاد).

بيد أنه بعد وفاة المؤلف، قام الملا عبد الله الأفندي بتبييض الكتـــاب ابتداء من المجلد الخامس عشر فما بعده ــ كما كنا قد ذكرنـــا ــ وبعـد سنوات تم نشر الكتاب. ولذلك فان نسخ المجلدات الاخـــيرة لم تشـــهد رواجا كالذي شهدته المجلدات الاولى، حتى ان بعض المجلـــدات لم تكـــن متداولة حتى اوائل القرن الرابع عشر.

وصدرت الطبعة الحجرية والكاملة والمشهورة للكتـــاب في الاعـــوام ١٣٠٣ حتى ١٣١٥ بجهود الحاج الميرزا محمد حسن أمـــين مســؤول دار سك النقود المعروف بـــ (الكمباني) وبعده ابنه الحـــاج محمـــد حســين، باشراف السيد محمد خليل الاصفهاني وبعض المعاونين له في طهران. وهذه

هي الطبعة المعروفة بـــ (طبعة الكمباني). وقبلها كانت قد طبعت مجلــدات متفرقة من الكتاب من بينها:

- المجلدان الاول والثاني عام ١٢٤٨ في الهند.
- والمجلد الثامن في عام ١٢٧٥.
- والمجلد السابع في عام ١٢٩٤.
- والمجلد التاسع في عام ١٢٩٧.
- والمجلدات الاول والثاني والعشرون في عام ١٣٠١ بتبريز.

والطبعة الاخرى للكتاب كانت قد اعدت علـــى اســاس النســخ المخطوطة الموجودة، واقسام كبيرة منها بخط المؤلف نفسه، وبالاستفادة من الطبعات السابقة ومن خلال مراجعة المصادر، طبعا ليس بشكل كـــامل، وصدرت في الاعوام ١٣٧٦ حتى ١٣٩٣هـــ . ق (الموافق للاعوام ١٣٣٦ حتى ١٣٥٣ هـــ . ش) بجهود ناشرين معروفين في طهران.[٨٦] وبتعاون ثلــة من الفضلاء في ١١٠ اجزاء. ثلاثة من هذه الاجزاء تحتوي على الفـــهرس الكامل للبحار وهي الاجزاء ٥٤ و٥٥ و٥٦.[٨٧]

---

[٨٦] - هما دار الكتب الاسلامية والمكتبة الاسلامية.

[٨٧] - ان عدم كون هذه المجلدات في مكانها المناسب جعل الكثير من المطالعين لا يعلمون بوجودها. وخلال تجديد طبع الكتاب مؤخرا، تم نقل هذه الفهارس الى آخر الكتاب ولذلك فان المجلدات ٥٧ فما بعد (من الطبعة الاولى) اصبحت في الطبعات التالية ارقامها أزيد بثلاثة.

اضافة الى ذلك، فان الملحق الذي الفه المحدث النوري للجزء الثالث عشر تحت عنوان (جنة المأوى في من فاز بلقاء الحجة عليه السلام) نقل الى نهاية المجلد الثالث عشر (المطابق للجزء ٥٣ من الطبعة الجديدة).

وفي ختام المجلد الحادي عشر المخصص لحياة الامام الكاظم (عليه السلام) ويطابق في الطبعة الجديدة الجزء ٤٨، الحقت به اجزاء من كتاب (تحفة العالم) للسيد جعفر آل بحر العلوم، وهو حول مدفن أبناء الامام الكاظم والمرقد الرضوي (مرقد الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام) وبعض المعلومات الاخرى.[٨٨]

كما وضعت ترجمة حياة المجلسي بقلم المحدث النوري تحت اسم (الفيض القدسي) قبل بدء مجلد (الاجازات) في البحار وطبعت في هذا المجلد.[٨٩]

ومن المزايا الاخرى للطبعة ذات المئة وعشرة أجزاء العثور على نسخة من المجلد السادس عشر (مباحث الآداب والسنن) بفضل جهود الميرزا محمد الطهراني والشيخ آغا بزرك الطهراني،[٩٠] ثم تمت طباعته.

---

[٨٨] – تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ــ تأليف السيد جعفر آل بحر العلوم (في جزأين) يقوم بشرح مقدمة (كتاب معالم) الدين لحسن بن زين الدين ويشتمل على نقاط مفيدة كثيرة. وما نقل في البحار موجود في الجزء الثاني للكتاب ص١٣ – ٢٠، ٢٣ – ٣٨، و٥٠ – ٥٩.

[٨٩] – في الطبعة الجديدة لبحار الانوار في الجزء ١٠٢ وفي الطبعة الاولى في الجزء ١٠٥. وطبع هذا الكتاب وكذلك جنة المأوى في مجموعة مجلدات طبعة الكمباني ايضا.

وأورد مصحح الطبعة الجديدة للبحار هذه النسخة مذكرا بأن هـــذه النسخة ناقصة هي الأخرى (ج٧٦ ص هـــ ـــ و). وضمنـــها تصويـــرا فوتوغرافيا لنسخة من كتاب (فهرست مصنفات الأصحـــاب). وهـــذه النسخة بخط مؤلف الكتاب العلامة المجلسي.

كما تضمنت الطبعة الجديدة نسخة مصورة لقسم من اجازات البحـار بخط المجلسي نفسه والملا عبد الله الافندي.[٩١]

أجل، إن الطبعة الاخيرة ـــ وبالرغم من الجـــهود الكبـــيرة وجديـــة المصححين ـــ لاتعتبر منقحة تنقيحا كاملا بسبب عدم وجود الطبعـــات المحققة لمصادر بحار الانوار. لكنها ـــ مع ذلـــك ـــ حظيـــت باســـتقبال وترحيب كبيرين واعيد طبعها مرارا.

وتم تصحيح أقسام من المجلد الثامن لم تكن قد نشرت سابقا في الطبعة الاولى، وبعد التصحيح من جديد طبعت في الطبعة الجديدة (الاجـــزاء ٣٢ حتى ٣٤ حول الحوادث الواقعة خلال عهد حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام).

ومن الاعمال الجيدة والخطوات القيمة الاخرى الـــتي تمـــت خـــلال السنوات الاخيرة مشروع طباعة مصادر بحار الانوار. فبعد العثـــور علـــى

---

[٩٠] – الذريعة، ج٣، ص٢٣.

[٩١] – للاطلاع اكثر فاكثر على الطبعة الجديدة من بحار الانوار واسماء المشاركين في تصحيحها والنقاط الاخرى يراجع الجزء الثاني من ترجمة حياة المجلسي. كما توجد خصائص النسخ القديمة والجديدة للبحار ايضا في فهرس الكتب العربية المطبوعة، العمود ١١٣ – ١١٦.

نسخ من مصادر البحار، غدت هذه العملية مقدمة ضرورية لاصدار طبعة مصححة ومنقحة لبحار الانوار.

وتنشر هذه المصادر تحت عنوان كلي هو (**سلسلة مصادر بحار الانوار**) وتفتح آفاقا رحبة ونيرة امام اعين الباحثين. وما لا يمكن أن يطرأ اليه الشك هو ضرورة اعادة النظر كليا في طبع بحار الانوار مع اجراء البحوث والدراسات المتنوعة بشأنه.

٦

منزلة المجلسي العلمية وآراؤه

طُرِحت وجهات نظر كثيرة حول مترلة المجلسي العلمية وقدراته وقابلياتــه. واذا طوينا كشحاً عن الكلام غير المستند الى اساس والحديث الملقى علــى عواهنه، فان الآخرين لم يشككوا في معرفته بالحديث، وعادة ما اعتبره اهل الحكمة والعرفان غير مطّلعٍ على الموضوعات العرفانية والمتعلقة بالحكمـــة، وقالوا عنه انه لم يسمع من وراء الستار رمزاً، وذكروا احياناً بعض تعليقاته وأقواله كشاهد على ما قالوه.

وبعض الاشخاص اعتبروا المجلسي سائراً على نهج المتكلمين الأشــاعرة والمعتزلة، وهو طبعاً اما لم يمارس ــ مثلهم ــ المباحث العقلية، واما انــه لا يعتني بالمعطيات العقلية.[1]

وآخرون ذهبوا الى أبعد من ذلك عندما اعتبروا أحاديث المجلســـي في القضايا العقائدية مجرد افكار (عامية وقشرية) وقالوا " ليته امتنع عن طــرح وجهات نظره في هذه الامور".[2]

---

[1] - راجع: مجلة (كيهان انديشة) لشهري مرداد وشهريور ١٣٦٥ [آب وايلــول ١٩٩٦] مقالة السيد آشتياني، ص٤٦.

[2] - راجع المجلة ذاتها، العدد ٤٤، لشهري مهر وآبان ١٣٧١ [اكتوبر وكـــانون الاول ١٩٩٢] مقالة الشيخ كديور، ص١٥.

اضافة الى ذلك، قالوا إن المجلسي عـــالم اخبـــاري، وفسّـــر بعـــض الاشخاص معارضته لأهل الحكمة والعرفان من هذه الزاوية، ومـــع كـــل ذلك، لا توجد في كتب الفقهاء الاصوليين دلائل وتعابير صريحة تشـــكّك في قدراته الفقهية، و لم يعتبروا نزعته الاخبارية ــ لو سلّمنا بها ــ ناتجة عن عدم التعمُّق في الابحاث الاصولية.

وما نتطرق اليه في هذا الفصل، هو امعان النظر في مؤلفات المجلســـي وكتبه، وخاصة بحار الانوار، لنطلع ــ من ناحية ــ على آرائه، ومن ناحية اخرى لنعرف منزلته العلمية ونقوّم النقد الذي وجِّه اليه.

*** المجلسي والحديث**

ان وصف الشيخ الانصاري ــ في كتابه فرائد الاصول ــ لمحمد بـــاقر المجلسي ربما كان افضل من يعكس منزلته ومرتبته في الحديث. فبمناســـبة البحث في موضوع حجّية خبر الواحد، يستند الأنصـــاري الى موضـــوع للمجلسي ويصفه بـــ (المحدّث المطلع الواعي الذي غاص في البحر النـــوراني لأخبار الأئمة) ويرى دليله شاهد صدق على ادعائه.[٣]

وتنبع رؤية المجلسي الى الحديث من عدة زوايا:

- منزلة الحديث في الدين.
- المقاييس المعتمدة في قبول الاحاديث المنسوبة.
- معايير وموازين فهم الحديث وتبيانه.

---

[٣] - فرائد الاصول، ص١٦٠.

انه ــ وكما صرح ــ يرى ان القرآن واخبار اهل البيت همـــا منبـــع ومصدر العلم. فقد صرح في مقدمته التي كتبها لبحار الانوار (**فوجـــــدت العلم كله في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مـن خلفه، وأخبار أهل بيت الرسالة**).

والمجلسي غير راضٍ عن كونه قضى فترة من عمره في دراسة بعــــض العلوم الاخرى (**فتركت ما ضيّعت زماناً من عمري فيه، مع كونه كاسداً في عصرنا**) (البحار ج١، ص٣). لكنه لا يقول لنا مـــاهي العلـــوم الـــتي يقصدها، وأيُّها كان قد تعلّمه ثم أعرض عنه وتركه، وكتـــب في شــرح حصيلة دراسته العلمية قائلاً:

[إني كنت في عنفوان شبابي حريصاً على طلــب العلوم بأنواعها، مولعاً باجتناء فنون المعالي مـــن أفنانها. فبفضل الله ســـبحانه وردت حياضـــها وأتيت رياضـــها، وعـــثرت علـــى صحاحـــها ومراضها، حتى ملأت كُمّي من ألوان ثمارهـــــا، واحتوى جيبي على أصناف خيارها، وشربت من كل منهل جرعة.... فنظرت الى ثمـــرات تلـــك العلوم وغاياتها وتفكّرت في أغراض المحصّلين وما يحثهم على البلوغ الى نهاياتها، وتأمّلت فيما ينفـع منها في المعاد، وتبصّرت فيما يوصـــل منـــها الى الارشاد... وايقنت بفضله وإلهامه تعالى أن زلال

العلم لا ينقع الا اذا أخذ من عين صافية نبعت عن ينابيع الوحي والالهام، وان الحكمة لا تنجع اذا لم تؤخذ من نواميس الدين ومعاقل الأنام]

(ج١، ص٢).

هذه العبارة تلقي قليلا من الضوء على الموضوع الذي نرمي اليه ونقصد طرحه. فالمجلسي يبحث عن علم ينفع في المعاد ويوفر الهداية، وبناء على ذلك فانه لا يقصد بالعلم مجموعة المعارف البشرية ولا يفكر الا ببعض الفروع العلمية الخاصة.

ففي مقدمة مرآة العقول يتحدث المجلسي بشكل اوضح ويتطرق الى المعارف التي تتزاحم مع هذا العلم وتتنافى معه، فهو يذكر اولئك الذين غدوا ـــ من فرط جهلهم ـــ من اهل الضلال والكفر وبقايا الكفار، وهم معارضو الانبياء والمتمردين على الدين وتعاليمه وغير المصدقين به، ويسمون جهلهم ذاك حكمة، كما ينتقد أهل البدع واتباعهم الذين يرفعون عقيرتهم بالفقر والفناء (في الله) ويستشكلون على أتباع الشرائع الدينية، ويحرفون حقائق العقائد.[٤] وعلى هذا الاساس فان مقصود المجلسي من (رواج العلوم الباطلة)[٥] أيضا هو هذان النوعان من العلم.

واذا غضضنا النظر عن هذه الناحية واوكلنا بحث ذلك الى ما سيأتي من الحديث في هذا الفصل، سنجد أن الناحية الايجابية في حديث المجلسي

---

[٤] - مرآة العقول، ج١، ص١ -٢.

[٥] - بحار الانوار، ج١، ص٣.

هي أن علم المعاد والهداية يستمد من منبع الوحي، ومن شاء معرفة الديـــن والالتزام بتعاليمه عليه أن يتوجه الى مصدر الوحي ومنابعه.

ومن وجهة نظره فان كل ما له علاقة بمصير الانسان ومعاده يمكـــن ان يتوافر عن طريق الوحي ويتسنى نيله من خلاله، وفي هذا الادعاء فان جميـع المتدينين يشاركونه الرأي.

فكل من يؤمن بالدين ويُقبل عليه وينتهجه فانه يملك هذه القناعة وهذا الفهم، وكل من لديه تأمّل وامعان نظر في الدين يرى ان هذا المبدأ محـــــل اتفاق رأي أهل الدين بكل وضوح. ويتفق العارفون والحكماء المســـلمون ايضا مع المجلسي في هذا الشأن.

ويقول صدر المتألّهين في مقدمة شرح اصول الكافي أن الدافع لتنـــاول هذا الموضوع والقيام بهذا العمل هو: ان التخلص والانعتاق مـــن شـــرور النفس والبدن ونيل المراتب العرفانية العليا يتسنى عن طريق المطالعة ودراسة علوم الوحي، يعني الآيات والاحاديث.[٦] وبالتالي فانه لا يرى ان الحكمـــة والعرفان الذي يدافع هو عنه منافساً للدين او مزاحماً له.

بَيْدَ أنه لا المجلسي ولا غيره من العلماء المعـــاصرين لـــه لم يوضحـــوا ماالموقف من العلوم والمعارف الاخرى، التي لا تنفع ــ حسب الظـــاهر ــ في المعاد وانما تخص معاش الناس ودنياهم او تزيد ــ وحسْب ــ في وعيهم ومعرفتهم. هل يمكن للناس ان يسلكوا طرق دراستها ويتعلموهـــا؟ هـــل ينبغي ان يعرف الناس هذه الامور المجهولة أم لا؟

---

[٦] – شرح أصول الكافي، ج١، ص١٦٦.

ماهي الحدود الدقيقة الفاصلة بين هذين النوعين من العلم؟ هل إن علم الطب علم دنيوي ام أُخروي؟ اين يقع علم الفلك والنجوم في هذا المضمار؟ هل يجب تعلُّم الرياضيات ام لا حاجة الى ذلك؟ و... ثم هل هناك تبادل او ترابط بين هذين النمطين او الفرعين من العلم ـ على الاقل ـ ام لا؟

توجد في بحار الانوار أُمور ومفردات رأى فيها المجلسي تعارضاً او سببت له التكلّف والمشقّة على الاقل. فهو بفتحه باب (السماء والعالم) وبعض الابواب الاخرى دخل في فروع من العلوم يبدو من ظاهرها أنها بحد ذاتها ليست علوماً دينية. بينما نجد ان هناك أقوالاً كثيرة وردت عن طريق الأئمة في هذا الباب.

وان سبب سعي المجلسي وجهوده لشرح هذه الأقوال وتوضيحها هو أنه كان يرى لها نفس المترلة التي تتمتع بها ابواب علم الكلام والفقه والأخلاق. انه لم يقل، البتة، بأن أقوال الأئمة في هذا المقام ليست مُنطلقة من موقعهم الديني بل تعود الى نواحٍ اخرى. وبالطبع فان العارفين بمجموعة الاحاديث الشيعية وبطبيعتها، لا يمكنهم القول بمثل هذا الأمر.

ونضيف على كل ذلك، اننا نجد المجلسي في مثل هذهِ الامور ـ ودون ان يتطرق الى جواب سؤالنا الاصلي ـ غالباً ما يسلك طريقين: إما أن يبيّن الحديث بطريقة تنسجم مع المعايير والمبادئ العلمية والتجريبية الطبيعية، وإما أن يقول بأن الروايات والاحاديث ومفاهيمها لا يمكن نفيها او تأويلها اعتماداً على الظن والتصوّر.

على سبيل المثال، توجد ــ في باب **الروايات الطبّية** ــ هذه المشكلة وهي ان بعض التوصيات والتعليمات المروية لشفاء امراض معيّنة، لم تكن موفقة او ناجعة في شفائها عند التجربة.

وقدم الشيخ الصدوق، والمفيد، والمجلسي التوضيحات اللازمة لهذه الروايات، الا أن أياً منهم لم يدّعِ أن الطب علم يخرج عن اطار العلوم الدينية. وكان رأي الصدوق هو ان بعض تلك التعاليم والوصايا الطبّية موجّهة لمن يسكنون مكة او المدينة وهي لا تصلح لجميع المناطق. وبعضها من مختلَقات وبدع اهل الضلال التي دسّوها في عداد الاحاديث والروايات باسم الأئمة، وفي بعضها يوجد سهو او خطأ وبعضها صدرت عن الامام في ضوء المعلومات والخصائص التي يعرفها عن مخاطَبه، وطبعاً فانه لم يذكر بعض النقاط الاخرى المتصلة بالموضوع.

و لم يكُ المفيد معارضاً لهذه التسويغات والتبريرات التي قدمها الصدوق وأضاف هو اليها نقاطاً أُخرى، وسلك المجلسي هذا السبيل وقال انه ــ أي الإمام ــ يمتحن المؤمنين المخلصين ويختبرهم ليميزهم عن الآخرين، فينصحهم ببعض الطرق لعلاج الامراض، وبالطبع فان تأثير ذلك لا يرتبط بمدى خصائص الطرق المذكورة بل يرتبط بالجانب المعنوي (ج٥٩، ص٧٤ - ٧٦).

وما هو جدير بالتأمل في هذا النموذج أن كل واحد من هؤلاء العلماء الثلاثة بذل ما في وسعه لرفع تناقض بعض الروايات وعدم مطابقتها لما ورد في التعاليم الطبّية. وربما يمكن ــ من هذا المثال ــ معرفة انه على الرغم من

كون علماء الدين يعتبرون علم الدين علم الآخرة، لكنهم كانوا يــرون ان رقعة مراجعة العارفين بأسرار الوحي أوسع اضعافاً مضاعفـــة مـــن هـــذا التعريف.

وقد ادعى المفيد ــ واقوى الظن ان المجلسي كان يؤيده فيما ادعـاه ــ أن "علم الطب جاء من قناة الوحي وتعلم العلماء مبادئه من الانبياء".[٧]

والنموذج الآخر نجده في التوضيحات التي قدمها المجلســـي في بــاب روايات (**المطر**). فقد أورد هذه الروايات تحت عنـــوان "باب الســحاب والمطر والشهاب". ومن الصعب الخروج من هذه الروايات برأي نهـــائي وحاسم وواضح حول المطر، مثلما أن المفسّرين لم يخرجوا برأي واحد عـن مجموع ما ورد في التعابير القرآنية بشأن المطر.

إلا ان المجلسي كتب في ذيل رواية جاء فيها ما معناه ان هناك جبـــالاً من البَرَد في السماء، موضحاً: اننا نستطيع ان نؤمن بهذا القول ونقبل هــذا التعبير في ضوء ظواهر هذه الاخبار والروايات وليس لدينا دليل قاطع علــى نفيه ورفضه (ونجد المجلسي قال بما يشبه رأي الفخر الرازي).

ثم أشار الى ما ورد في بعض الكتب العلمية، حيث ذكـــرت تلــك المعلومات أن بعض الاشخاص شاهدوا من على قمم الجبال انه ليس هنــاك

---

[٧] – ساد هذا الرأي في كتب علماء الاسماعيلية (مثلاً في اعلام النبوة لأبي حـاتم الرازي) وفي كتب المعتزلة وفي اوساط المتكلمين الشــيعة كــان لــه انصــار كثيرون. ويمكن الحصول على هذ المفهوم عبر ما ورد في بعــض الأحــاديث، أيضاً.

مطر او ماء بينما كان المطر يهطل على الارض. وعادة ما يذكرون هـــذه المعلومات لتأييد النظرية المعروفة في منشأ المطر. وهنا يحاول المجلسي التوفيق بين تلك المشاهدات والروايات ثم يقول: بما ان ما ورد في أقوال العلمـاء لا ينسجم مع ما ورد على لسان الشريعة، فاننا نجتنبه ونحترز منه.[8]

لكن المجلسي يقول هنا كلاما آخر ــ يجيب عن تساؤلنا الى حد ما:

(لو كانت معرفة هذه الامور نافعة للناس لما أهملتها الشـــريعة، بـــل لبينتها) (ج٥٦، ص٣٩٦).

ولم يفكر في نتائج هذا الادعاء، ولذلك فقد أقحم نفسه وأتعبـــها في توضيح موضوعات من هذا القبيل، دائما. ولم يبذل الآخرون جهودا كبيرة في هذا الصدد ولم يصلوا الى نتائج واضحة.

ويبدو اننا ابتعدنا عن صلب الموضوع، وحصلنا على هـــذه النتيجـــة المتوقعة وهي ان المجلسي وكثيرا من المؤمنين او المتدينين يرون ان غاية الدين وهدفه تربية الناس واعدادهم حتى مواجهة المصير الأبدي والعاقبة النهائيـة، لكن الدين يضع تحت تصرف الانسان كل ما هو نافع. ومنظومة الديـــن جاءت من اجل حياة الانسان ومن اجل ان يطبقها البشر ولذلـــك فـــهي ليست ناقصة، واذا لم يرد الحديث عن امر من الامور فالسبب هو أنـــه لم تكن هناك حاجة اليه، ونؤجل التحقيق في هذا الامر الى مجال آخر.

---

[8] – لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجـــع: دائـــرة معـــارف العـــالم الاسلامي حرف الباء، الكتاب الثاني، مقالة (المطر) ــ لكاتب هذه السطور ــ .

* **معايير قبول الاحاديث المنسوبة**

قلنا إن المجلسي كان خبيراً بالحديث وقد اكتسب هذه المهارة في ضوء تضلعه الكبير بالكتب والمؤلفات الروائية. واول ثمرة لرحلته في رحاب الحديث هي أنه لم يكن يرى كل المرويات الموجودة في النصوص الحديثية مقطوعاً بصدورها او يظن صدورها. وكان يحترز كذلك من انكار الحديث باستعجال ويجتنب الآراء غير المقطوع بها، ولم يكن يقبل كل حديث بسهولة. ولذلك كانت تنصبّ جهوده على الحصول على النسخ المعتبرة والقديمة للكتب.

وقد ذكر في مقدمات بحار الانوار مواصفات كثير من هذه الكتب. وكان تصريح المجلسي بوقوع الاضافات والتحريف والتصحيف او النقص في عبارات الحديث وكذلك الاحتمالات التي كان يطرحها حول كون بعض الروايات مختلقة ناتجاً من هذه الرؤية. وقد أشرنا الى بعض المفردات والمصاديق في هذا المجال وهنا نشير الى نموذج آخر:

روى السيد ابن طاووس في كتاب (الاقبال) دعاء عرفة للامام الحسين (عليه السلام). وقد رواه أيضاً في (مصباح الزائر) ونقله عنه الكفعمي في (البلد الامين).

وبناءً على ذلك، فان مصدر الدعاء هو كتاب الاقبال وقد نقله المجلسي أيضاً عن هذا الكتاب نفسه. وفي آخر الدعاء توجد عبارة تبدأ بجملة تقول: (**إلهي أنا الفقير في غناي**...) وفيها الجملة المعروفة (**أيكون**

لغيرك من الظهور ما ليس لك...) وعادة ما يُستَشهد بها في بعض البراهين التوحيدية.

والمجلسي بعد ان ينقل الدعاء يوضح: لقد أوردنا هذا الدعاء كما ورد في (الاقبال)، إلا ان المقطع الاخير منه لم يرد في كتابَي (البلد الامين) و(مصباح الزائر)، بل وفي بعض النسخ القديمة للاقبال نفسه لا يوجد المقطع المذكور. ثم يضيف ان هذه التعابير لا تنسجم مع سياق العبارات الموجودة في الادعية الواردة عن أئمة الشيعة وهي تتطابق مع مذاق الصوفيين اكثر، ومن هنا يعتقد بعض الفضلاء أن هذا المقطع ـ الذي يوجد في ورقة من اوراق نسخة المجلسي ـ أضافه اليها بعض مشايخ الصوفيين. والاحتمال الضعيف الآخر هو ان هذه الورقة أضافها السيد ابن طاووس الى الكتاب (ج٩٥، ص٢٢٧).

والعارفون والمطلعون على مناجات وأقوال ابن عطاء الله الاسكندراني الصوفي من الفرقة الشاذلية، ـ والذي يعتبر الشخصية الثانية في هذه الفرقة ـ يعلمون مدى نفوذه المعنوي بين اوساط الشاذليين وحتى بين صفوف الشعب المصري والجزائري، والمقطوعات التي كتبها من إنشائه تشبه مناجاة الخواجة عبد الله الأنصاريَ بين الايرانيين.

وكان ابن عطاء الله الاسكندراني معاصراً للسيد ابن طاووس ولكن يبدو من المستبعد أنه توجد بينهما علاقة وتواصُل او تعارف. وعلى أية حال، فان مناجاته ومقولاته لم تكن شائعة ورائجة فحسب وانما كتبت لها شروح كثيرة. ومراجعة هذا الكتاب تدل على ان القسمين الاخيرين من

مناجاته والمقطعين المترابطين الموجودين في آخر الكتاب هما اللذان يتكـــون منهما المقطع المشار اليه.[9]

وهذا النموذج مهمٌّ من حيث إن المجلسي توصّل الى هذه النتيجة ليـس بعد مراجعة حِكَم ابن عطاء بل بالاستناد الى ذوقه في معرفـــة الحديـث وتمييزه. وكانت إحاطته بالحديث وتضلعه في الرواية في بعـــض الاحيـان ناجعة في ازالة التناقض الذي يُرى بين عدة روايات.

وفي الروايات المتعلقة بحياة الامام السجّاد (ع) عادة ما يرد بان أُمّه هي **شهربانو بنت يزدجرد** وقد قبل ذلك معظم المؤلفين. وهذه الروايات فيـها إشكالات من عدة نواحٍ وقد تطرقت البحوث التي أجراها المحققـــون الى هذه الإشكالات.[10]

من جملة الاشكالات المطروحة في هذا الصدد هي أن شهربانو وقعـت في الأسر في عهد الخليفة الثاني عمر واختيرت كزوجة للامـــام الحسـين (ع). بينما وُلِدَ الامام السّجاد ع في عام ٣٨هـــ وفي هذه الحالة فان الفـترة الزمنية بين زواج الامام الحسين (ع) منها وولادة الامام الرابع ـــ السـجّاد (ع) ـــ عشرون عاماً وهذا غير معقول.

---

[9] - حِكَم ابن عطاء الله، ص٤٤٨ - ٤٧٣ (سمعت ذلك من أحد الأصدقاء وقـد قررت التحقيق في ذلك، فتوصلت الى صحة هذا القول).

[10] - ذكر الاستاذ المحترم السيد الدكتور شهيدي في حياة الامام السّجاد (ع) هـذا الامر بالتفصيل على الرغم ان كاتب هذه السطور لا يتفق معه في كل الاسـتنتاج الذي توصل اليه.

وقد صرّح بعض المؤلفين ــ على اساس هذه الاحتمالات ــ أن هذه الروايات مختلقة وأنها من صنع الايرانيين. ولا يمكن رفض هذا الرأي تماماً، لكن المجلسي لا يقبل بسهولة مثل هذه الفتاوى ويحاول جاهداً حلّ الإشكال وفك رموز الامر.

وفي هذا الصدد فانه يستند الى رواية اخرى وردت عن الامام الرضا (ع) وجاء فيها إن قصة زواج الامام الحسين (ع) من شهربانو تعود الى عهد الخليفة الثالث عثمان. والعارفون بطريقة كتابة وخطوط كتب الماضيين يعلمون أن قراءة اسم "**عمر**" بدلاً من "**عثمن**" (بهذا الشكل) كثيراً ما تحصل ويشير المجلسي الى هذا الاحتمال ذاته (ج٤٦، ص٧ - ١١). وسواء كان رأيه صائباً او خاطئاً فانه يدل على معرفته العميقة بالمخطوطات والكتب.

وكان مهتماً بالمشاكل التي حصلت في تاريخ الحديث لدى الشيعة ولذلك لم ينتقد المتأخرين في تقسيم الحديث من هذا المنظار، وحتى في (مرآة العقول) نجده قسّم الاحاديث بنفس الاسلوب، بَيدَ أنه لم يكن يرى هذا الاسلوب دقيقاً وكاملاً.

وفي حالة توافر قرائن اخرى تدل على صحة نسبة رواية ما الى إمام فانه لا يمتنع عن قبولها ويرى العمل بها جائزاً. وفي باب "آداب الرواية" يوضح المجلسي ان هناك عدة طرق للحصول على الحديث، ويبين هذه الطرق وفي الختام يوضح طريقة (الوِجادة) فيقول:

[ان الجادة والطريق هو ان يجد الانسان أحاديث بخط الراوي او في كتاب رويت لهذا الشخص سواء كان الذي وجدها معاصراً للراوي او (المروي له) ام لم يكن. في هذه الحالات يذكر الشخص المواضيع بعد ان يقول (وَجَدْتُ) او قرأت بخطّ فلان... ودليل جواز العمل بهذا النمط من الاحاديث: الرواية التي اسلفنا ذكرها] (ج٢، ص١٦٨).

ويضيف انه من أجل نقل رواية عن الكتب المشهورة التي ثبتت نسبتها الى مؤلفيها، لا حاجة للحصول على اجازة. وفي هذه النقطة يتفق مؤلفون آخرون مع المجلسي أيضاً (ج١٠٧، ص٧٦ و١٢٧). وبالطبع فان كلامه في باب رسائل "الوجادة" لا يعني أن يثق الانسان ويعتمد على كل ما (وجده). فهو نفسه يقول أحياناً أنه وجد في بعض النسخ القديمة رواية معينة لكنه لا يستطيع أن يوردها لأنه لا يثق بأسانيدها ولا يعتمد عليها (ج٥٥، ص٣٣٥).

وتعتبر غربلة وفرز مصادر الحديث الشيعية عن سائر الروايات امراً ضرورياً من وجهة نظرالمجلسي، وحتى في ما يخص القضايا الاخلاقية والاستحبابية ينبغي الالتزام بهذا الأمر. وفي بحث "التسامح في ادلة السنن" الذي عادةً ما يستندون في الأخذ به على ماورد في حديث يقول: " **من بلغه ثوابٌ من الله على عمل فأتى به**..." يوضح هذه النقطة وهي: لماذا

يمكن في هذه الحالات الاعتماد على الأخبار ضعيفة السند، او الروايات المجهولة؟ ثم ينتقد بعض علماء الامامية الذين يستندون في مؤلفاتهم فيما يخص المسائل الأخلاقية والاستحبابية لروايات غير الامامية، ويوردونها في كتبهم.

فهذا التصرف منهم يتسبب ــ بشكل لا إرادي ــ في تسلُّل بعض البدع العبادية وطروئها على الأحكام الفقهية (ج٢، ص٢٥٦ - ٢٥٧). ولذلك كان انتقاد المجلسي لابن أبي جمهور الإحسائي من هذه الزاوية حيث قال المجلسي عنه انه بالرغم من كونه من الفضلاء، فقد أورد في كتاب (عوالي اللئالي) أخباراً واحاديث نقلها عن رواة من غير الامامية (ج١، ص٣١) ومع ذلك فان المجلسي نفسه صرّح في مقدمة البحار أنه سيورد ويستند ــ في مقام التأييد او الاحتجاج ــ روايات للعامة (ج١، ص٢٤).

*** موازين فهم وتبيان الحديث**

ينتقد المجلسي مراراً ــ استناداً الى اعتقاده بأن الفهم الكامل لجميع الآيات والاحاديث لا يتسنى لنا ــ اولئك الذين يحاولون التوفيق بين الروايات والاكتشافات العلمية والفلسفية عبر تأويل الاحاديث، او اللجوء الى رفض ونفي روايات لا تتفق والاسس او المبادئ العلمية.

على سبيل المثال:

ان **الشيخ المفيد** من الشخصيات التي حظيت باحترام المجلسي وهو يذكره بالتبجيل والتكريم والاكبار والتعظيم ويترحم عليه، إلا انه متزعج بسبب بعض التأويلات التي ذكرها. ففي شرح وتصحيح عقائد الصدوق بشأن الرواية التي تقول بخلق الارواح قبل ألفي عام من خلق الابدان (ج٦، ص٢٤٩) يقول المفيد أنه اذا قبلنا هذه الرواية ــ التي وردت في مصادر الحديث لدى العامة والخاصة ــ (ج٥٨، ص١٦٤، وج٦، ص٢٥٢) فلابد أن نؤوّ لها. وعند ذاك ادعى أنّ المقصود بالارواح في هذا الحديث هي الملائكة التي وقع خلقها قبل ألفي عام من خلق الناس.

وفي موضع آخر، نرى المفيد يقول بان المراد من الروح في هذا الحديث هي الروح الإنسانية نفسها والتي حصل الخلق التقديري لها او المعنوي (لا الخلقة الخارجية) في علم الله، قبل خلقة بدن الانسان وتكوين جسمه المادي، وبعد ان تم خلق الاجسام الانسانية، حصلت الخلقة الخارجية لها (ج٥، ص٢٦٦ وج٥، ص٢٥٢).

القضية هي ان المفيد ينسب نظرية تقدُّم خلق الارواح على الأجساد الى اصحاب نظرية التناسخ وعلى هذا الاساس يحاول الابتعاد عن ظاهر الرواية، فضلاً عن أنه يورد قرائن وأدلة أُخرى على عدم صحة ظاهر الحديث.

ويصرّح المجلسي ان مثل هذه الأخبار يعدّ من المتشابهات ومضمونها يعتبر غامضاً، والصحيح في مثل هذه الامور هو ان نقبل مضمونها الكلي ومفادها العام ونجتنب التأويل (ج٥، ص٢٦٠ - ٢٦١) ودليله على

ضرورة اجتناب التأويل هو انه في هذه الحالة لا ينسجم صدر الحديث مع ذيله. وخلافاً لما ادّعاه المفيد فان عدد هذه الأحاديث اكثر من أن يُمرَّ بها مرور الكرام (ج٥، ص٢٦٧، وج٦، ص٢٥٥ وج٥٨، ص١٦٤).

ويعتقد المجلسي انه لو كان قد روي حديث واحد من هذا النمط لما كنا نستطيع ان نؤوّله خلافاً لظاهره، فكيف والامر يخص احاديث في هذا الموضوع تفوق العدّ والحصر (ج٥، ص٢٦٧، وج٦، ص٢٥٥ وج٥٨، ص١٤٤).

أجل، إن المضمون الغامض و ــ أحياناً ــ غير القابل للفهم في هذه الروايات كان لدرجة جعلت المفيد ــ ودون ان يعلم ــ يحير في تفسيرها ويقدِّم لها في موضعين ايضاحين يختلف احدهما عن الآخر، وفي كلا الموضعين تحدث المفيد باسلوب يبدو للقارئ وكأن مراد الحديث هو الامر المذكور وحسب.

وفي موضع آخر نرى المفيد قام بتأويل روايات تخص أحوال يوم القيامة، وقد انتقده المجلسي، قائلاً: "ان تأويل الأحاديث وابعادها عن معناها الظاهري بالنظر لكونها لا تتناسب مع تصورنا وما نحمله في أذهاننا، ليس من الصواب، (ج٧، ص١٢٩ - ١٣٠).

وهكذا الامر بالنسبة لانتقاد المجلسيٍّ السيدَ المرتضى منطلقاً من هذه الرؤية. فقد وردت روايات عديدة حول **حضور النبي والأئمة الى جانب المؤمنين عند المنية**، وقال المجلسي إن هذه الروايات ليست بقليلة. وفهم

هذه الروايات صعب ولذلك أنكرها بعض الناس لهذا السبب. والمجلسي لايرتضي هذا الانكار، ولا يرى أنه ينطبق ومنهج السلف.

فهذه مقولات ايمانية، ولكل شخص الحق في ان يؤمن ـــ او لا يؤمن ـــ بها حسب فهمه وتلقيه وادراكه لحقيقة العالم، فلماذا الإنكار اذن؛ واننا ـــ لنفس السبب ـــ ننظر الى العالم كل يوم من زاوية او منظار جديد وتنكشف لنا زوايا جديدة، وفيما يخص هذه المواضع يمكننا السكوت واجتناب اصدار الاحكام المستعجلة.

لكن السيد المرتضى ـــ الذي كان شأنه شأن المفيد يخضع احياناً للاتجاهات العقلانية، ويميل الى تأويل الاحاديث ـــ يوضح في هذا الصدد؛ أن المراد من حضور الأئمة في هذه الروايات استعارة ادبية (وامر معنوي) لا الحضور الواقعي الحقيقي وليس حضور أشخاص قرب من يحتضر.

بَيدَ أن المجلسي لا يستسيغ مثل هذه التأويلات والتوضيحات ويرى أنها بمثابة إنكار لهذا النمط من الاحاديث. ثم ـــ ووفقاً لطريقته الدائمة المعتادة ازاء هذه المتشابهات ـــ يقول إنه يجدر بنا أن نؤمن بهذه الاحاديث بشكل مجمل بعيداً عن التفاصيل.[11]

ومع أنه هو أيضاً بذل جهوداً كبيرة وجادّة في توضيح الأحاديث فانه تغاضى عن تقديم توضيح بشأن هذا النوع من الاحاديث وامتنع عن طرح

[11] – البحار، ج٦، ص٢٠١ – ٢٠٢، وبشأن الأمثلة الاخرى راجع: ج٥٤، ص٣٦٣ وج٥٧، ص١٤٩.

وجهة نظره بشأنها. وقد كتب معلّقاً على حديث نقله من توحيد الصدوق، مقدّماً ايضاحات حوله بالقول:

[هذا الحديث من المتشابهات والروايات الغامضة، لدرجة ان المستنسخين بسبب عدم فهمهم لمعانيه ارتكبوا بحقه التصحيف والتحريف. ولذلك فقد توخيت الايجاز والاختصار وما قدمته من توضيح لتبيانه لايعدو ان يكون مجرد احتمالات] (ج٥٥، ص٣٣).

وفي الواقع ان المجلسي لا يقبل ــ في باب تأويل الأحاديث وتفسير الآيات القرآنية[١٢] أي توضيح لا يتفق مع ظواهر التعابير. وحسب اعتقاده فاننا لو فتحنا باب التأويل دون مراعاة موازين ومعايير فهم الألفاظ، فلن يكون هناك حدّ او نهاية لهذا التأويل. فحينذاك سينطلق كل امرئ في هذا الطريق ويطلق العنان لتصوراته وتنعدم لغة التفاهم والتفهيم، والأهم من ذلك، والانكى من هذا أن مثل هذه التأويلات ستؤدي بصاحبها الى التورط بالإلحاد ولذلك فان المجلسي يعرب عن قلقه من حصول هذا الامر بالذات فيقول:

[أول الإِلحاد سلوك التأويل من غير دليل]

---

١٢ - يذكر المجلسي في البحار مراراً ــ بعد ان يذكر حديثاً في تأويل آية من الآيات القرآنية ــ ان هذا التأويل لا يتفق مع سياق الآية ولكن نظراً لكون هذا التأويل قد ورد في رواية فانه لاينكره.

ويندرج انتقاد المفيد للصدوق بشأن مراتب أهل الجنة في هذا النطاق بالذات، والمجلسي يرى ان كلام المفيد صحيح ودقيق. ولتوضيح الامر اكثر ننقل تقسيم الصدوق لمراتب أهل الجنة بالقول:

[ان مجموعة يشاركون الملائكة في التقديس والتسبيح والتكبير للحق تعالى ويتنعمون بذلك. وصنف من أهل الجنة يتمتعون بكل ما لذّ وطاب من المآكل والمشارب وسائر الملاذّ التي يريدونها وكل صنف منهم يلتذ بما كان يسعى اليه ويبذل له جهده ويعبد الله من أجله].

ثم ــ وتأييداً لرأيه ــ ينقل حديثاً عن الامام الصادق (ع) ويستند اليه، وهو الحديث المعروف الذي يقول فيه الامام ما معناه ان الذين يعبدون الله ثلاثة أصناف:

- التجار
- والعبيد
- والأحرار

وينتقد المفيد الصدوق ويقول إن الادعاء بأن مجموعة من أهل الجنة مستغنون عن النعم الجسمية واللذات المادية وينعمون بالتسبيح والتقديس فحسب، قول لا ينسجم مع مبادئ وتعاليم الاسلام، وقد اقتبسه الصدوق ــ دون ان يعلم ــ من دين النصارى. ثم يورد المفيد عدة آيات من القرآن الكريم في ابطال هذا القول.

وقد اعتبر المجلسي كلام المفيد صحيحاً ودقيقاً واستدلال الصدوق في اختيار هذا الرأي استناداً الى هذا الحديث ضعيفاً، ويوضح أنه لو عَبَدَ شخصٌ ما الله تبارك وتعالى لكي يتمكن من التوصّل الى النعم الموجودة في الجنّة، فمن الناحية المنطقية لا يستلزم ذلك أن لا ينعم فيها بالنعم الجسمية والمادية...

فالتمتع بالنعم الجسمية ذو مراتب ويختلف بين شخص وآخر حسب اختلاف الافراد، فهناك أشخاص يتمتعون بها في الجنّة كالبهائم ومحرومون من لذة قرب ووصال ومحبة الحق، واناس آخرون يتنعمون باللذات الجسمية والمادية للجنة باعتبارها دار الكرامة، وهم يستنشقون من كل زهرة رائحة ونكهة لطف الحق ومن كل فاكهة يشعرون بطعم محبّته...

إذن فلدينا جنتان: جسمية وروحية، والجنة الجسمية قالب للجنة الروحية. فكل امرئ كان في الدنيا مشغولاً بعبادة لا روح فيها ولم يؤدّ حق المحبّة والاخلاص في العبادة سيكون في الآخرة متمتعاً بالجنة الجسمية فحسب، ولكن من كان في الدنيا مدركاً لروح العبادة ومستأنساً بها وملتذاً منها فانه سينعم في الجنة الجسمية بالنعم الروحية (ج٨، ص٢٠١ - ٢٠٢).

اجل؛ النموذج سالف الذكر من المقاطع العرفانية الجميلة في البحار، وهي تدل على ان المجلسي يقاوم أمام فتح أي باب للتأويل، ومعارضته للمفيد وخلافه معه لا يعود الى كونه يحمل نزعة عقلية ودفاعه عن الصدوق ليس مغزاه ومردّه كون الاخير ذا منحى روائي واخباري.

انه يعلم أن مؤوّلي الأحاديث يدفعهم الى ذلك دافع مقبـــول وهـــو تسهيل فهم أحاديث الأئمة وتيسيرها للناس بيد أنه ملتفت لأخطار ذلـــك أيضاً. وسنشير في هذا الفصل الى امور وآراء اخرى للمجلســـي في هـــذا الصدد.

من ناحية اخرى فمن وجهة نظره يعتبر إنكار الأحـــاديث عندمـــا لا يصل الى حد التعارض مع البديهيات الدينيات والمسلّمات العلمية والعقلية، غير جائز. فعلى سبيل المثال، نجده ينقل عن السيد المرتضى علـــم الهـــدى كلاماً حول إحدى الروايات التي تخص النبي ايوب وينكرها المرتضى بكـــل حزم وينفيها بجد، وبعد أن ينقل المجلسي حديث المرتضى بالكامل يبـــدي تعجبه من إنكاره الشديد والحاسم للرواية والمذكورة، لأن تلـــك الروايـــة يمكن توضيحها بشكل مقبول، بينما نجد تلك الرواية التي نقلها المرتضـــى من روايات العامة التي وردت في مصـــادر التفســـير (ج١٢، ص٣٥٣ - ٣٥٥).

مع كل ذلك لا يمكن القول إن المجلسي كان يعارض أي تأويل يذكر، بشكل مطلق، فهو نفسه صرح بأنه في حال الضرورة لا يبقى من ســـبيل سوى التأويل (ج٨، ص٧١) لكن في كثير من الموارد الـــتي أقبـــل فيـــها المتكلمون او المحدّثون على التأويل لم تكن ثمة ضرورة تذكر، بل هم أوقعوا أنفسهم في التكلُّف (ج٧، ص٢٥٣).

واذا طوينا كشحاً عن ذلك، فان المجلسي كان يستخدم دائماً في شرح وتبيان عبارات الحديث تعابير وآراء فلسفية ومفاهيم علمية وهذه النقطـــة

تشاهد بشكل خاص في المجلد الخاص بـ "السماء والعالم". على سبيل المثال، نراه بعد أن يورد روايات حول النار، يذكر نظرية مشهورة للحكماء والمتكلمين في هذا الباب وهي ان العناصر البسيطة للعالم أربعة، ويؤيد هذه النظرية.

ونرى أنه لم يرد في الاحاديث ذكر صريح لهذه العناصر الاربعة، وكما ذكر المجلسي فان بعض الروايات ذكرت عنصر الماء، وبعضها الآخر تحدثت عن الماء والنار، وفي روايات اخرى ورد ذكر الماء والنار والهواء كعناصر اصلية ورئيسة في العالم. لكنه لا يرى بين هذه الروايات ــ التي فهمها كما هي رؤية علماء الطبيعة المقبولة في عصره ــ وآراء الحكماء والمتكلمين، واكثر من ذلك فانه أيد ــ استنادا للأدلة الحسية الملموسة والمجربة ــ وجود العناصر البسيطة الاربعة التي تمثل أصل وجود المركبات (الأشياء المركّبة). وقد نقل المجلسي في هذا المقام فصلاً من كتاب الشفاء لابن سينا، لغرض توضيح موضوع البحث (ج٥٦، ص٣٣١).

وقد طرح وجود عالم المثال أول مرة شيخ الاشراق، لكن الإثبات البرهاني تولاّه صدر المتألّهين، ثم وجد بعض المتكلّمين في الروايات قرائن على وجود عالم المثال. ويورد المجلسي إحدى هذه الروايات ويشير الى ما استدلوا به، ثم يقول إن تطبيق هذه الروايات على عالم المثال، مقبول، رغم أنه لا يذكر جميع خصوصياته؛ ومع كل ذلك فاننا لا ننكر عالم المثال واستناداً الى الاحاديث المعتبرة، نقبل به. اضافة الى ذلك، فليس مستبعداً ــ حسب اعتقاد المجلسي ــ أن عالم المثال يتحقق حتى قبل الموت. وان الروح

الانسانية ــ اثناء النوم مثلاً ــ تتعلق بذلــك العــالم (ج٥٤، ص٣٥٤ - ٣٥٥).

وفي توضيح الآية (٣٤) من سورة النبأ يتذكر النظرية الفلسفية لصــدر المتألّهين الذي يرى للجمادات ــ بما أن لها وجوداً ــ إحساساً وشــعوراً ويقول انه مع أخذ هذه النظرية بنظرالاعتبار فلا نقع بَعدُ في التكلُّــف في توضيح الآية (ج١، ص٣).

ولا يخلو ذكر النموذج التالي من فائدة:

ورد في حديث بكتاب الغيبة للشيخ الطوسي مروي عن الامام الرضــا (ع) الحديث عن (٢٠٠) عام*، وحار شارحو الحديث في توضيح هــذا العدد، لأن وفاة الامام الكاظم (ع) وقعت عام (١٨٣) هــ. ومن أجــل حلّ مشكلة الحديث لجأ المجلسي الى قاعدة تدوير الاعداد فقال:

[ان طريقة المنجّمين والرياضيين هي انهم يكملون الكسور التي تقل عن النصف باتمــام المقــدار الباقي، وتقليل العدد المتضمن للكســور لكــي يكون العدد عدداً صحيحاً][١٣]

* – هكذا قال المؤلف ونقلته كما هو.

[١٣] – بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٠٢ (وللتوضيح اكثر نقول إن المجلســي أخــذ بنظر الاعتبار الفترة الكائنة بين ١٥٠ و٢٠٠ ولكون العدد ١٨٣ اكثر من ١٧٥ فان مدوّره هو ٢٠٠).

وباختصار فان المجلسي لا يعارض ـــ في مقام فهم وتوضيح الحديث ـــ الاستفادة من المعطيات العلمية والاسس العقلية، وهو لا يخالف سوى التأويل المتكلّف للأحاديث، ومن ناحية اخرى، فانه لا يرى دليلاً لنفي وانكار الروايات بشكل اعتباطي ومستعجل. وهذا الاسلوب ادى الى اتساق توجهات المؤلف وانسجام تعابيره واستقلال رأيه.

* الآراء الكلامية للمجلسي

يعتبر المجلسي من المدافعين المستميتين عن التعاليم الكلامية للشيعة، ولا تخفى جهوده ومساعيه في توضيح وتبليغ النظريات الكلامية الامامية، وخاصة في مبحث الامامة وفي مجال الرد على الشبهات والاعتراضات التي طرحها الآخرون. لكن ما نتطرق اليه في هذا البحث هو سعيه الحثيث وجهوده الطيبة الهادفة لتطبيق هذه الآراء والنظريات مع الاحاديث. وهذا الأمر مشهود في معظم الأبواب العقائدية للبحار، وخصوصاً ان أهمية هذا الأمر تتجلى في كونه يبرهن على النظريات الكلامية للشيعة بطريقة موثقة ومدعمة بالادلة.

وغنيٌّ عن الذكر إن هذا القول لا يعني ارتكاز العقائد الكلامية على الاقوال الشرعية لكي يستلزم ذلك حصول الدَوْر، بل لأنه ـــ اولاً ـــ التعرف على الاساليب والدلائل الواردة في القرآن الكريم والاحاديث لإثبات القضايا العقائدية يمكن ان يكون برهاناً ساطعاً ودليلاً دامغاً في مجال

القضايا الكلامية، وثانياً؛ ان قسماً كبيراً من المسائل العقائدية لا تستحصل ولا تتوفر إلا من المصادر الدينية وليست مقولات عقلية (صرف).

لقد حصلت تطورات كثيرة في اسلوب بيان المسائل العقائدية طوال التاريخ الشيعي، وأوجدت ــ عملياً ــ ظروفاً جعلت كثيراً من معارضي الشيعة وعدداً من أتباع المذهب الشيعي يذهبون الى القول بأن علماء الشيعة اقتبسوا تعاليمهم الكلامية في كثير من الموارد من المعتزلة.

وأشار عبد الرزاق اللاهيجي في مقدمة شوارق الالهام الى هذا الموضوع، واورد الجواب عليه بالتفصيل.[١٤]

والآن يجدر بنا أن نذكر في هذا الباب بعض النماذج من أعمال المجلسي:

- ففي توضيح قدمه المجلسي لحديث عن الامام الصادق في اثبات وحدانية الله، يذكر المجلسي أدلة التوحيد، اولاً. والدليل السابع والاخير الذي أشار اليه (الادلة السمعية). ويوضح المجلسي فيه ان الانبياء أثبتوا صدقهم عبر تقديم الآيات والبراهين البيّنة الساطعة وهم يطرحون وحدانية الله تبارك وتعالى دائماً.

وفي معظم الكتب الكلامية ومن جملتها " كشف المراد" و "ارشاد الطالبين و"ارجوزة في الكلام" من تأليف ابن داود الحلي ورد هذا الدليل وذكروا هذا التوضيح مؤكدين ان قبول وحدانية الله من الانبياء لا يستلزم

---

[١٤] - في مقدمة القسم الاول من كتاب (ثلاث أراجيز) لابن داود الحلي وردت أيضاً توضيحات حول هذا الموضوع.

الدَّوْر، لأن ما هو متقدم وسابق لادعـــــاء النـــبي اثبـــات وجـــود الله لا وحدانيته.[15]

حتى أن بعض المتكلمين ادعوا أن "الأدلة السمعية" أقوى وأفضل مـــن جميع الأدلة وأقدر من غيره في اثبات توحيد الحق المتعال.[16] ويعتقد المجلسي أيضاً بهذا الرأي:

[في مسئلة التوحيـــد، لا مـــانع مـــن التمسُّك بالأدلة الســـمعية، والدليـــل الذي أعتمده واستند اليه هو الدليـــل المذكور] (ج٣، ص٢٣٤).

مع كل ذلك، فان بعض أساتذة الحكمة أشكلوا على المجلسي بســـبب هذا الرأي واعتبروه سخيفاً. وقد نقل السيد آشتياني عن الفقيه المعـــروف والمفكر الكبير المرحوم آية الله البروجردي قوله إن المجلسي ينكـــر وجـــود دليل على وحدانية الله ويدّعي أننا لا مناص لدينا في هـــذه المســـألة مـــن التمسُّك بالدلائل الروائية.[17] واعتبر هذا القول سخيفاً ومؤلماً.

---

[15] - بنظرنا ان المتكلمين ــ وحتى في معظم الأنظمة الفلسفية الالهية ــ أثبتـــوا وجود الله ووحدانيته في مرحلتين. وفي القرآن والحديث أيضـــاً وردت دلائـــل وحدانية الله سبحانه وتعالى.

[16] - فاضل مقداد في ارشاد الطالبين (ص٢٥١: وهو أقوى الأدلّـــة فـــي هـــذا الباب).

[17] - مجلة (كيهان انديشة) العدد الثالث، ص٦٠.

وفي موضع آخر، ذكر هذا الادعاء للمجلسي باندهاش، ونقل عـــــن بعض (الأكابر) قولهم: (**نعوذ بالله من هذه الزلات**).[18]

لكن كما مر القول فان ما ذكره المجلسي ليس هو اننا لا نملك دليـــلا على التوحيد، بل إنه ـــ كغيره من المتكلمين ـــ يورد في عــــداد براهـــين وحدانية الله الدليل النقلي (الروائي) ويعتبره "معتمدا" ولكنه لا يعتبر بقيـــة الادلة خاطئة وسقيمة. حتى ان المجلسي في كتابه (عين الحياة) صــــرح (ان العقل يحكم بان مثل هذا النظام بهذا النسق منســـوب لخـــالق واحـــد)[19] وخاصة ان الدليل قد قام في الآيات والاحاديث علـــى وحدانيـــة الله. ولا يعلم كاتب هذه السطور كم هي دقيقة رواية استاذ الحكمة المحترم المرحوم الشيخ البروجردي، ولكن احتمال الخطأ وارد وممكن من قبل أي شـــخص (**فان الجواد قد يكبو**).[20]

- وفي باب ارادة الله، يرى المتكلمــــون الاماميـــة ان الارادة ذاتيـــة ويعرفونها بأنها (العلم بالخير والشر وما هو اصلح للمخلوقات). وقد بـــادر المجلسي الى ايراد الروايات وفق هذه النظرية. وتدل رواية منقولة عن الامام الرضا (ع) ان الارادة صفة فعل الله، كما ان الشيخ المفيد يعتقد ـــ هــــو

---

[18] - كيهان انديشة، ص٤٨.

[19] - عين الحياة، ص٥٩.

[20] - ويراجع المقال المنشور في (كيهان انديشة) العدد ٦، ص٦٨ - ٦٩ لعلـــي ملكي [لعل المؤلف يقصد المثل العربي المعروف (لكـــل جـــواد كبـــوة) او (ان الجواد قد يعثر) ولكنه ذكر الجملة باللغة العربية في المتن وأبقيتها كمـــا هـــي ـــ المترجم].

الآخر ـــ استنادا الى هذه الرواية ذاتها ـــ التي يجعلها ركيزة لرأيه ـــ بـــأن الارادة صفة فعل. اما المجلسي فانه يميل الى نظرية المتكلمين ويحاول شـــرح الرواية باسلوب ينسجم مع هذه النظرية:

[ربما كان المراد من هذا الحديث والاحـــاديث المشابهة له والتي تدل على كون إرادته حادثـــة، هي أنه... بعد العلم (الذاتي) القديم، بمصلحـــة صدور فعل ما، لا دخل لأي أمر آخر عنـــد الله المتعال غير القيام بالفعل نفسه.. وبناء على ذلك فان المعنى يكون أن الله كاف بصفاتـــه الذاتيـــة لكماله، لحصول القضايا وحدوث الامـــور، دون أن يحتاج الى ظهور او حصول شـــيء في ذاتـــه تزامنا مع وقوع ذلك الفعل].

ويبدي المرحوم الطباطبائي ـــ بحق ـــ تعجبه لهذا الاصرار من المجلسـي حيث كتب في حاشية البحار أنه مع افتراض ان يكـــون تعريـــف الارادة الذاتية لله وفقا لما ذكره المتكلمون، صحيحا، فان هذا الحديث، وبشـــكل عام، الروايات المتعلقة بارادة الله، تخص الارادة التي هي من صفات الفعـــل ونفس الحقائق الخارجية وموجودات العالم الخـــارجي (ج٤، ص١٣٧ - ١٣٩).

أجل، في هذا البحث سعى المجلسي ــ خلافا لاسلوبه المتعارف ــ وبسبب التزامه بالآراء الكلامية لمتكلمي الشيعة، أن يبذل جهده لتبيان (وبشكل أدق: لتأويل) روايات الأئمة على اساس التعاليم الكلامية، وبالطبع فان صدور هذا الامر من المجلسي جدير بالتأمل وما يستحق التأمل، اكثر هو اعتراض بعض الاساتذة الممزوج باللوم والنقد للمجلسي لكونه يعتبر ارادة الله تعالى من صفات الفعل.[21]

ومن ناحية اخرى، نجد أنه في كثير من الاحيان التي يستلزم القبول بآراء متكلمي الامامية تأويل الحديث دون دليل او داع، او مخالفة عدد من الأحاديث، نجد المجلسي قد اجتنب ذلك، ولربما رجح آراء علماء أهل السنة. على سبيل المثال، يمكن الاشارة الى مسئلة "الاحباط والتكفير" حيث إنه ظهرت لديه ميول الى نظرية العامة استنادا الى الاخبار الكثيرة وابتعد عن النظرية الكلامية للامامية.[22]

*** المجلسي؛ اخباري معتدل:**

---

[21] – مجلة كيهان انديشة، العدد ٣، ص٦٠.

[22] – بحار الانوار، ج٥، ص٣٣٢ – ٣٣٤، ويمكن الاطلاع على النماذج الاخرى بمراجعة ج١، ص٨٥، و١٢٤، وج٣، ص١٤٤، ٢٣١ – ٢٣٤، وج٤، ص٢٨ – ٣٣، ٦٢ و ١٣٧، وج٥، ص٣٤، و٢٢٣ –٢٢٤، وج٦، ص١١٠ و٣٢٦.

يرى الشيخ يوسف البحراني الفقيه المعروف والاخباري صاحب المؤلفات الكثيرة، وآخر شخصية بارزة في هذه النحلة، يرى في نطاق حديثه عن نهج الاجتهاد والاخبار، ان آخر ما توصل اليه واستقر عليه هو الاعتدال في تطبيق النظرية الاخبارية، وهو ما تعلمه من المجلسي. وسمى البحراني هذا النهج (الطريق الوسطى).[٢٣]

ومرد اطلاق هذا العنوان على المجلسي رسالة كتبها جوابا على سؤال رجل عزيز سأله عن أمور في الفلسفة والاجتهاد والاخبار والتصوف.[٢٤] وقد أورد نائب الصدر الشيرازي في (طرائق الحقائق) قسما كبيرا من تلك الرسالة.[٢٥]

ونقرأ فيها:

[اما السؤال الثاني الذي طرحه السائل فهو يخص طريقة المجتهدين والاخباريين... ومسلكي أنا هذا الحقير في هذا المجال هو التوسط. فالافراط والتفريط مذمومان في جميع الامور. وانني أرى منهج الجماعة التي تظن ظن السوء بفقهاء

---

[٢٣] – الحدائق الناضرة، ج١، المقدمة الثانية.

[٢٤] – التعريف بكتب المجلسي (كتابشناسي مجلسي) ص٢٠٩.

[٢٥] – طرائق الحقائق، ج١، ص٢٨٠ – ٢٨٤ (نشر الكاتب الفاضل السيد جعفريان هذه الرسالة في مجلة (كيهان انديشة) وذكر كذلك حقائق اخرى تخص نسخة طرائق الحقائق).

الامامية وتتهمهم بقلة التدين خاطئـــا، فـــهؤلاء الفقهاء كانوا أعاظم الدين... كمـــا ان منـــهج الذين يروهم مقدسين او ائمة يقتدى بهـــم ولا يجوز مخالفتهم بأي شيء، ويقلدوهم، هو الآخـــر منهج خاطئ، وأعتقد أن العمل بالاصول العقلية غير المستنبطة من الكتاب والسنة ليس صحيحـا والاصول والقواعد العامـــة الـــتي تعلـــم مـــن عمومات الكتاب والسنة ولا تتعارض مع نـــص معين، أراها هي التي ينبغي أن تتبع].

وبالرغم من أن بعض المؤلفين يعتقدون باحتمال ان تكون هذه الرسالة منحولة[٢٦]، بيد أنه لا يمكن الشك او الارتياب في أن رأي المجلسي بقضيـــة الاجتهاد كان من هذا النمط، وهذا ما يمكن التأكد منه في كل موضع مـــن البحار. وقبل الاشارة الى بعض الموارد والنماذج فلا بأس من الاشـــارة الى ان المجلسي كان متأثرا بمنهج أبيه في هذا الصدد، وقد كان يجله ويحترمـــه احتراما جما. فقد كتب أبوه محمد تقي المجلسي في اللوامع ــ بعد ذكر الملا محمد أمين الاسترابادي ــ :

---

[٢٦] – يراجع: (تاريخ ادبيات) أي تـــاريخ الادب الفارســـي، ج٥، القســـم الاول، ص٢١٠.

[واجمالا فان طريق هذا العبد الضعيف ــ يقصد نفسه ــ هو الطريق الاوسط، ما بين الافــراط والتفريط][27]

وكان الاخباريون وفي مقدمتهم (الاسترابادي) يتهمون ــ في الفوائد المدنية ــ مؤلفي علم اصول الفقه الشيعي بالانحراف عن الدين والابتعاد عن سيرة الاصحاب الامامية (والتشيع). ويبدو من كلام الاسترابادي ان الفقهاء والمجتهدين الاصوليين الامامية لا يملكون في كثير من أحكامهم الفقهية ما يسندها من الاحاديث وما يدعم آراءهم من الروايات. ويرى المجلسي في مقدمة البحار أن إحدى فوائد كتابه هذا هو دفع الاشكال ومعالجة هذا الخطأ فيقول:

[(واستنادا الى المصادر الحديثة التأليف) توصلت الى مصادر ومستندات كثير من الاحكام، بينما اعترف معظم العلماء بأنه لا يوجد ما يستند اليه من الروايات في هذه الامور] (ج١، ص٤).

وفي موضع آخر وأثناء البحث في تعارض الأحاديث والسعي لمعالجته ورفعه يقول إنه يؤدي الى حصول الاختلاف بين العلماء أحيانا بينما نجدهم يبذلون كل ما في وسعهم، وفي هذه الحالة فان عملهم لا إشكال فيه، ثم يقول:

---

[27] - (اللوامع) لصاحب قراني، ج١، ص٤٧.

[ولو تأملت في هذا البيان وامعنت النظر فيه لوجدت أن كثيرا من التشنيعات التي ارتكبها المتأخرون بحق العلماء الصالحين والمعروفين، لا أساس لها] (ج٢، ص٢٨٤).

* وجوب صلاة الجمعة

كتب المجلسي ــ كالكثير من علماء عصره رسالة ــ حول صلاة الجمعة، علاوة على ذلك فانه بحث هذا الامر بالتفصيل في بحار الانوار. ورأيه يخالف تماما رأي الذين افتوا بحرمة اقامة صلاة الجمعة في عصر الغيبة، وفي حالة إقامتها من قبل المجتهد الجامع للشرائط، يفتون بالوجوب التخييري او ينفون ويذكرون وجوبها في عصر الغيبة. يقول المجلسي:

[إن صلاة الجمعة واجب عيني في جميع الأزمان. وهي ليست مشروطة بحضور ووجوب الامام المعصوم او نائبه الخاص او العام. بل إن ذات العدالة المشترطة في باقي الصلوات التي تقام جماعة، ينبغي ان تتوفر هنا، وهي تكفي لذلك. كما أن امام الجمعة ينبغي ــ علاوة على ذلك ــ أن يعرف المسائل المتعلقة بصلاة الجمعة اجتهادا او تقليدا] (ج٨٦، ص١٤٦).

ومن النقاط الجديرة بالاهتمام، في بحوث المجلسي حول صلاة الجمعة ثلاثة نماذج:

ـ فبعد ان ينقل اقوالا ذكرها الشهيد الثاني في رسالته بشأن صلاة الجمعة وتحدث فيها بكل حزم وتأكيد على وجوب صلاة الجمعة، يقول المجلسي:

[ان اهتمام هذا العالم الورع الذي كان اعظم فقيه متأخر في عصرنا بصلاة الجمعة، كاف للتدليل على أهمية هذه المسئلة.... هذا في الوقت الذي لا يمكنهم اتهام الشهيد الثاني بالاطماع الدنيوية، اذ لم يكن بامكانه اقامة صلاة الجمعة في المنطقة التي كان يسكنها] (ج٨٦، ص٢٣١).

وأوردنا هذه العبارة نظرا لكونها تجسد كيف كان معارضو وجوب او جواز اقامة صلاة الجمعة يوجهون التهم بحق مؤيدي اقامتها وخاصة المجلسي، وحسب ما قاله السيد نعمة الله الجزائري فانه تعرض لتهم مقذعة صدرت من بعض الافراد.[٢٨]

وجاء في دعاء بالصحيفة السجادية ما معناه أن يوم الجمعة يوم (يجتمع فيه المسلمون في أنحاء الارض مع بعضهم...) ويقول المجلسي ان المقصود

---

[٢٨] – قالوا ان مخالفي المجلسي ذهبوا بعيدا في قدحه الى حد انكار قدرته الادبية أيضا.

باجتماع المسلمين لقاؤهم من اجل أداء الصلاة، ولذلك لابد أن يتجسد ذلك في كل الازمان، لأن أدعية الصحيفة السجادية من الادعية التي قالها الامام السجاد (ع) وكتبت لكي تقرأ في مجالس الدعاء حتى نهاية العالم (ج٨٦، ص٣١٩).

وبعد أن ينقد المجلسي ادعاء الاجماع على عدم وجوب صلاة الجمعة، يشير الى نقطة اخرى هي انه مثلما لا يستطيع أي امرئ الشك والارتياب في وجوب صلاة العصر او وجوب الزكاة، ولا يمكن لشخص ان يحتمل ــ ولو أدنى احتمال ــ بأن وجوبهما منوط بحضور الامام او إذنه، فانه لا يمكن طرح مثل هذا الادعاء فيما يخص صلاة الجمعة (ج٨٦، ص٢٢١). وبعبارة اخرى: ان وقوع غيبة الامام المهدي (ع) لا يعد مخصصا للحكم العام بوجوب صلاة الجمعة.[٢٩]

* الفلسفة من وجهة نظر المجلسي

قلنا في بداية هذا الفصل إن المجلسي لم تكن له رغبة او ميل نحو الفلسفة وهو يراها منافسا لمنظومة المعرفة الدينية. ولكن ألم يكن باستطاعته فهم البحوث والموضوعات الفلسفية فهما عميقا وهل كان فهمه او تصوره لمكانة الفلسفة والدين، صحيحا ام لا، فذلك بحث سنتطرق اليه في موضع

---

[٢٩] – يشاهد مثل هاذ الاستدلال في بعض الرسائل المتعلقة بصلاة الجمعة والتي أوردها صاحب الذريعة.

آخر. وفي هذا المجال سننذكر بعض النماذج فقط عن طبيعة رؤية المجلسي للفلاسفة في بحار الانوار.

ان انتقاد المجلسي للفلاسفة يعود الى هذا الامر وهو ان الفلاسفة ــ في نظره ــ يعتمدون على العقل اكثر من اللازم، ويرون للنتائج الظنية التي يتوصلون اليها مترلة واهمية اكثر مما ينبغي، علاوة على ذلك فهم يحاولون ــ بتكلف واضح ــ ايجاد تطابق بين القضايا الفلسفية والتعابير الدينية (واحيانا بالعكس؛ يحاولون جعل القرآن والحديث ينطبق والقضايا الفلسفية) ثم إن قبول بعض آرائهم يستلزم انكار بعض ضروريات الدين.

ويعتقد المجلسي انه وفقا لكثير من الاحاديث فان الأئمة وسائط بين الله والخلق، يقومون بايصال الفيوضات الالهية بجميع أشكالها، وينبغي تعلم العلم منهم. وبما ان الفلاسفة لم يسلكوا هذا السبيل وانتهجوا طريق التفكر واعتمدوا على آرائهم فان الحقائق قد خفيت عليهم ووقعوا في الخطأ (ج١، ص١٠٣) وقد أورد المجلسي هذا الإدعاء في سياق توضيحه لبحث العقل، وذكر فيه المعاني المختلفة للعقل. وهذه المعاني قريبة من معاني العقل الواردة في شرح اصول الكافي لصدر المتألهين.[٣٠]

ويتمركز انتقاد المجلسي في هذا البحث على النظرية الفلسفية في تعريف العقل بالقول ان معناه هو (الجوهر المجرد عن المادة)، لأنه يستلزم انكار ضروريات الدين: فحدوث العالم ينتفي، ويظهر وجود جوهر مجرد آخر غير الله، بينما لا يوجد ــ برأيه ــ وجود مجرد إلا الله.

[٣٠] – شرح اصول الكافي، ج١، ص٢٢٢ – ٢٢٩.

ثم يدعي أن كل ما ينسبه الفلاسفة للعقول المجردة تذكر الاحاديث أنه ثابت حصوله لارواح النبي والأئمة (عليهم السلام). ومن جملة ذلك فان الفلاسفة يثبتون للعقول صفة انها قديمة، بينما نجد الاحاديث الواردة تؤكد أسبقية وتقدم خلق أرواح الأئمة، هذا الادعاء من المجلسي ليس دقيقا تماما، لأن التقدم يتخذ معناه في سياق الزمن، و"صفة القدم" لا انسجام بينها وبين تقدم خلق ارواح النبي والأئمة (ع) زمنيا.

والامر الآخر، هو علم الله، فحسبما قال المجلسي فان من ضروريات مذهب الامامية هو اولا ان الله يعلم كل شيء منذ الازل والى الأبد، ولا يطرأ تغيير على علمه. ثم قال:

[ان كل الحكماء يخالفوننا في هذا الباب، وينفون علم الله بالجزئيات] (ج٤، ص٨٧).

فهل ان النظريات الفلسفية يمكنها ــ بالمبادئ التي تتضمنها ــ حل هذه المشكلة وإثبات علم الله بالجزئيات؟ سؤال ينبغي ان يجيب عنه الفلاسفة.

النموذج الآخر لانتقادات المجلسي للفلاسفة يخص المعاد الجسماني. ولو استثنينا جهود **صدر المتألهين** لاثبات المعاد الجسماني وما ادت إليه من ردود فعل بين مؤيديه ومعارضيه واتباعه في هذا الصدد، نجد أن معظم الأنظمة الفلسفية عجزت عن البرهنة على كون المعاد جسمانيا، او انها أنكرته بالمرة.

فقد تحدث **ابن سينا** في كتابيه (الشفا) و(الاضحوية) بصراحة عن عدم امكانية البرهنة على المعاد الجسماني بالدلائل والبراهين الفلسفية، وفي نفس الوقت أكد: اننا في هذا المقام واعتمادا على الشريعة ومن أجل تصديق خبر النبوة نؤمن به.[31]

يقول المجلسي في هذا الصدد: ان الاعتقاد بالمعاد الجسماني من ضروريات الدين وانكاره امر غير ممكن فان تصريح آيات القرآن الكريم بذلك امر لايقبل التأويل، كما أن الاحاديث وصلت حد التواتر في هذا الصدد، بحيث لا يكون من الممكن انكارها.

وينتقد الفلاسفة غير المسلمين ويصفهم بـ (ملاحدة الفسفة) الذين يرفضون هذا المعاد على اساس قاعدة "امتناع إعادة المعدوم" ويدعي أنهم لم يقدموا دليلا لاثبات هذه القاعدة وطرحوا الشبهات فقط، وكل من ينظر

---

[31] - يقدم الاستاذ السبحاني في كتاب (الالهيات) (ج٢، ص٧٧٦) توضيحا لهذا القول الوارد عن ابن سينا، فيقول: إن مراده ومقصوده من المعاد الجسماني هو الثواب والعقاب الجسماني، لا الحشر الجسماني الذي هو محل اتفاق الآراء. واضاف ان استاذ الحوزة العلمية الكبير في قم المرحوم العلامة الطباطبائي كانت لديه مناقشات كثيرة بشأن البحوث المرتبطة بالمعاد الجسماني في اسفار صدر المتألهين ولم يقم بتدريسها، نظرا لكون حديث صدر المتألهين عن المعاد لا ينطبق مع آيات القرآن الكريم... ولو كان قد تقرر أن يدرسها المرحوم الطباطبائي فسيكون مضطرا لتفنيد ودحض كل ذلك القسم من الاسفار (كيهان فرهنكي ــ كيهان الثقافي) السنة السادسة، نوفمبر ١٩٨٩، ص٦.

اليها بعين البصيرة ويترك تقليد المتفلسفين يدرك ضعف هذه الموضوعات (ج٧، ص٤٧).

وفي موضع آخر يوصي المجلسي:

[الأجدر أن نؤمن بالمعاد الجسماني على اساس المتواترات من النصوص الدينية والعلم القطعي... وان لا نبقى نلف وندور حول الموضوع، لاننا غير مكلفين (بالبحث) في هذا الامر اكثر من ذلك. وربما أدى بنا التفكير بهذا الموضوع اكثر الى نتائج غير واقعية، وفي هذه الحالة لا نملك عذرا].[٣٢]

وبشأن الملائكة، يقول المجلسي انه بناء على إجماع الامامية بل جميع المسلمين، فان الملائكة موجودون، وهم أجسام نورانية ولطيفة و... ثم يشكو من بعض الفلاسفة القائلين بتجرد الملائكة، والانكى من ذلك انهم يؤولون هذه النصوص الدينية او الاقوال على أنها هي العقول العشرة والنفوس الفلكية والقوى والطباع في العالم. والمجلسي لا يقبل مطلقا بهذه التأويلات، ويرفضها بشدة، فيقول:

[ان تأويل الآيات الكثيرة والاحاديث المتواترة استنادا الى الشبهات الساذجة والاستبعادات

---

[٣٢] - البحار، ص٥٣، وكذلك عين الحياة، ص١٥٣.

المتوهمة يعد ابتعادا عن طريق الحق] (ج٥٦، ص٢٠٣).

وباستعمال عبارة "الجسم النوراني اللطيف" لا يمكن بلورة المفهوم الصحيح والمعنى الصائب المراد، والعلم بوجود الملائكة وخصائصهم يتطلب تجربة لا تحصل إلا للقلة من الاشخاص، بيد أن ما ذكره المجلسي في محله. فالى أي مدى تتمتع نظرية العقول والنفوس الفلكية بركائز مقبولة وقطعية ومبرهنة لكي نقوم بتقديم مثل هذه التأويلات؟ اضافة الى ذلك، ماهي الحاجة لمثل هذه التصرفات في المعطيات والنصوص الدينية وأي مشكلة عالجناها بهذا الاسلوب؟

وكاتب هذه السطور لا يقبل بادعاء المجلسي بأن اهل الفلسفة (وبتعبيره هو: المتفلسفين) لجأوا الى هذه الاساليب بدافع تخريب المبادئ وتحريف الدين وطمس معتقدات المسلمين[٣٣] ولا يوافقه الرأي، ويرى أن دخول الفلسفة والعلوم الى العالم الاسلامي عن طريق ترجمة النصوص والمؤلفات العلمية، أمر ايجابي، لكنه لا يوافق على التطبيقات التي تفتقد الدليل وعديمة الثمار، ويعتقد ان معارضة المجلسي لمثل هذه التأويلات حق.

وخلافا لما ظنه بعض، فان المجلسي ليس قلقا من وجود حقائق مجردة، غير الله عز وجل، ولكنه ينتقد التعابير الدينية المستعملة لتطبيق بعض الاكتشافات العلمية عبر التأويل.

---

٣٣ - البحار، ج٥٦، ص٢٠٣، ويراجع كذلك (عين الحياة)، ص٦٢,

والطريف أنه في موضوع البحث بشأن الروح والنفس نجد المجلسي يتحدث عن قضية التجرد، مرة اخرى. وادعاؤه هو أنه لم يرد دليل عقلي على تجرد النفس ولا على ماديتها، وان ظواهر الآيات والأخبار نشير الى كون الروح جسما، ولكن وردت تعبيرات في بعض الروايات يمكن من خلالها استنباط كون الروح مجردة (ج٥٨، ص٣٥و٤١).

وبناء على ذلك، فمع ان القائلين بتجرد الروح لا يمكنهم تأويل هذه القضايا الدينية بشكل قاطع وحاسم، ففي الطرف المقابل لا يمكن تكفير المعتقدين بتجرد الروح، فهذا الامر تطرف وسلطوية (ج٥٨، ص١٠٤).

وادعاء **الاستاذ الآشتياني** بأن المجلسي أصدر حكما بتكفير القائلين بتجرد غير الله،[٣٤] لا ندري ما هو مصدره ومستنده فالمجلسي لم يكن يرى تكفير هذه الشريحة من الناس، **اولا**: لأن بعض الاحاديث تشعر بتجرد النفس، **وثانيا**: لأنه كان من بين مشاهير وأعاظم علماء الامامية أشخاص يقولون بتجرد النفس. وان طريقة المجلسي واسلوبه في معظم أبحاثه الكلامية ومباحثه الفقهية وغيرها يعكس الاعتدال في رؤيته العلمية. وهذه الحقيقة لا تخفى عن العارفين بمؤلفاته العلمية.

وذكر هذه النقطة ربما لا يخلو من فائدة وهي ان **صدر المتألهين** بدفاعه المستميت واصراره الشديد على نظرية تجرد الروح يقول "إن منكري تجرد النفس ونشأة الارواح... ومعظم المتكلمين وكافة الأطباء والطباعيين واخوان جالينوس هم في الحقيقة... ليسوا من أهل العلم والمعرفة" وفي

---

[٣٤] – مجلة (كيهان انديشة ــ كيهان الفكري) العدد ٣، ص٤٨.

الحقيقة انهم "من الكافرين، رغم انهم في الظاهر، يجري عليهم حكم المسلمين" ويكرر:

[ان أفراد هذه الجماعة هم مسلمون في الظاهر وفي الحقيقة مماثلون للكفار].[35]

فضلا عن أن هناك مغالطة في كلام **صدر المتألهين** وان نفي تجرد الروح ليس يستلزم منطقا انكار بقاء النفس وطبعا المعاد. ومع ذلك فان اتهام الآخرين بالكفر أمر يستحق التوقف والتأمل. وان الايمان والكفر يتم تعريفهما في اطار ديني، وان مؤثرات وخصائص التفريق بين المؤمنين والكفار تجد معناها ومفهومها في اطار منظومة التعاليم والمعارف الدينية المقدسة. ومن هنا فلا شك أن صدر المتألهين قال كلامه هنا بصفته عالما دينيا وحكم بهذا الحكم وقطعا انه لم يقل ذلك في سياق خطاب او شعر.

والآن، اذا كان إصدار مثل هذا الحكم جائزا وان اشخاصا يحق لهم ــ استنادا الى اعتقاداتهم الدينية ــ تكفير مخالفي آرائهم ونظرياتهم فلماذا يعترضون على الآخرين لإصدارهم أحكام التكفير؟

فضلا عن ذلك، نجد ان المجلسي لم يكن في عداد هؤلاء واساسا لم يكن يرتضي ان تقع مثل هذه التقسيمات في صفوف المؤمنين. والطريف ان المجلسي ذكر في بحثه لموضوع النفس بعض أدلة المعارضين لتجرد النفس، وشخص نقاط ضعفها. وفي مواضع اخرى عندما يرى ان شرح رواية

---

[35] - (رسالة سه اصل ــ رسالة الاصول الثلاثة) ص٥١ - ٥٢.

وتبيانها يمكن ان يتم بواسطة الرأي الفلسفي وباسلوب يتسق مع الدليل الفلسفي لم يكن يمتنع عن ذلك.[36]

والنقطة الاخرى هي طرحها المجلسي وعارضها الفلاسفة هي إعراض الحكماء عن تعاليم الانبياء وابتعادهم عنها. انه يدعي أن الحكماء (ومراده بذلك هم فلاسفة ما قبل الاسلام) لم يكونوا يؤمنون اساسا بنبوة الأنبياء ولا يعتقدون برسالاتهم. انهم يرون الأنبياء اناسا ــ مثلهم ــ ذوي رأي ونظرية يصيبون أحيانا ويخطئون اخرى، وهؤلاء الحكماء ــ خلافا لما يعتقد أتباعهم ــ لم يأخذوا علومهم من "مشكاة معارف وعلوم الانبياء الوضاءة".[37]

وفي المقال، نجد **صدر المتألهين** ــ ويوصف بانه من اساطين الحكمة الكبيرة، ومن مفاخر الفلسفة الافذاذ ــ يقول انهم أخذوا علومهم من "مشكاة علوم الانبياء المنيرة". وينتقد الحكماء المتأخرين الذين لم ينتهجوا طريقة السلف وابتعدوا عن آثار وميراث الأنبياء وظلوا يعللون النفس بالبحث والتكرار وحسب.[38]

هذا الموضوع هو الآخر من المقولات والقضايا التي ينبغي دراستها من جديد الآن، لأنه لابد من إعادة النظر في كلا الادعائين. وفي هذا النطاق

---

[36] – من جملة ذلك ما نراه في البحار ج٣، ص٣٢١، وج٦، ص٢٣٢ وج٦١، ص٨٠.

[37] – البحار، ج٥٧، ص١٩٤.

[38] – الشواهد الربوبية، ص٢٨٠.

تندرج الدراسة الجادة للتعرف على رأي المجلسي بشأن العلوم المختلفة وعلاقتها بالدين. وهذا البحث والدراسة تعيننا في تحليل وتشخيص منحى الحركة العلمية والفلسفية للمجتمع الشيعي وربما كانت نافعة لنا في المستقبل أيضا.

والنقطة الاخرى التي ينبغي لنا الاشارة اليها في هذا البحث هي انه بالرغم من أن المجلسي يتطرق في مواجهته للفلاسفة الى القضايا الدينية، فيبدو من عباراته في بعض مجلدات بحار الانوار أنه لا يحمل نظرة ايجابية عن بعض العلوم والمعارف الاخرى التي تعد ــ حسب التقسيمات المتعارف عليها ــ قسما من الفلسفة ومن فروعها، وفي حالات عدم وجود انسجام بين التعاليم الدينية ومبادئ تلك العلوم فانه يجيب بكل سهولة عن ذلك بأن مباحث العلوم عبارة عن فرضيات ونظريات غير مقطوع بها. والامور التي طرحها المجلسي تلفت النظر من هذه الزاوية وهي أن بعضها مجرد فرضيات علمية لا حقائق تجربية ورياضية.[٣٩]

فضلا عن ذلك، وكما أسفلنا القول فان انتقال العلوم الاخرى الى العالم الاسلامي تم ــ في نظر المجلسي ــ بدافع تخريب الدين وحرفه وان القائمين بذلك كانوا هم الحكام الذين أرادوا إبعاد الناس عن الامور والمفاهيم الدينية وفصلهم عن المعلمين الاصليين الصالحين للتعاليم الدينية. ومن أجل التدليل على صحة ادعائه يشير المجلسي الى شرح لامية العجم للصفدي فيقول:

---

[٣٩] – من ذلك ما نجده في البحار، ج٥٤، ص٣٥٤.

[عندما عقد المأمون معاهدة الصلح مع أحد الملوك المسيحيين، طلب منه مجموعة من الكتب اليونانية. فاستشار الملك المذكور المقربين منه فعارض ذلك الطلب كل الحاضرين إلا عالم مسيحي واحد. لكن ذلك العالم المسيحي قال ابعثوا هذه الكتب لأن هذه العلوم لم تتح حتى الآن لحكومة دينية إلا وجرتها للانحطاط والزوال، واوقعت بين علمائها الخلاف والنزاع] (ج٥٧، ص١٩٧).

ثم نقل عن الصفدي نفسه قوله انه قبل المأمون بادر يحيى بن خالد البرمكي الى تعريب كليلة ودمنة من كتب الايرانيين، والمجسطي من كتب اليونايين. كما يشير الى رواية مشهورة وهي ان اول مترجم عرب الكتب اليونانية هو خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان مفتتنا بالكيمياء مولعا بها.[٤٠]

ثم ذكر المجلسي شواهد اخرى من رغبة الخلفاء وحواشيهم في الفلسفة، منها: ان سبب مخالفة يحيى البرمكي لهشام واستشارة هارون ضده

---

[٤٠] – قال ابن النديم في الفهرست (ص٤٤١) ان خالدا كان يعتبر حكيم آل مروان، وقد أمر ثلة من فلاسفة مصر بترجمة كتب الكيمياء من اليونانية والقبطية الى العربية، وكانت هذه هي المرة الاولى ــ في صدر الاسلام ــ التي تحدث فيها ترجمة من لغة ما الى العربية.

هو ان هشام كان ينتقد الفلاسفة. وهذه القضيــــة ذكرهــا الكشــي في رجاله.[41]

كما أنه يشاهد من بين كتب ومؤلفات الشيعة في القرون الاولى عــدة كتب تدل على معارضتها للفلسفة ومخالفتها للفلاسفة، ككتاب (الرد على الفلاسفة) من تأليف الفضل بن شاذان النيشابوري.[42]

و لم يكتف المجلسي بهذا القدر ونقل عن الفخر الرازي أقوالا تدل على عدم اعتقاد الفلاسفة بالأنبياء من جملتها انه لما قيل لسقراط لماذا لا تهــاجر نحو موسى أجاب: نحن هذبنا انفسنا بأنفسنا ولا حاجة لنا بمــن يــهذبنا (ج٥٧، ص١٩٨). وموضوع اتهام الفلاسفة بانكار الانبياء ذكــره ابــن الجوزي في تلبيس ابليس والسيد نعمة الله الجزائري في الانوار النعمانيـــة! وهو يشمل افلاطون كذلك.

وهذه الرؤية جديرة بالتأمل من بعض النواحي:

الاولى: انها تستند على قول غير موثوق به وغير صحيـــح، لانــه في مقابل رواية الصفدي، روى ابن النديم وغيره بان تعلق المأمون ورغبتــه في ترجمة الكتب العلمية والفلسفية الى اللغة العربية رؤيا رأها في المنام. وقيــل ان المأمون رأى في الحلم ارسطو الذي دعا خليفة المسلمين الى اتباع العقــل والتزام الشريعة. ثم كتب المأمون الى ملك الروم رسالة طلب منه فيــها أن يقبل بأن يوفد عدة اشخاص الى بلاد الروم ليختاروا شيئا من علوم الاولين

---

[41] - اختيار معرفة الرجال، ص٢٥٨ - ٢٦٣.

[42] - رجال النجاشي، الرقم ٨٤٠.

وكتبهم فيجلبوها معهم الى بغداد: فلم يوافق ملك الروم في البداية لكنه قبل اخيرا وتمت عملية الترجمة.[٤٣]

وبرأينا ان هذه الرؤيا وتلك الرواية مثل ما نسب الى سقراط وافلاطون، لا اساس له وهو من مزاعم المؤيدين والمعارضين للعلوم المستوردة الى المسلمين. فالذين كانوا يعارضون انتقال تلك العلوم حاولوا من خلال نسبة الرؤيا الى خليفة المسلمين التدليل على صحة نظرياتهم. والذين يتبنون نظرية التعارض بين العلم والدين دللوا على صحة رأيهم بنسبة بعض الامور الى سقراط وافلاطون وافتعال القصص لتوظيفها في هذا المجال كما يريدون.

والثانية: ان ترجمة الكتب والنصوص العلمية الى اللغة العربية تمت من الكتب السريانية اكثر مما حصلت من الكتب اليونانية وقبل ان تجلب هذه الكتب من الروم واليونان فانها انتقلت من المدارس والمراكز المسيحية داخل البلاد الاسلامية. وكانت الحاجة العلمية للمجتمع الناهض ـــ كما ونوعا ـــ والدولة المضطردة التوسع من الناحية الجغرافية هي منشأ تلك الترجمات والباعث لحصولها، ولذلك بدأت حركة الترجمة من تلك اللغات الى اللغة العربية ـــ وهي اللغة الرسمية والمتفوقة في الدولة الاسلامية آنذاك ـــ .

وأوضح السيد **بول كونيتش**[٤٤] في بحثه القيم حول دوافع وتطور ترجمة النصوص العلمية الى اللغة العربية لماذا كان معظم مترجمي العهد

---

٤٣ - الفهرست، ص٤٤٣ - ٤٤٤.

44 - Paul Kunitzsch.

الاسلامي الاول مسيحيين، وان معظم الكتب المترجمة تمت ترجمتها من الترجمة السريانية للكتب اليونانية. والطريف ان تلك الكتب لم تكن من التراث المباشر الاصيل للعلوم اليونانية، بل كان معظمها قد طرأت عليه تعديلات وتغييرات وان موضوعاتها قد شهدت انخفاضا في مستواها.[٤٥]

وثالثا: إن فهم وتلقي عدد كبير من المسلمين للعلوم الواردة ـــ من باقي البلدان الى بلاد المسلمين ـــ لم يكن مستندا الى كون تلك العلوم مناقضة او منافسة للدين. فقد استند علماء **كأبي ريحان البيروني** في التدليل على ضرورة دراسة العلوم الرياضية والنجوم، الى وجود بعض الاحكام الشرعية في الاسلام وكذلك الىبعض الآيات القرآنية.[٤٦]

وخصص **ابن يونس** في (الزيج الكبير الحاكي) الفصل الاول لشرح آيات من القرآن الكريم تدعو الانسان للنظر والتأمل ومعرفة الطبيعة والعالم المحيط بالارض. والباحثون الذين درسوا عوامل ازدهار ونمو العلوم المختلفة بين المسلمين اكدوا ـــ بحق ـــ على هذه النقطة الدقيقة وهي ان التعاليم والاوامر القرآنية لعبت ـــ من بين العوامل الاخرى ـــ الدور الأهم على هذا الصعيد.[٤٧]

---

[٤٥] – مجلة تاريخ العلوم العربية والاسلامية، ج٤ (١٩٨٨)، ص٩٢ – ١٠٥.

[٤٦] – على سبيل المثال، انظر: مقدمة البيروني لكتاب تحديد نهايات الاماكن.

[٤٧] – خصص الباحث الايطالي الشهير في تاريخ علم الفلك والنجوم الاسلامي ألفونسو نلينو، فصلا لهذا الموضوع.

ورابعا: على افتراض ان عملية الترجمة تمت ــ بادئ ذي بدء ــ بهذا الدافع فان نتيجتها كانت امرا آخر غير ذلك. فقد أصبحت تلك الترجمات مستندا ومرجعا او ركيزة للجهود والمساعي التي بذلها العلماء المسلمون طيلة عدة قرون، وقد اثمرت تلك الجهود والمساعي لنا ميراثا قيما من شتى المعارف والعلوم، وبعد ان ترجمت هذه المؤلفات العلمية الى اللغات اللاتينية فتحت طريقا جديدا في مسيرة الآخرين العلمية.

يقول بول كونيتش:

[ان المسلمين لم يكتفوا بترجمة علوم السابقين ودراستها وتعلمها ونقلها بل قاموا بتطبيقها وبالتالي أدى ذلك الى تطورهم واصلاحها، وأضافوا الى هذا الكنز والرصيد الانساني تعاليم ومعارف وعلوما قيمة وجديدة، استند اليها المتأخرون في العهود التالية وتمكنوا من بلورة ابتكارات واختراعات اخرى استنادا اليها بحيث ادت بمرور الزمان الى ظهور العلوم الحديثة التي نراها حاليا].

وواأسفا لتراخي واهمال المسلمين وغفلتهم خلال العقود الاخيرة وعدم رغبتهم في مواصلة طريق اسلافهم الواعين الاذكياء والجادين، بل انهم لم يهملوا ويغفلوا مواصلة نهجهم بل اغفلوا حتى صون ما توصل اليه اولئك الأسلاف. وقد أدرك بعض الذين كانت لديهم صلات مع العالم الاسلامي

آنذاك عدم رغبة المسلمين وعدم تعلقهم (بما لديهم من كنوز علمية قيمة) فحثوا حكامهم على نقل الكتب العلمية للمسلمين الى اماكن اخرى، والاستفادة منها. ولولا دراسات وبحوث الباحثين المنصفين في العقود الاخيرة في تاريخ العلوم لكان اطلاعنا على كنوزنا القيمة الفاخرة ودور العلماء المسلمين في دفع عجلة تطور المسيرة العلمية البشرية، أقل ما يكون.

ونوشك أن نبتعد عن موضوع البحث ولكن لابد من ذكر هذه النقطة وهي أن أفول شمس العلم ونجم المعرفة في العالم الاسلامي يعود الى سلسلة من العوامل والاسباب التاريخية والسياسية والاجتماعية والفلسفية والكلامية. ففي العهد الذي نحن بصدد الحديث عنه كان حكام البلاد مطلعين على التطورات الصناعية والعلمية في اوروبا ومع الاسف الهم وقفوا تجاهها موقف المتفرج غير عابئين بها. ويعكس كلام **الشاه سلطان حسين** مخاطبا **جاكوب روسو**[٤٨] وهو من أهالي جنيف ويعمل في مهنة صناعة الساعات والجواهر ويقطن في اصفهان ثلاثين عاما؛ يعكس معرفة الحقيقة وعدم المبالاة في الوقت نفسه. فقد قال له:

[إنني أجد أن الإفرنج افضل من عمالنا، وأخشى من أن يسبقونا من الناحية الدينية كما سبقونا في الفن] .[٤٩]

48- Jacob Rousseau.

٤٩ – انظر: (انقراض سلسلة صفوية) ص٨٨ و٤٩٢. قارن بين هذا الكلام وكلام محمد حافظ اصفهاني، المخترع والمبتكر الشيعي الذي كان يعيش في

وان اقبال الفلاسفة على البحوث والموضوعات الدينية (سواء بشكلها الفلسفي المحض، او مقترنة مع التعاليم الدينية) وعدم ايلائهم أي اهتمام لباقي المجالات والفروع العلمية البشرية ادى الى فقدان العلوم رونقها في هذا العهد، وهو أمر لم يكن تأثيره قليلا.

لقد صرح **صدر المتألهين** ـ الذي يوصف بحق أنه أكبر فلاسفة العهد الصفوي ولا يخفى تأثيره على فلاسفة العهود الاجيال التالية، عن أحد ـ قائلا: إن كثيرا من العلوم التي تحظى باقبال ورغبة من الناس (علماء الرسوم) انما تندرج في اطار الصناعة والحرفة، وان العلم المفيد في الآخرة انما هو العلم الديني ومعرفة الله وما يماثلها.[50]

ويقول **صدر المتألهين** في موضع آخر في سياق البحث في موضوع حكمة وجود الاختلاف بين قابليات الناس وطاقاتهم، سواء من حيث النوعية او من حيث الشدة والضعف فيطرح نظرية أن اعمار وازدهار العالم يتم على أيدي الناس ذوي (النفوس الغلاظ) والشياطين المتجسدين على شكل بشر والذين لابد من وجودهم، إذ لو كان جميع الناس كالأنبياء وأولياء الله فان نظام المسلمين يصيبه الخلل والاضطراب.[51]

القرن العاشر في مقدمة كتابه (نتيجة الدولة) حول حساسية الملوك التيموريين تجاه التطور العلمي والصناعي للعالم الاسلامي وانفاق النفقات الكثيرة في هذا السبيل، (ص١١ - ١٢).

[50] – كسر أصنام الجاهلية، ص١٠. وأورد المؤلف عبارة (علماء الرسوم) بالعربية فأبقيتها كما هي ـ المترجم.

[51] – شرح اصول الكافي، ج١، ص١٩٤.

ومن خلال رواج وشيوع نظريات من هذا القبيل، حصل الإعـــراض والإهمال للعلوم والفنون وزاد الاقبال والاهتمام الكامل بفروع خاصة مـــن الفلسفة، وهو نتيجة طبيعية والحالة تلك.

فأي انسان ذكي وواع كان بإمكانه تحمل سياط احتقـــار الآخريـــن ونظرهم له علىأنه (من أهل الحجاب والظلمة) لو اقبل علــــى الاعمـــال الحقيرة وذات القيمة الضئيلة؟

وكما نعلم فان الرياضيات والفلك (النجوم) قد حذفت من النصـوص الفلسفية في هذا العهد والعهود التي تلته، تدريجيا بالرغم من انه سبق ذلـــك الاهمال وعدم الاهتمام عهد الصفويين انفسهم، وكانت بذوره قد زرعـــت قبل تلك الحقبة.[٥٢]

هذا في الوقت الذي نجد أنه أثناء تأليف كتاب (الشفاء) الذي يشـــبه الموسوعة، ونظرا لكون مجموعة مؤلفات **ارسطو** الفلسفية لم تكن تحتـــوي على الرياضيات وتأليف كتاب (الشفاء) تم وفقا لأسسه واصوله، نجـــد أن ابن سيناء بادر لغرض سد النقص فيه، الى تضمينه موجزا لاصول **اقليدس**.

أجل، كان المجلسي ينظر الى العلوم بنفس العقلية التي كانت سـلئدة في عهده، وبالطبع فانه كان يفكر بكونها تفتقد أي رونق وجذابية تذكـر. ولا يمكن ـــ طبعا ـــ أن تترتب على تلك العوامل والمعالم التي كانت ســـائدة

---

[٥٢] – على سبيل المثال: راجع شرح حكمة العين لميرك بخاري، وتوضيح المؤلف حول علم الرياضيات.

ومتعارفة في المجال السياسي والفلسفي والكلام، نتائج غـــير تلـــك الــتي تبلورت وأفرزت.

والخامسة: ان المرحوم المجلسي اعتمد في كثير من المجالات ـــ لغــرض فهم وتبيان المراد من الاحاديث ـــ على هذه العلوم نفسها، بينما لم يكـــن بالامكان الحصول على تلك المعارف في المصادر الدينية آنذاك.

وكان من المستلزمات المنطقية لهذا الاسلوب هو أن تكون تلك العلـوم معتبرة من الناحية الدينية ومجازة، ثم يجري ترويجها واشاعتها بين المســلمين كعمل صائب وأمر صحيح. وقد أشرنا فيما مضى من الكتاب الى استفادة المجلسي من قاعدة (تدوير الاعداد) من أجل توضيح أحـــد الأحـــاديث. وكنموذج آخر يمكننا الاشارة الى محاولته هو وبعض البـــاحثين المحققـــين الآخرين دراسة الجملة المشهورة المنسوبة الى النبي الاكرم (ص)، كشـــاهد على ما نقول.

فقد روي عن النبي (ص) انه قال عن قبلة مســـجده "**محـــرابي علـــي الميزاب**" و لم تكن هناك وسيلة او آلة لدى الرسول (ص) وقد عين القبلـــة بهذه الدقة. وللتحقيق في هذا صحة الادعاء يوجد طريق واحد لا غير وهـــو الحسابات الفلكية والنجومية والمقاييس الجغرافية وقد اختار المجلسي هــــذا السبيل نفسه، رغم أنه ونظرا لعدم امتلاكه جداول دقيقة لخطوط الطـــول والعرض وقع في الخطأ و لم يصل الى النتيجة الصحيحة.[٥٣]

---

[٥٣] – **قام بمتابعة ما أراد ان يقوم به المجلسي ــ فيما بعـــد ــ الفلكـــي المنجـــم الايراني المرحوم حيدر قلي خان سردار كابلي، المجهول المكانة والمنزلة، فـــي**

بيد أن المهم في ذلك السعي والجهد الذي بذله هو اعتقاده بالاساليب والمعطيات العلمية. وفي تعيين اتجاه قبلة المساجد وبقية المشاهد استخدم "القواعد الرياضية" واستطاع تعيين مقدار الميل والزاوية المنحرفة التي تعين بموجبها القبلة في العراق.

[لقد وجدت أن محاريب العراق وأبنيته متباينة ومتنوعة وأن أقربها الى القواعد الرياضية محراب الحائر الحسيني وحتى هذا المحراب كان يوجد فيه قليل من الانحراف] (ج٩٧، ص٤٣٣ - ٤٣٤).

ولا ينبغي أن نغفل عن الاشارة الى أن المجلسي ذكر مرارا أنه ينبغي أن نتعلم من العلوم ما ينبغي تعلمه ويلزم الانسان في أمر الدين، وأن معرفة الطبيعة أمر مفيد بالقدر الذي تزود المرء به من الفوائد وتعلمه من آثار

كتاب (تحفة الأجلة في معرفة القبلة) وبعد البحث والتحقيق الكاملين أثبت أن الدائرة العظيمة لقبلة محراب المدينة تمر بالضبط على ميزاب سقف الكعبة. وكتب صديقنا العلامة السيد ماشاء الله علي احيائي مقالة عملية وبحثا تحقيقيا عنوانه (معلم مئة مدرس) قام فيها بضبط وتعيين قبلة المدينة وتبيان "المعجزة القابلة للتجربة" المأثورة عن النبي (ص). (راجع: مجلة تحقيقات اسلامي، السنة الثامنة، ١٣٧٢، ص١٦٥ - ١٧٨).

الظواهر وتزيد الانسان علما واطلاعا ومعرفة بالامور، وهي عمـــل نـــافع ومجد.[54]

والمجلسي نفسه عندما قدم شرحا للحديث المشهور عــــن ايمـــان أبي طالب، فتح بابا خصصه "لقواعد حســـاب العقـــود" وذكـــر أنـــه درس الرياضيات لدى استاذه (قال استاذنا في الرياضيات قدس الله لطيفه).[55]

السادسا: لاشك أنه كان هناك أشخاص يحاولون أن يعتبروا علـــــوم الامم الاخرى ـــ وخاصة ماكانوا يصفونه (فلسفة) ـــ منافسة للدين، ومن خلال ايلائها اهتماما كبيرا والتركيز عليها يبتعدون عن الديــــن برمتـــه. وهؤلاء الاشخاص عادة ما كانوا يطرحون امورا فلســـفية او بعـــض آراء الفلاسفة أكثر من غيرها من أجل تحقيق أهدافهم وبلوغ مآربهم، مثـــل آراء (الطبيعيين والدهريين). وأقوى الظن فان ما كان ينقل عن هشام بن الحكم او الفضل بن شاذان يدور حول هذه الموضوعات.

والنقطة الاخيرة هي اننا لو بحثنا موضوع انتقال العلـــوم الى العـــالم الاسلامي وفقا لمنطق المجلسي، فينبغي أن لا نحمل فهما خاطئا عـــن هـــذا الامر، اذ لو كان الاهتمام بالعلوم غير الدينية خاطئا لكان الأئمة قد ذكروا

---

[54] – على سبيل المثال يراجع رأي المجلسي حول تعلم علم النجوم في: البحار، ج٥٥، ص٣٠٩ – ٣١١.

[55] – كتاب الاربعين، ص١٩٠ – ١٩١ [لم أفهم المراد بقول الكاتب (قدس الله لطيفه) ـــ المترجم].

ذلك في رواياهم، قطعا، بينما المجلسي نفسه وغيره لم يرووا مطلقا مثل هذه الروايات عنهم. وطبعا لا ينبغي ان نتوقع غير ذلك أيضا.

* التصوف والصوفيون في مؤلفات المجلسي

من الامور التي قلما غفل عنها المجلسي في مؤلفاته ــ ويجمع على ذلك مؤيدوه ومعارضوه ــ مخالفة الاتجاه الصوفي ومناوأته وقد صرح بذلك هو نفسه في أحد كتبه موضحا أنه يصر ويركز على مكافحة المنهج الصوفي، لأنه وجد هناك اتجاها بين الناس واقبالا على السير في خط التصوف. وأضاف أنه من أجل مواجهة التصوف بادر الى نشر أحاديث الأئمة. ونحاول هنا تسليط الضوء على تعريف ونقد المجلسي للاتجاه الصوفي (لا بمعناه المنطقي).[٥٦]

---

[٥٦] – حول وضع التصوف في عهد الصوفيين، وضعفه وقوته في المجالين السياسي والاجتماعي والتحولات السلوكية لهم ومواجهة علماء الشيعة لهم ــ كالفقهاء والمحدثين والحكماء ــ أنجزت العديد من المؤلفات والتحقيقات. ومن الكتب والبحوث النافعة والضرورية لمعرفة هذه المرحلة ما كتبه الاستاذ زرين كوب في نطاق كتابه (بحث حول التصوف في ايران) (ص٢٢٣ الى ٢٦٧: عهد مدرسة أصفهان). كما كتب الفاضل المفكر السيد جعفريان مقالة تحت عنوان (المواجهة بين الفقهاء والصوفيين في عصر الصفويين) (كيهان انديشه، رقم ٣٣، ص١٠١ – ١٢٧) وهو يقدم معلومات واسعة ومفصلة حول كتابات الفقهاء ومواقفهم التي اتخذوها في قبال الصوفيين. كما تحدث الاستاذ ذبيح الله صفا في كتابه تاريخ ادبيات (المجلده، القسم الاول، ص٢٠١ – ٢٢٨) عن هذا الموضوع وطرح رأيه النقدي في هذا المضمار.

وقد اخترنا في هذا البحث ثلاثة من مؤلفات المجلسي لنسلط الضوء على ما كتبه فيها حول هذا الموضوع وهي: **عين الحياة، بحار الانوار، وجواب المسائل الثلاث.**[٥٧]

وفي باب التصوف وخاصة فيما يتعلق بالوضع العام للمتصوفة في العهد الصفوي، ينبغي الفرز بين عدة مواضيع:

(١) عدم التزام كثير من أهل التصوف بالآداب الدينية والنواهي الأخلاقية.

(٢) ابداع مراسم ومناسك عبادية او سلوكيات اجتماعية وأخلاقية ليست من الشريعة في شيء.

(٣) وجود وبروز آراء لا تتفق مع التعاليم الدينية، بين أهل العرفان.

(٤) الاعتقاد بالجوانب الباطنية في الدين وامكانية السلوك المعنوي.

وان عدم الالتزام بالآداب والتعاليم الدينية وعدم الاحتراز مما نهت عنه الشريعة واكدت على اجتنابه يعتبر بالطبع في بعض الظروف السياسية "من

٥٧ - ذكر الرسالة الاخيرة نائب الصدر في طرائق الحقائق وقام السيد جعفريان بتصحيحها على اساس عدة نسخ ونقل في هذه الرسالة المناقشات المتعلقة بكونها منسوبة او منحولة مع بحث المناقشات المتعلقة بالموضوع.

الاعراض الناتجة عن حالة عدم الاعتدال وفقدان التوازن الاجتماعي... والاحباط من نمط تصرف وسلوك المسؤولين الرسميين".[58]

والملاحظ أن الصوفيين عندما وجدوا أن الحكومة بدأت تتشدد في تطبيق أحكام الشريعة وتبعا لذلك فان طلاب الدنيا أخذوا ــ في مقابل التظاهر بالتدين ــ يطالبون بأجورهم ويطرحون مطامعهم؛ أجل طفق الصوفيون يجاهرون بعدم الاعتناء بالشعائر الدينية في قبال تشدد طلاب الدنيا المتظاهرين بالتدين وعديمي المروءة وكما يقول المجلسي: **"عندما صارت الغلبة والسيطرة للاسلام وباعتبار اجتماع الدين والدنيا في آن واحد زاد أعوان وأنصار الدين".**[59] لكن ذلك لم يكن كل السبب في حصول هذه الظواهر، فضلا عن أنه ليس مقبولا اتخاذ هذا السلوك حتى ولو كان يمثل هذا الدافع.

أجل، ان الميل نحو الاتجاه الباطني والابتعاد عن الدين يعتبر من أسباب إقبال عدد كبير من الناس ــ الذين يتظاهرون بالعرفان ويعتبرون أنفسهم صوفيين ــ على هذه الامور.

إن الاتجاه الباطني بادعائه أن اساس وجوهر الدين هو الارتباط المعنوي بالمعبود، يقدم لنفسه المسوغات والتبريرات لما يقوم به. وان الابتعاد عن الدين له حكاية اخرى. لكن المهم هو المعارضة الجدية والمخالفة الشديدة

---

[58] - بحث حول التصوف في ايران (دنباله جستجو در تصوف ايران)، ص٢٤٢.

[59] - عين الحياة، ص٢٥.

لجميع علماء الدين وحتى الحكماء ومشايخ العرفان مع هـــــذه النزعـــات والاتجاهات الباطنية.

وان الموقف الشديد والحازم الذي وقفه **الغزالي في** (**فضائح الباطنيـــة**) او (**المستظهري**) يندرج في عداد مواجهة الذين اقبلوا على الدين ونظـــروا له من زاوية التفاسير الباطنية فحسب.[60] وهكذا فان **محي الدين بن عـــربي** انتقد هذه الجماعة وصرح بان الذين يهتمون بظاهر الدين فقط، افضل مـن الذين يقدمون تأويلات باطنية للدين.[61]

وان الانتقاد الشديد والتقريع الذي بدر من **صدر المتألهين** ـــ في كتابه كسر أصنام الجاهلية ـــ للصوفيين الذين يمتنعون عن ممارســـــة العبـــادات بذريعة التوكل والالهام والاتصال بالحق ولا يعرفون من التصوف ســــوى هذه الدعاوى والكلمات والتعابير، كل ذلك يعبر عن هذه الحقيقة وهي أن

---

[60] - أورد الغزالي في هذا الكتاب (ص٥٥ - ٥٦) بعض المصاديق والنماذج من التأويلات الباطنية للاحكام كما ذكرها الباطنيون. فمثلا: انهم يقولون ان المحرمات رجال خبثاء ينبغي اجتنابهم، والعبادات اناس مخلصون ينبغي اتباعهم ويجب اقتفاء آثارهم. وهذا هو التأويل الذي نهت عنه الروايات الشيعية، وحذرت منه بشدة.

[61] - الفتوحات المكية، ج٥، ص١٥٨: ظهرت مجموعة ثالثة من الضالين المضلين. انهم يؤولون أحكام الشريعة بالمعاني الباطنية، ويتمردون على الحكم الظاهري للشريعة. وهذه المجموعة تسمى (الباطنية)... وقد ألف الغزالي كتاب (المستظهري) في تفنيد آراء هؤلاء الاشخاص... وقال ان السعادة من نصيب اهل الظاهر الذين يقفون على النقيض من أهل الباطن، وبالطبع فان السعادة الكاملة هي من نصيب من يجمع بين الظاهر والباطن.

ترك الشعائر وأحكام الدين، من قبل من يؤمن بالدين ويعتبره "حقا"، ليس مقبولا.

وقد قدم **محي الدين** تعريفا موجزا وبليغا لركن التصوف بالقول "انه الالتزام بالآداب الظاهرية والباطنية للشريعة"[62] ويوضح ان الالتزام المذكور هو المراد بمكارم الأخلاق.

وقال صدر المتألهين في هذا المقام:

[ان بعضا منهم ــ أي الصوفيين ــ يقولون: ان العبادات الظاهرية[63] لا قيمة لها ولا تقرب فيها، وانما المهم وحسب هو التوجه والالتفات القلبي، وان قلوبنا نظرا لكونها محبة لله فقد بلغت مرتبة (الحيرة) واستقرت في حظائر القدس. ونحن نمارس في الظاهر الاعمال الشهوية والملذات الجسدية لكن قلوبنا بعيدة عن هذه الامور.

إنهم يظنون أن ممارسة الاعمال الشائنة القبيحة، والآثام والذنوب، لاتبعدهم عن الله، لأنهم مقربون منه ويملكون منزلة رفيعة لديه].[64]

---

[62] – الفتوحات المكية، ج١٣، ص١٦٢.

[63] – الاعمال بالجوارح.

[64] – كسر أصنام الجاهلية، ص٤.

وإن التقارير والاخبار التي كتبها المؤرخون ــ وهي ليست قليلة ــ عن رواج هذا العمل وشيوع هذه الظاهرة بين الصوفيين عديمي الالتزام بالشرع المبين في العهد الصفوي، تعتبر أوضح الادلة على الموقف المتشدد والحازم لعلماء الدين تجاه هذه الطائفة، وهذا في الوقت الذي كان لكثير من الصوفيين انفسهم دور في قيام وتأسيس الحكم الصفوي، وطبعا فان التصدي لهم ومواجهة يعتبر امرا صعبا، ولكنه ضروري كذلك.

وحول **الشيخ زادة لاهيجي** ابن وخليفة **الشيخ محمد لاهيجي** وهو من مشايخ خانقاه نورية، ذكروا انه "وبدلا من الاستغراق في عوالم الرشاد والسلوك، كان يهتم بمرافقة الامراء والاعيان" وكما قال سام فان الميرزا غالبا ما كان بصحبة النجم الثاني "ومن فرط إكثاره من شرب المدام لم يكن يفرق بين الليل والنهار".[٦٥]

والاهم من ذلك: انهم يدعون الاستناد الى القرآن فيما يعملون. وقد ذكر المجلسي نقطتين ــ في كتابه عين الحياة ــ ونقل التبرير الصوفي المعروف في الحط من قيمة النصوص الدينية وضربها، ونقد هذا التصرف:

[وقد أولوا هذه الآية "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"[٦٦] التي تعني الأمر من الله تعالى بأن يعبد

---

[٦٥] _ انظر: بحث حول التصوف في ايران، ص٢٣٧ (نقلا عن تحفة سامي). اذن عندما نرى فيلسوفا ربانيا كصدرا الشيرازي تثور ثائرته ويصف مشايخ من هذا النمط (بأنهم حمقى وسفهاء وزنادقة) فلا عجب في ذلك.

[٦٦] - الحجر/ ٩٩.

الانسان ربه حتى الموت، بأن قالوا: ان اليقين يعني هنا: اليقين بوحدة الوجود].[٦٧]

ودون أن نبدي رأينا بشأن (وحدة الوجود)، فان الحديث هنا يدور عن وصول "عارف" الى مترلة لا يرى فيها نفسه بحاجة الى التقيد بالعبادات الظاهرية والشعائر الدينية حتى الاحكام الاخلاقية العامة. بينما نجد أن مثل هذه العقلية لا يمكنها ان تنسجم مع أي فهم للدين ومع أي من أحكامه وتعاليمه. وقد يمكن إطلاق أي اسم آخر على هذا التصور من نمط العلاقة بين الله والانسان لكن لا يمكن اعتبارها من معاني الدين وتفسيراته. وان سر انتقاد علماء الدين لمثل هذه التأويلات يكمن هنا.

فقد نقل **المجلسي** نموذجا كان قد ذكره **العلامة الحلي**، حيث شاهد جمعا من الصوفيين في الحائر الحسيني وهم مشغولون بالصلاة وأحدهم لا يصلي. وقال عنه الآخرون (انه متصل بالله وان الصلاة حاجب بين العبد وربه) ثم تحدث المجلسي عن هذا السلوك وأتباع هذه الترعة في عصره فقال.

[وفي هذا الزمان أيضا نسمع منهم كثيرا من الهراء والكلام الفارغ ونراهم يضمنون ذلك في أشعارهم المليئة بكلمات العشق التي يعطونها

---

[٦٧] - عين الحياة، ص٥٢.

لبعض الاجلاف منهم يقرأونها بينما هم يصفقون ويتصايحون].[68]

ورغم انه توجد في بعض كتب مشايخ العرفان موضوعات تتفق مع هذا الادعاء وتؤيده[69] لكن كما قلنا مرارا لم ير ولم يسمع من العارفين الكبار في الغالب قول صريح في هذا الشأن. إلا أنه في زمن المجلسي كان مثل هذا الاستدلال والسلوك شائعا ورائجا.

وقد أشار **الملا محمد طاهر القمي** ـــ العالم الاخباري المناوئ للصوفية ـــ وهو معاصر للمجلسي، الى هذه التأويلات والتوجيهات. كما ان **صدر المتألهين** تحدث عن اقبال اهل العرفان ومدعي الارشاد والخلافة الصوفية، في عهده، على مثل هذه التصرفات والممارسات، وهاجمهم بشدة.

---

[68] – عين الحياة، ص٥٣.

[69] – في التفسير العرفاني لعبد الرزاق الكاشاني المعروف بتفسير محي الدين ابن عربي ورد في تفسير الآية "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" اعبد ربك بالتسبيح والتحميد والسجود وأظهر عبوديتك له حتى تنال حق اليقين وان عبادتك تنتهي بانتهاء وجودك ويكون هو العابد والمعبود معا (تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٧٦٠). والظاهر ان المراد من "انتهاء الوجود" هو "الفناء" لكن ليس مستبعدا أن يكون رأيه هو ان مثل هذا الوصول لا يتحقق إلا عند الموت. وفي لطائف الاشارات للامام القشيري (ج٢، ص٢٨٢) جاء في التفسير العرفاني للآية المذكور: (كن على بساط العبودية مستعدا للخدمة لكي تنال مقام القرب وهناك تلتزم "بأدب الوصال") ومثل هذه التعابير ربما تكون هي التي تعد الارضية لذلك التوجيه والتسويغ الصريح للممارسات التي يقومون بها.

يقول صدر المتألهين:

[ان هؤلاء تربوا على عقائد ضعيفة وخاطئة منذ البداية وترعرعوا على اساسها، ولذلك فهم محجوبون عن العلوم الحقيقية (ومن الاعتقادات التي يؤمنون بها): إن الله غني عن عبادتنا اذن فما الفائدة من الاتيان بتلك العبادات والشعائر، فهي لا تنفع الواصلين، وإن الشريعة مجرد قشر وما لم تقشع وتزال لا يمكن الحصول على اللب، وغير ذلك مع الكلام الفارغ والادعاءات الواهية التي يلهون بها أنفسهم ويسرون بتكرارها قلوبهم]. [٧٠]

لقد كان **صدر المتألهين** قلقا على الشريعة حقا من امثال هذه التصورات والفهم الخاطئ، واعتبر ان من واجبه الديني التصدي لهذا الشر ومواجهته، وكان يؤمن ان معالجة الشبهات ودحض هذه المزاعم ـــ لكيلا تستقر في قلوب الطلبة والمبتدئين ـــ عملا عظيما. [٧١] وكان يؤكد على هذه النقطة كثيرا وهي:

[ان من واجب كل متبع صادق ومخلص بل وكل عارف واصل سالك أن لا يغفل ـــ مادام

---

[٧٠] - كسر أصنام الجاهلية، ص٢٧.

[٧١] - كسر أصنام الجاهلية، ص٩.

حيا ــ عن جهاد النفس ورياضتها ومخالفة هوى النفس، مثلما كان يفعل النبي الاكرم والائمة المعصومون (صلوات الله عليهم) والأجلاء الافذاد الماضون ــ من حكماء الامة ــ والعارفون الذين اقتدوا واهتدوا بنور الرسول الاكرم (ص)]. [72]

وندع دراسة هذا الموضوع من وجهة نظر علم الكلام الى فرصة اخرى، وسوف نسلط الضوء على هذه النقطة باختصار فنقول إن معارضة علماء الدين للمتصوفة غير الملتزمين بأحكام الشريعة ــ وخلافا لما ادعاه الصوفيون المتأخرون ــ لم تكن ناتجة عن الخشية والخوف والحسد والقلق من كساد بضاعة الفقهاء.[73]

وكان المجلسي يخشى ــ بعد نقده آراء الصوفيين في عين الحياة ــ من الوقوع غرضا لهذه التهمة فيقول:

[كفى بالله شهيدا على أنني ــ وأنا لست سوى ذرة حقيرة ــ لم تكن لي أي عداوة دنيوية مع أي شخص من السائرين في ذلك الطريق... ولم أرد من كتابة وبيان هذه الامور سوى رضى الله

---

[72] - كسر أصنام الجاهلية، ص٥.

[73] - انظر: بحث حول التصرف في ايران.

تبارك وتعالى، لأنه كيف يمكن تحقيق الغرض الدنيوي المراد بمخالفة اكثر الخواص والعوام].[74]

والانتقاد الآخر الذي طرحه المجلسي ضد الصوفيين تركز على المراسم والطقوس المبتدعة من قبلهم كعبادات! حيث كانت أوضح تلك الطقوس وأهمها عندهم حلقات الذكر. واذا ادعينا ان المجلسي كان يمثل ويجسد أفكار وعقائد المتكلمين والفقهاء الشيعة، بل وربما جميع المسلمين، فان ادعاءنا هذا ليس جزافا.

فالذين يعرفون البراهين المتعارفة للنبوة في المؤلفات الكلامية وحتى الفلسفية يعون أن هذا القول للمجلسي في (عين الحياة): "إن العقول البشرية عاجزة عن الاحاطة بحسن وقبح خصوصيات الشريعة"[75] قول صحيح ودقيق بالكامل وقد خصص هو في هذا الكتاب فصلا خاصا في البرهنة على النبوة والاستدلال على هذا الرأي. ولذلك فان رأيه ورأي باقي علماء الدين هو "في أي شريعة وكل دين، ينبغي تطبيق ما قاله صاحب الشريعة فقط ويجب عدم الاعتماد على عقلنا الناقص في اختراع عبادة وابتداعها".[76]

ولا يكتفي المجلسي بهذا التذكير ويتحدث عن البدع بالتفصيل فيقول:

---

[74] – عين الحياة، ص٢٣٩.

[75] – عين الحياة، ص٢٠٢.

[76] – عين الحياة، ص٢٠٢.

[إن البدعة هي عبارة عن اعتبار امر حرمه الله حلالا، او اعتبار امر ما مكروها بينما لم يسمه الله مكروها، او إيجاب أمر وفرضه بينما لم يوجبه ولم يفرضه الله تعالى، او اعتبار امر ما مستحبا دون أن يكون الله عز وجل قد جعله مستحبا]. [٧٧]

وينظر المجلسي من هذه الزاوية ومن هذا المنظار الى الطقوس والاعمال التي كان يقوم بها المتصوفة، فيقول:

[لقد شاع نوعان من الذكر في أوساط الصوفين كلاهما بدعة وهم يعتبرونهما أفضل أنواع العبادة... هذا النمط من العبادة لم يرد فيه أمر من قبل الشارع المقدس بل جاء في الآيات والروايات خلاف ذلك]. [٧٨]

وكان تأكيد المجلسي على ضرورة "اتباع أحكام الشرع" أهم نقطة يركز عليها في هذه المواجهة، وينبغي الالتفات الى أن الفهم المتعارف والمعهود للشريعة بين جميع المتكلمين والفقهاء هو على هذا الشكل. فمن منظار أي متدين، لا يعتبر الدين مجرد مجموعة من التعاليم الأخلاقية بصيغ

---

٧٧ - عين الحياة، ص٢٠٣.

٧٨ - عين الحياة، ص٢٣٣.

عامة، بل المنظومة الدينية تتضمن كثيرا من الاحكام الاجتماعية والفردية والعبادية والسياسية وغيرها.

وهذا القول لا يعني إنكار فهمنا لحقيقة الدين أي (تجسيد العلاقة الفطرية بين الانسان والله)، لكن التعاليم الدينية تتضمن نقطة أبعد من هذا الامر وهي إن هذا التجسيد قد تبلور عبر التعاليم والتوجيهات الصادرة عن الوحي، وإن الانسان لا يستطيع أن يعتمد على معلوماته المحدودة وأفقه الضيق ــ وبدون الاستنارة بالارشاد الالهي ــ لا يمكنه أن يضع لنفسه قانونا عمليا بعيد المدى وفقا لمقتضيات الفطرة. والانبياء وحدهم هم الذين يمكنهم الحديث عن كيفية وطبيعة مسيرة الانسان.

ومحمد باقر المجلسي لم يكن الوحيد الذي التفت الى كون آداب وطقوس المتصوفة بدعة، ففي اوساط مشايخ التصوف أنفسهم كان هذه النقطة تحظى بالاهتمام منذ القدم. اذ كان هناك من بين المتصوفة من يرغبون في أن تكون أعمالهم منسجمة مع الاحكام الشرعية وان ترتكز الى ركائز دينية.

ويعتبر **ابو القاسم القشيري وشهاب الدين عمر السهروردي** نماذج بارزة على الالتزام "بالتصوف العبادي"[٧٩] هذا، إذ كانا يحاولان صون التصوف في اطار السنة والشريعة وتنقيته من آراء المبتدعين. ولذلك نجد أن **السهروردي** لم يكتب (**عوارف المعارف**) إلا لهذا الهدف فقط وانما كان يتلقى ــ نظرا لوصوله الى رتبة شيخ الاسلام والمرجعية العامة عند أهل

---

٧٩ – التعبير للمرحوم الدكتور احمد طاهري عراقي.

السلوك ـــ أسئلة واستفسارات في شتى مجالات التصوف فيجيـــب عنـــها اجابات يسعى من خلالها لبلوغ الهدف المذكور.

ويبدو من رسالة عنوانها (**أجوبة عن اسئلة علماء خراســـــان**) الـــتي تشتمل على ثمانية عشر سؤالا وجوابا[80] أن إحدى أهم القضايا في بـــــاب العرفان كانت مدى استناد بعض اعمال وآداب المتصوفة على اساس تعاليم القرآن والسنة النبوية. فقد سألوه: لو كانت الخلوة والعزلة عملا صالحـــــا فلماذا لم يقبل صحابة الرسول (ص) على هذا العمل؟ وبعبارة اخـــرى، ألا يعتبر الركون الى الخلوة ـــ في ضوء عدم وجود أمر بها في الكتاب والســـنة ـــ في عداد البدع؟

وتضمن رد **السهروردي** عدة نقاط مهمة:[81]

إحداها: أن الصحابة كانوا في غنى عن العزلة والخلوة نظرا لمجالســـتهم النبي الأكرم وملازمتهم له وبالطبع فان الجهاد في ركاب النبي أسمى وأفضل من الخلوة.

والثانية: إن الهدف من هذا العمل ـــ الخلوة ـــ اجتنـــــاب الأهـــواء والمزالق وهذا لا يتحقق احيانا دون الجلوس في خلوة او حبس النفـــس في بيت مظلم.

---

[80] – طبعت هذه الرسالة بتصحيح المرحوم الدكتور طاهري عراقي في مجلة مقالات وبحوث (مقالات وبررسىها) العدد ٤٩ – ٥٠، ص٤٥ – ٦٤.

[81] – راجع الرسالة المذكورة، ص٥٥ – ٥٦.

والثالثة: إنه لاينبغي ترك صلاة الجماعة بذريعة "الخلوة" لئلا تكــــون خلوته نمطا من أنماط الرهبانية. فالمريد الذي يظن أن تركه للخلوة لغـــرض المشاركة في صلاة الجماعة يؤدي الى تبديد تركيزه وشرود ذهنه لاختلاطـه بالناس، يرتكب أشد الخطأ.

وأخيرا: إنه ببركة متابعة احكام الشريعة وتطبيقها تنفتح للمرء آفـــاق وأبواب من نور الحقيقة أثمن وأسمى كثيرا مما يحصل عليه من "الخلوة".

وهكذا وجدنا أن مساعي **السهروردي** تركزت علـــى جعـــل أدب "الخلوة" اسلوبا لتهذيب النفس ـــ الذي أوصت به الشريعة قطعـــا ـــ وفي الوقت نفسه عدم تحويل الخلوة الى مصداق من مصاديق الرهبانية، وهـــي مساع جديرة بالتأمل والملاحظة.

كما أنه ينبغي عدم الغفلة عن تقيده والتزامه بالآداب الدينية. فقد سئل **السهروردي**: لو ابتلي السالك ـــ نتيجة التزامه بالأحكـــام الدينيـــة ـــ بالعجب، ولو خشي الوقوع في الرياء نتيجة حضوره في أوساط الناس، هل يمكنه الامتناع عن أداء عمل ديني؟ فكان جوابه: لا ينبغي للسالك ترك أداء عمل من الاعمال خوفا من الرياء والتفات الخلق اليه، بل عليه أن يلجـأ الى الله ويستعيذ به ويستمد العون منه تعالى ويستغفره ولا يتهاون او يتخلـــى عن العمل لكي تحل مشكلة الرياء ببركة قيامه بالعمل. وهكذا العجـــب حيث متى ما ابتلي به المرء عليه أن يلجأ الى الاستغفار واستقباح العجـــب

ويسعى بكل ما يستطيع من أجل إزالته ومحوه، ولكن عليه أن لا يترك العمل أبدا.[82]

وهكذا كان المجلسي ـ كغيره من علماء الدين ـ يرى بأن بعض الاعمال يمكن ان تكون مصداقا لأحد التعاليم الدينية العامة. وهو يرى في موضع آخر أن تعريف البدعة هو:

[كل رأي او عمل ديني او حكم او عبارة لم يرد فيها نص أو أمر في الشريعة ولا تعد مصداقا لحكم عام فهي بدعة] (ج٢، ص٢٦٤).

ومن باب المصادفة فان خشيته فيما يخص باب "الذكر" يعود الى هذه الرؤية ذاتها. فقد كان يرى ان بعض المتصوفة انغمسوا في حلقات الذكر لدرجة إنهم صاروا يقولون "يقال إن الذكر يؤدي الى القرب اكثر من الصلاة"[83]. وبالطبع فانه يطرح هذا التساؤل وهو: لو كان الامر كذلك فلماذا لم يرد في الشريعة أدنى نص أو أمر بممارسة عمل كهذا له مثل هذا التأثير:

[لماذا كان الأئمة يقولون ذلك لمعروف الكرخي فقط ولم يقولوه لواحد آخر غيره من الأصحاب؟][84]

---

[82] - رسالة (أجوبة عن اسئلة علماء خراسان) ص٥٠ - ٥١، ٥٤ و٦٠.

[83] - عين الحياة، ص٢٣٨.

[84] - المصدر السابق نفسه.

ثم طرح المجلسي احتمالا آخر مؤكدا على عدم صحة احلال حلقات الذكر بدلا من كثير من العبادات الدينية الاخرى فيقول باصرار:

[ولو قالوا إن الآخرين لم يكونوا أهلا لذلك فلو أنه لم يكن بين مئة الف من أصحاب الامام الرضا (ع) شخص واحد سوى "معروف" وأن أعاظم اصحاب الإمام (ع) لم يكونوا أهلا لذلك، فلماذا يعلمون (هؤلاء) كل شخص هذه الامور؟].

فضلا عن ذلك، فان المجلسي وصدر المتألهين قالوا في كتبهما ان حلقات الذكر تطرح فيها "اشعار العشق والإلحاد والأنغام والغناء".[85]

يقول **صدر المتألهين** في وصف هذه المجالس:

[إن معظم ما اعتاد عليه عموم أهل التصوف في هذا الزمن كلمات ظاهرها خادع وشعر لا يصلح استخدامه في الموعظة... ومجالس هذه الجماعة مليئة بأشعار في وصف العشق وجمال المعشوق وشمائل المحبوب... ولا يجتمع في هذه المجالس غير السفهاء والحمقى...ولا تقرأ فيها سوى الاشعار المقترنة بالغناء والنغمات والأثر

[85] - عين الحياة، ص٢٣٣.

الوحيد لها اثارة أمراض القلب والشهوات الخفية لديهم].

ويشير **صدر المتألهين** هنا الى (السماع) لدى الدراويش ويشبهه بالاحجار المثيرة للنيران، والتي تؤجج لهيب النار وتهيج الناس، وتحملهم على الوجد والتواجد فيعتبرون ذلك محبة لله وعبادة دينية. وتثور ثائرته ويستشيط غيظا من قول بعض المتصوفة بأن هذه الحلقات نموذج من نماذج "مجالس الذكر" التي ورد في رواية بأن النبي (ص) وصفها بأنها أفضل من ألف ركعة، يقول صدر المتألهين:

[بعض أهل الباطل، يجعلون هذا الحديث وأمثاله ذريعة لممارسة أعمالهم ويطلقون اسم (الذكر) على ما يقولونه في (خراباتهم) ويبتعدون عن اسلوب "الذكر الذي قرره الدين"].[86]

وكما فعل صدر المتألهين، فان المجلسي يوضح حديثا مرويا عن النبي (ص) يصف فيه "حلقات الذكر" بأنها كرياض الجنة، فيقول: "**ان المراد من حلقات الذكر هذه المجالس التي تعقد على اساس التعاليم الشرعية ويذكر فيها اسم الله عز وجل، لا مجالس أهل البدع التي اخترعوها من عند انفسهم ويعصى فيها الله جل اسمه فهذه مجالس الغفلة لا مجالس الذكر**" (ج١، ص٢٠٢) وقطعا فانه يقصد بذلك جلسات الصوفيين.

---

[86] - كسر أصنام الجاهلية، ص٢٦ - ٢٧.

وتطرق المجلسي الى بعض التصرفات والاعمال الاخرى الشائعة في اوساط أهل التصوف كلبس ملابس الصوف والرهبانية، واعتزال الناس.... لأنهم يعتبرونها امورا دينية بينما هي بدع ليس إلا. ويوضح ــ استنادا الى آيات القرآن وعدد من الاحاديث ــ انه "تعتبر العزلة عن الناس وترك الاطعمة والأشربة اللذيذة والملابس الفاخرة امرا مذموما في سنة نبينا (ص)".

ثم يدعو ــ كعادته المعهودة في هذه القضايا ــ الى النهج المعتدل والتوسط في الامور، بعيدا عن الافراط والتفريط، ويتحدث عن العزلة الممدوحة فيقول إن هدفها "احتراز التروع الى الدنيا، واجتناب الانغماس في حب الدنيا وتضييع العمر والاختلاط مع أهل الباطل" ويتحدث حول التمتع بالمواهب الدنيوية او تركها بالقول: "ان اعتبارها كمالا والانغماس فيها ليس صائبا" معلنا رأيه الصريح بشأنها.[٨٧]

ويهتم المجلسي ــ كأي عالم أخلاق آخر ــ في هذه الموضوعات بالتركيز على الزهد وتهذيب النفس ويؤمن بأن منشأ التروع نحو التصوف في كثيرمن الاحيان هو هذا الامر. ولو اعتبرنا الرسالة الجوابية المنسوبة للمجلسي صادرة عنه فان اساس التصوف فيها ليس سوى الميل والرغبة في تبوء الدرجات السامية للتقوى، فيقول:

[ان سبيل الدين واحد، فالله تبارك وتعالى بعث النبي (ص) وهو واحد وجعل له شريعة واحدة

---

[٨٧] - عين الحياة، ص٢٠٩ - ٢٢٣.

ولكن الناس يختلفون في درجات ومراتب العمل والتقوى، وهناك جمع من المسلمين يعملون بظواهر الشريعة النبوية ويطبقون السنن والمستحبات ويتركون المكروهات والشهوات ولا يلفتون الى ملذات الدنيا ويقضون اوقاهم في الطاعات والعبادات ويعتزلون معظم الخلق الذين تؤدي معاشرهم الى تضييع العمر وهدر الوقت، هؤلاء يسموهم زاهدين ومؤمنين وجعلوا إسمهم الصوفية (المتصوفة) لأهم قنعوا بملابس من هم في قمة الفاقة وهي الصوف الذي هو أخشن وأرخص الملابس، وهؤلاء الاشخاص هم خيرة الناس].[88]

لكن التباين الجوهري والاختلاف الاساس بين هذه الرؤية للمجلسي وبين ما كان سائدا بين المتصوفة، تكمن في تأكيده على احتراز واجتناب أي نمط من انماط التمايز واختلاق البدع. انه يتكلم عن الداعي والحافز المتعالي السامي للممارسات التي ذكرها ويترك مخاطبه حرا في اختيار الاساليب المختلفة:

[اذا شاء علاج التكبر، ولبس أحيانا ــ لغرض ذلك ــ الملابس الرخيصة ذات المستوى الواطئ

[88] - كيهان انديشه، العدد ٣٣، ص١٢٢، وطرائق الحقائق، ج١، ص٢٨١.

فذلك أمر حسن شرط أن لا يؤدي هذا النـــوع من الملابس نفسه الى جعله يصاب بالتكبر].[89]

وبالطبع فهذه التوصية والنصيحة لا تضع امام المخاطب سبيلا محـــددا ولا ترشده الى طريق واضح بل ولربما ادت الى تفاقم حيرته. لكـــن مـــراد المجلسي وغايته شيء آخر. انه يفكر بالسعي للتمايز عن الآخرين باستعمال الاساليب الدينية، وهو قلق من أن تتسبب نزعة ورغبات وافراط بعـــــض الاشخاص وانغماسهم في اداء بعـــض الطقـــوس والممارســـات والآداب الأخلاقية ليكونوا "محط الانظار" و"ممن يشار اليهم بالبنان" وتتحول هـــذه الآداب الأخلاقية، شيئا فشيئا ـــ والتي تحدثت عنها التعاليم الدينية كثـــيرا ونصح الناس بتطبيقها أيضا ـــ لتصبح بالنسبة لهم "الأصل" و(الاســـــاس) ويتورطوا في الوقوع بالبدع ويبتلوا بمصائدها، فينفصلوا عـــن "الجماعـــة" المسلمة ويكونوا لهم "فرقة" اخرى جديدة.

وليس خافيا عن المختصين ان كثيرا من الفرق والنحل ينسب قيامـــها وتأسيسها الى اشخاص لم يكن قصدهم ولا مرادهم ان يوجدوا مجموعة او مذهبا ذا هوية خاصة، بيد أن النتيجة كانت شيئا آخـــر غـــير ماكـــانوا يريدونه.

وهنا نشير الى الامر الثالث فيما يخص نظرة المجلسي الى العرفان.

ففي مصادر التصوف ـــ سواء تلك التي ألفها مشايخ العرفان او تلـــك التي كتبها العارفون البارزون والمعروفون ـــ توجد أقوال وآراء لا تتفق مـــع

---

[89] - عين الحياة، ص٢٢٣.

ما يوجد في المصادر الاصلية للدين في الغالب. فهذه الأقوال والآراء من الشطحات والطامات والادعاءات التي طرحها الصوفيون، وتمتد لتشمل حتى التأويلات التي طرحها الصوفيون عن آيات القرآن الكريم.

فما ورد عن **بايزيد (ابي يزيد) البسطامي وحسين بن منصور الحلاج** وروي عنهما لم يغضب العلماء التقليديين (كما عبر عنهم **ابن عربي** في الفتوحات) بل أوقع العارفين أيضا في المشاق.

ولقد أول **محي الدين بن عربي** الشطحة المشهورة المنسوبة الى بايزيد (ابي يزيد) البسطامي والتي تشم من ظاهرها رعونة **ادعاء الالوهية من قبل البسطامي** وأولها بالقول إن المراد منها (نفي وانكار وجود غير الله تعالى في ساحة الوجود)[٩٠] وهو لام "الفقهاء" على مناوأة هذا القول والتصدي له، من ناحية، واتهمهم بـ "عدم الانصاف" ومن ناحية اخرى، فانه أثنى عليهم لأنهم سدوا الطريق على كل مدع كاذب.[٩١]

وفي الواقع، فرغم انه يعتبر أبا يزيد البسطامي محقا في هذا الادعاء، وعد كلامه دليلا على كونه تمكن من الوصول الى "مقام الحيرة الى الله" لكنه يعلم جيدا ماهي النتائج والعواقب الخطيرة التي تسفر عنها مثل هذه الشطحات.

---

[٩٠] – "فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله، كأبي يزيد".

[٩١] – الفتوحات المكية، ج٤، ص٢٢٤ – ٢٢٥.

اما **صدر المتألهين** فانه هو الآخر تحدث في (كسر أصنـــام الجاهليـــة) بالتفصيل عن "**بطلان شطحيات المتصوفين**" وقال إن سماع تلك المزاعـــم أضر على المسلمين من السم الذعاف المهلك.

وبرأيه فانه اذا صحت الشـــطحة المعروفـــة المنســـوبة الى **ابي يزيـــد البسطامي** يكون الاخير ناطقا بقول الله، اذ بغير ذلك لا يمكن العثور علـــى وجه من الصواب لما قاله، والنقطة الجميلة التي التفت اليها ولفت أنظـــار الآخرين لها هي أن أقوالا من هذا الصنف لها ظاهر لطيف وجذاب لكـــن ليس في جوهرها ومكنونها أي فائدة ولا نفع.[٩٢]

ويشير المجلسي في هذا المجال الى بعض المصاديق والنماذج الموجودة من آراء العرفانيين، والى بعض تأويلات **ابن عربي** وبعض ادعـــاءات مشـــايخ التصوف، وينقدها، فيقول:

[وثلة اخرى من المتصوفـــة... يقولـــون ان الله متحد مع كل شيء، بل هو كل شيء، وليس في الوجود شيء سواه، وانه هو الذي تجلى بصـــور مختلفة، فظهر حينا على شكل زيد وآخر علـــى شكل عمرو... مثلما ان البحر يزخر بـــالامواج وتظهر فيه اشكال متعددة ومختلفة وكلها مـــن

[٩٢] - كسر أصنام الجاهلية، ص٢٨ - ٣٠ (البحث فيما يخص مدى صحة ودقـة العبارة المروية عن أبي يزيد، وهل رويت بدقة عنه ام لا، وهل هي تحتمل تلـك التأويلات من هذا القبيل، له مجال آخر ولا يتسع له صدر المقال هنا).

البحر وليست شيئا آخر غير البحر: فالعالم ما هو إلا موجة من هذا البحر، واموج البحر هي البحر ذاته، وليست مغايرة له].[٩٣]

وذكر ان **محي الدين** قال: ان احد رؤسائه قال: "سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها".[٩٤]

ولاشك في ان العارفين كانوا يدعون وحدة الشهود ووحدة الوجود. وقد طرح **محي الدين** هذه القاعدة فقال: **"ليس في ساحة الوجود موجود غير الله"** بصيغ مختلفة، ولا تحتاج البرهنة لدليل على تأثير هذه النظرية على الآراء الفلسفية وخاصة في الحكمة المتعالية **لصدر المتألهين**، ولا حاجة هنا للاستدلال على ذلك.

وقد كتب اساتذة الحكمة الصدرية ــ على الأغلب ــ مؤلفات في الدفاع عن نظرية (وحدة شخصية الوجود) وطبعا فانهم دافعوا ــ في مقام الاجابة عن الاشكالات المطروحة عليها ــ بأقوال شتى على الرغم من ان العديد من النواقص لوحظت في دفاعهم، ورغم ان النتائج التي توصلوا اليها بشأن اصالة الماهيات كانت مرفوضة. وينبغي التطرق لتلك البحوث والموضوعات في فرصة ومجال آخرين بيد أننا نكتفي هنا بطرح نقطتين اثنتين حول وحدة الوجود.

---

[٩٣] - عين الحياة، ص٤٩.

[٩٤] - عين الحياة، ص٥١.

فالمجلسي ينظر الى نظرية وحدة الوجود ـ شأنها شأن الموضوعات الاخرى ـ من زاوية ما تتركه من أثر على السلوك الديني للفرد أو الجماعة، ولا يعتني كثيرا بالمبادئ والادلة التي يوردها الحكماء في استدلالاتهم او الاقوال التي تذكر عن التجربة العرفانية لأهل السلوك، في هذا الموضوع.

وباعتقاده لو كانت "الماهيات الممكنة امورا اعتبارية" ولو كانت المخلوقات "عين الله" فلن يكون للعبادة معنى بعد ذلك. والعبادة تنتج من "توهم المغايرة" وعلى هذا الاساس فان أتباع مدرسة وحدة الوجود يمضون قدما في طريق العبودية واتباع الشريعة حتى يحصلوا على "اليقين بوحدة الوجود" **وفي هذه الحالة لن يكون العابد سوى المعبود نفسه واذ ذاك تنتفي العبادة.**[٩٥]

ولغرض ازالة اللبس والغموض، نؤكد على هذه النقطة الضرورية وهي انه لو لم يظهر الفتور على مشايخ العرفان والحكمة في ممارساتهم الدينية أبدا (ولم يصابوا بالتماهل في اتباع الشريعة) ولم يصلوا الى وجود مثل هذا اللازم بل ظلوا دائما من رواد اتباع الشريعة والسباقين الى العمل بأحكامها، فحينذاك لأمكن ان نعتبر مناقشة محمد باقر المجلسي خاطئة، وخاصة ان مثل هذا الاستدلال قد طرح في المراتب الدنيا لأهل التصوف كرارا.

---

[٩٥] - عين الحياة، ص٤٩ - ٥٤.

ومحي الدين ابن عربي نفسه كأنما كان قلقا ــ في مقام العمل والتطبيق ــ من هذا اللازم المنطقي، ولذلك نراه يؤكد على ضرورة عبـــادة الله في كل مكان من كتابه (**الفتوحات المكية**). علاوة على ذلك فقـد لجـأ الى استعمال عبارة (العين الثابتة) وبمهارة ودقة بالغة وفي ضوء تعاليمه العرفانية وبمساعدة هذه (العين الثابتة) ــ التي هي معدومـة طبعـا وفي ظـهورها وبروزها مرهونة بنور الوجود ــ ظل يبحث عـن مخـرج يدلـف منـه ويتخلص من الطريق المسدود الذي صنعه لنفسه. وعلى كل حال، فينبغـي ــ بغض النظر عن حصيلة عمل مؤسسي النظرية ــ التفكـير في الآثـار والنتائج العملية التي أدت اليها وتعريضها الى محك النقد والتمحيص.

والاشارة الاخرى للمجلسي موجهة الى استناد بعـض المتصوفـة في اثبات نظرية وحدة الوجود الى حديث قدسي معروف. وبموجب المصادر الشيعية، كالمحاسن للبرقي والكافي للكليني فان ذلك الحديث مروي عـن الامام الصادق (ع) عن النبي (ص).[٩٦]

وفي المجامع الروائية للعامة، ورد الحديث المذكور وكان يسـتعمل في الغالب في النصوص العرفانية. وقد أشار **محي الدين بن عـربي** الى هـذا الحديث مرارا واستعمله على سبيل الاقتباس او التلميح واورد في بعـض

---

[٩٦] – أورد المجلسي في البحار هذا الحديث ثلاث مرات نقلا عن المصدرين المذكورين، راجع البحار، ج٦٧، ص٢٢.

الاحيان جزءا من الحديث او كله، وبين عنه بعض النقاط العرفانية. وفيما يلي نورد الحديث كما أورده المجلسي:*

[من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ـ وانا أسرع شيء الى نصرة اوليائي وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن وفاة المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته؛ وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته الى غير ذلك لهلك؛ وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته الى غير ذلك لهلك ـ وما يتقرب الي عبد من عبادي بشيء أحب الي مما افترضت عليه وانه ليتقرب إلي بالنافلة حتى احبه فاذا أحببته كنت اذا سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ـ ان دعاني أجبته وان سألني أعطيته ـ].[97]

---

* - راجعت نص الحديث في (الكافي، ج٢، ص٣٥٣، ح٨) وأوردته بالكامل وما بين ـ ـ لم يرد في الكتاب الذي نترجمه عن المجلسي ـ المترجم: جبارة.

[97] - عين الحياة، ص٥٤. [لم أحصل على الكتاب المذكور ولم أشأ ترجمة الحديث من الفارسية الى العربية وهو حديث قدسي فراجعته في الكليني كما ذكرت آنفا ـ المترجم].

وسنسلط الضوء على تفسير المجلسي للحديث في الفقرة الرابعة من هذا البحث باعتباره يعكس ذوق العارفين لديه. بيد أن ما نطرحه الآن هو استناد بعض الاشخاص الى هذا الحديث في اثبات نظرية وحدة الوجود. فقد كتب المجلسي في ذيل هذا الحديث ذاته ما معناه:

[هذه المرتبة الاخيرة مرتبة دقيقة للغاية وهذا مما ادى الى انحراف وانزلاق تلك الجماعة كي يقولوا بباطلهم الذي مرت الاشارة اليه واستندوا الى هذا الحديث احيانا واستدلوا به].[98]

يقصد بالمرتبة الأخيرة اعلى درجة من درجات معرفة الله التي يعبر هو عنها بـ (**الفناء في الله**) ومراده من (**باطلهم ذاك**) هو نظرية الحلول او الاتحاد التي طرحها المتصوفة. وهكذا كان **ابن عربي** ممتعضا من ان بعض الجاهلين يقبلون على رأي خاطئ ونظرية منحرفة كالحلول ولذلك فقد كان يوصي "بابقاء اسرار الحق مخفية مستورة".[99]

واستدل المجلسي على خطأ الاستناد الى هذا الحديث بالقول إن نظرية وحدة الوجود او حلول الحق في الخلق، بناء على رأي المتصوفة "لاتختص بالجاهل والكامل والانسان وغيره وان هذا المعنى يرونه حاصلا لكل شيء"

[98] - المصدر نفسه.

[99] - الفتوحات، ج٦، ص١٧٣.

بينما هذا الحديث يشير الى رتبة تحصل وتتسنى "بعد القيام بالعبادات والنوافل".

وننهي هذا الحديث بالاشارة السريعة السالفة الذكر ونشير الى نماذج اخرى من انتقاد المجلسي لأهل العرفان.

وقد أسلفنا الاشارة سابقا الى رأي المجلسي في باب تأويل النصوص الدينية وفهم المعاني الباطنية من الظواهر القرآنية. واعتراض المجلسي على مشايخ العرفان يعود الى هذا الموضوع ذاته. ومن جملتها فانه يشير الى التأويل الصريح **لمحي الدين بن عربي** لقصة قوم موسى وعبادتهم العجل واعتراضه ــ أي موسى ــ على هارون، واعتبر المجلسي ذلك التأويل غير صحيح.

فما قاله القرآن عن قصة السامري كان كاملا، إذ أن صنعه للعجل وعبادة بني اسرائيل له أثناء غيبة موسى الذي كان ذاهبا لميقات ربه في جبل الطور، ومنطوق الآيات القرآنية واضح وبين لدرجة كبيرة تجعلها مفهومة جدا ولا تتحمل التأويل. فقد انخدعت مجموعة من بني اسرائيل فوعظهم هارون ونصحهم لكن ذلك لم ينفعهم، وخوفا من ان يحصل الانقسام والتفرقة بين قومه فانه لم يصر على ذلك.

لكن ما أن عاد موسى الى قومه حتى دخلت الامور مرحلة جديدة، اذ استشاط موسى غضبا واغتاظ على أخيه هارون، وأحرق العجل وألقى

رماده في البحر، وطرد السامري من المدينة، وابتلي بمرض البرص ووبخ عبدة العجل بشدة وعوقبوا على ذنبهم الكبير.[100]

اما **محي الدين بن عربي** فانه نظر الى هذه القضية وتناول القصة من منظار (**ان العارف يرى الحق في كل شيء، بل يرى ان كل شيء هو الحق**).[101] ومن هذا المنظار فان آية **"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"** (الاسراء/٢٣) تدل على حقيقة تكوينية ومعنى الآية هو ان كل امرئ يعبد أي شيء، يكون قد عبد الله. بناء على ذلك فان عتاب موسى لهارون واعتراضه عليه لم يكن من منطلق انه لماذا لم يمنع قومه من عبادة العجل بل كان موسى في مقام تربية اخيه وكان يريد إطلاعه على هذا المبدأ والاصل وهو أن عبدة العجل كانوا يعبدون الله أيضا. انه ــ أي موسى ــ لام السامري وانتقده من هذا المنظار وهو انه لماذا قلت للناس اعبدوا العجل وحسب.[102]

فالبحث حول مواجهة الأنبياء مع عبادة الاوثان بمثل هذا التحليل والطرح. ومدى حقيقة ذلك، بحث مهم وأساس. فالكثيرون كانوا ــ وما زالوا ــ يعتقدون أن أتباع أي دين او ما يشبه الدين، امرا منقذا للانسان، ويؤمنون بأن البشرية تسير في قافلة واحدة تسلك طريقا وحدا، لكن نسبة

---

[100] - في هذا الشأن، راجع كتب التفاسير فيما يخص الآيات ١٤٨ - ١٥٤ من سورة الاعراف والآيات ٨٥ - ٩٨ من سورة طه.

[101] - شرح فصوص الحكم للخوارزمي، ص٧٠١.

[102] - شرح فصوص الحكم للخوارزمي، ص٧٠٠ - ٧٠٢.

هذا النمط من الفهم الى القرآن واستنباط تلك النظرية من الآيات الصريحة لكتاب الله هو موضوع بحثنا. فنتساءل هنا: مع أي منطق وفهم لغوي يمكن أن يتسنى الحصول على هذه النتيجة؟ هل بإمكان منطق كهذا ان يتيح ظهور فهم مشترك للنصوص الدينية؟ ما التباين بين هذا النمط من التلقي والتصور والانطباعات والقناعات الناتجة عن الفهم الباطني لآيات احكام القرآن ـــ الذي يعارضه محي الدين بكل حزم ـــ ؟ ان لم يكن هذا من ضمن مصاديق التفسير بالرأي، اذن فما هو التفسير بالرأي؟

لقد أوضح المجلسي الاساس والمبدأ الذي يستند اليه رأيه في هذا المجال، فهو يؤمن بوجود معان باطنية في القرآن، بكل طمأنينة وثقة، لكنه لا يرى كل من هب ودب مجازا بالتحدث عنها اولا، وثانيا انه يرى ان المعاني الباطنية للقرآن ينبغي ان تكون منسجمة مع سياق العبارات، ومن هذه الرؤية فانه يتردد أحيانا في قبول بعض الروايات. اذن فمن الطبيعي تماما ان يعترض على محي الدين لأنه ـــ أي الأخير ـــ يورد في بعض "تصانيفه" موضوعات من هذا القبيل.[١٠٣]

وهكذا الامر بالنسبة لبعض **ادعاءات مشايخ التصوف**، فالمجلسي يرى أنها امور ليس من السهل القبول بها وتحمل المرء على السخط من القائلين بها، ويرى انها لا تنسجم مطلقا مع العقائد القطعية المسلم بها، ومن ضمنها **"دعوى مهدوية سيد محمد نوربخش التي طرحتها كتب الصوفية"** وقد

---

[١٠٣] - عين الحياة، ص٥١.

قال: "**ان ادعاء أهل القلوب قام على اساس ذلك، غير جماعة معروفة بالتعصبات والبدع**".[١٠٤]

وكان نوربخش صوفيا شيعيا وشارك في دروس **ابن فهد الحلي**، ثم مال الى التصوف، وانضم اليه أشخاص كثيرون وظهرت فرقة تسمت باسمه (**النوربخشية**). حتى ان بعض الكتاب المتصوفة المتأخرين أدرجوا أسماء بعض علماء الشيعة ــ من ضمنهم حتى محمد تقي المجلسي ونجله محمد باقر ــ في عداد اعضاء هذه الفرقة. وقد سمع ادعاء ابن فهد بالمهدوية على الرغم من ان أتباعه كانوا يؤولون ذلك الزعم منه.[١٠٥]

واخيرا، لو اعتبرنا التصوف نزعة واتجاها نحو باطن الشريعة مع المحافظة على الالتزام بالشعائر والآداب الدينية والاهتمام بمعرفة النفس وتهذيبها، والسعي الجاد من أجل التقرب من الحق جلت عظمته، فان محمد باقر المجلسي كان من المدافعين عن هذا النهج بهذه الخصائص وحسب.

وباعتقاده فان علماء من أمثال "برهان الأصفياء الكاملين **الشيخ صفي الدين الاردبيلي" والسيد رضي الدين علي بن طاووس، وابن فهد الحلي والشهيد الثاني**؛ هؤلاء اقبلوا ــ بعد أن تدرجوا في طي المراتب السامية في العلوم الدينية، على "طريقة الرياضة والعبادة والتعبد بقانون الشريعة النبوية

---

١٠٤ - عين الحياة، ص٢٣٨.

١٠٥ - بحث حول التصوف في ايران، ص٢٦٣ - ٢٦٤، وطرائق الحقائق، ج١، ص٤٨٥ - ٤٨٧.

المقدسة" و"لم ينقل عنهم أنهم ابتدعوا بدعة".[١٠٦] هؤلاء بعض "المتصوفة الامامية" التي تضمنت كتبهم "دقائق أسرار الصوفية".[١٠٧]

ولقد ذكر في رسالة أجوبته على أسئلة **الملا خليل القزويني**، علاوة على هؤلاء المشايخ، اسم **الشيخ البهائي** الذي كانت كتبه "ملأى بتحقيقات الصوفية" وتعلم ابو المجلسي الملا محمد تقي من هذا الشيخ الكبير "الذكر والفكر، وكان يتخذ كل عام أربعينا له".

ويضيف ان أباه "كان يحمل جمعا كثيرا من التابعين للشريعة المقدسة ـ بموجب قانون الشرع ـ على رياضة النفس" وحتى هو ايضا ـ محمد باقر المجلسي ـ إتخذ لنفسه مرارا "أربعينات" وكان المجلسي يورد حديثا في صحة هذه الاعمال:

[من أخلص أعماله لله اربعين صباحا أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة].[١٠٨]

لقد كان يؤكد على هذه النقطة كثيرا وهي ان "**صوفية الشيعة يجمعون دائما العلم والعمل والظاهر والباطن معا**" و"**ليس عندهم شيء غير التسبيح والتهليل وتوحيد الحق تعالى**" وكتب عن الشيخ **صفي الدين الاردبيلي** قائلا انه "**طلب من المريدين والاتباع مرارا**" واكد عليهم "**بعدم ترك الشريعة المقدسة أبدا**".

---

[١٠٦] – عين الحياة، ص٢٢٨.

[١٠٧] – مجلة (كيهان انديشه ـ كيهان الفكر) العدد ٣٣، ص١٢٣.

[١٠٨] – كيهان انديشه، ص١٢٥.

وبهذا التعبير، برهن المجلسي على أن مواجهته مع أهل التصـــوف ـــ وخلافا لما هو مشهورـــ لم تكن منطلقة من النظرة الســـطحية والرؤيـــة القشرية والضيقة نحو الدين واعتباره مقتصرا على الاحكام الظاهريـــة. وان ما كان يقلقه هو شيوع الإعراض عن الدين، او ابتكار البدع في الديـــن بذريعة الاهتمام بالنواحي الباطنية منه والتمسك بها.

وفي إحدى كتاباته، ينتقد المجلسي الذين حرموا مـــن "فـــهم دقـــائق الاسرار" واكتفوا بالجوانب الظاهرية من الدين.[109]

ويدل التفسير العرفاني للمجلسي لبعض الاحاديث والصورة الجميلـــة التي يستعرضها للنعم الموجودة في الجنة، على وجود هذا الفهم لديه. ففـــي شرحه لإحدى الروايات، ينتفع المجلسي من التجارب العرفانية لأبيه قائلا:

[ان أفضل تعبير سمعته في هذا المضمار ما ذكـــره والدي العلامة ـــ اعلى الله مقامـــه ـــ . وهـــذا التعبير والبيان المذكور يعتبر من أنوار الكشـــف واليقين والتي حصل عليها عن طريق طي مراتب ودرجات السلوك المعنوي].[110]

ومن جملة التوضيحات العرفانية للمجلسي ما كتبه في شرح حديـــث معروف ورد في (عين الحياة) وكتبه في المجلد الرابع والثمانين من البحـــار (ص٣١ – ٣٢) وفي ختامه قال المجلسي إنه بحـــث الموضـــوع المذكـــور

---

١٠٩ – كتاب الاربعينات، ص١٧٩.

١١٠ – كتاب الاربعين، ص١٠١.

بالتفصيل في أحد كتبه باللغة الفارسية. ويقصد بذلك، كتابه (عين الحياة) باللغة الفارسية ونحن هنا نورد موجزا عنه.

فقد خصص في كتابه (عين الحياة) بابا حول كون معرفة الحق ذات مراتب ودرجات. وفي البداية يورد ــ لتقريب الامر الى الاذهان ــ مثلا من الخواجه نصير الدين الطوسي ويقارنه مع موضوع معرفة الله فيقول:

[ان معرفة الله ــ بلا تشبيه ــ مثل مراتب معرفة النار. فأول مراتب معرفة النار هو ان يسمع المرء ان هناك شيئا يحرق كل ما يلقى فيه... ونظير هذه المعرفة، المعرفة التي تكون لدى جماعة يرون دينهم يقوم على اساس التقليد وليس على الدليل... والمرتبة الاعلى منها مرتبة من وصله الدخان الصادر عن النار لكنه لم يرها بعد. ونظير هذه المرتبة في معرفة الباري تعالى معرفة اهل البصيرة والاستدلال الذين يحكمون بوجود الصانع بواسطة الادلة القطعية والبراهين الدامغة... والمرتبة الاعلى هي مرتبة من اقترب من النار... ورأى الاشياء بنورها. ومثل هذه الدرجة في معرفة الله معرفة المؤمنين الخواص الذين تنورت قلوبهم بالنور الالهي واطمأنت به وشاهدوا في جميع الاشياء ــ بعين اليقين ــ آثار

الصفات الكمالية لله عز وجــــل... والدرجــة الاعلى من هذه المرتبة هي مرتبة من يكـــون في وسط النار وتظهر عليه آثار النار.

وهذه هي المرتبة الاعلى في مراتب المعرفــة الالهية ويعبر عنها بصيغة (الفناء في الله) وحصول هــذا الامــر منــوط بكـــثرة العبـــادات والرياضات]. [111]

وبعد هذا التوضيح، أورد المجلسي حديثا، نبويا قدسيا في تأييد مرتبــة "الفناء في الله" بأن الانسان يبلغ ـــ اثر المداومة على العبـــادات الواجبــة والمستحبة ـــ درجة يكون فيها الله عينه واذنه ولسانه ويده. ثم يقوم بشرح المعاني المختلفة للحديث حتى يقول: (ان هذه المرتبة الاخيرة التي تعتبر مرتبة دقيقة ولطيفة للغاية) ولذلك فان هذا الامر يكون سببا لانزلاق وانحـــراف افراد كثيرين.

والمعنى الاول هو ان الانسان وبسبب كونه قد بلغ مرتبة المحبة الكاملــة واستقرت في قلبه محبة المحبوب الحقيقي، فانه يرى المحبوب في كل شـــيء يشاهده، أي يرى آثار قدرته وكأنه يراه هو. وعلى هذا القياس، فكلمـــا سمع شيئا يسمع كمالات المحبوب، واذا حرك يده فانه يحركها في خدمـــة المحبوب. والخلاصة: انه لا يلتفت ولا يعتني سوى بالمحبوب، ويرى كـــل

[111] - عين الحياة، ص٥٤.

شيء مرآة لكمالات المحبوب، وهو نفسه لا يتقدم خطـــوة إلا في طريـــق المحبوب.

والمعنى الآخر هو انه عندما يصل المؤمن الى هذا المقام فانه لا يـــرى إلا الأشياء التي فيها رضى المحبوب، ولايسمع سوى الاشياء التي فيها رضـــــى المحبوب، ولا يقوم بعمل غير ما يكون فيه رضى المحبوب. وبتعبير آخر انـــه يرجع ويفضل مراد المحبوب ومطلوبه على مراده هو ومطلوبه. والاسمى مـــن ذلك انه يصل الى موضع ومرتبة يفني فيها كل قوى أعضائه في سبيل رضـــا الله ويصبح وسيلة تحت ارادة الله.

والمعنى الثالث يذكره المجلسي مع التحذير والاعراب عن القلق، فيقول:

[وهناك معنى أدق أذكره هنا وأسأل الله تعالى ان لا يجعله مشتبها وملتبســـا علـــى ذوي الرؤيـــة الباطلة والافكار المنحرفة].

فقد منح الله تعالى للانسان قابليات وامكانيات مختلفة وطلب منـــه ان يسخرها ويستخدمها في سبيل رضاه. ومن ناحية أخـــرى، إن في طبيعـــة الانسان ميولا نحو الباطل أيضا "والأعمال الحقة تتنافى مع طريقـــــة وذوق أهل الباطل". فاذا تجاوز الانسان الميل نحو الباطل واستخدم المواهب الإلهيـة له "بشكل يتفق وينسجم مع رضى الله" فبموجب **"وما انفقتم من شـــيء فهو يخلفه"**[١١٢] فان الله عز وجل يعطيه موهبة أسمى.

---

[١١٢] - سورة سبأ/ ٣٩.

وباستمرار عملية الاخذ والعطاء والتبادل، ينال العبد المؤمن بالله مرتبة ويبلغ درجة يعطيه فيها الباري قدرة اكبر من قدرات الانسان الاعتيادي؛ قدرة تمكنه من إنجاز أعمال كبيرة حتى دون استخدام اعضاء بدنه "وتغدو جميع المخلوقات مطيعة له". هذه القدرة والامكانية "لاتزول بالموت ويتساوى فيها وضع الانسان حيا وميتا".

من ناحية اخرى، فان مثل هذا الانسان ليست لديه ارادة سوى ارادة الله، وهو "يخلو من أي واحدة من الارادات ومن مراداته" في سبيل الله. ويغدو الله هو المدبر لاموره وبمجرد أن يريد تحقيق شيء يسخر له قدرته لتمكينه من بلوغ مراداته. وهذا هو معنى الحديث المشهور **"قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الله، يحركه نحو كل جهة كما يشاء"**.

انه بارادته هو واثر المداومة والاستمرار في اطاعة الحق انطلاقا من المحبة، وصل الى مرتبة صار فيها ظرفا ومحلا لارادة الله وبغير ما تتعلق به الارادة الالهية فانه لا يتعلق مطلقا. وآية **"وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"** تفسر في بعض الاحاديث بهذا المعنى.[113]

وكان المجلسي يعرف معاني أدق وأطرف فيقول:

[في هذا المقام يغدو الكلام دقيقا وطريفا جدا ولا يمكن مواصلة الكلام أكثر من هذا القدر].

الا انه يؤكد مرة اخرى "ان هذا المعنى خاص بالمقربين" ولا يمكن من خلاله استنتاج صحة نظرية الصوفية بشأن الحلول والاتحاد. والتخلق

[113] - سورة التكوير/ الآية ٢٩.

بالأخلاق الالهية" أيضا تعبير آخر عن هذا المقام، وكما شبه البعض فانـــه يصبح "كالحديدة التي احمرت لتعرضها الى النيران. فتحسب أنها نار وهـــي ليست بنار وانما صارت بلون النار".[114]

والنقطة الاخيرة التي ذكرها المجلسي فيها إشارة الى أبيـــات شـــعرية للمولوي في ديوانه (المثنوي) يقول فيها (ما معناه):

(تعرض الحطب لالسنة النار واللهب فزال لونه الغـــامق وتـــأجج وصار نيرا)

(وحتى الحديد تغير لونه بالنار فصار بلون النار ويتبجح بحمرتها بينما النار هي الاصل وهو هامد خامد)

(أثر فيه لون النار وطبعها تأثيرا عميقا جعله يهتف: أنا النار، أنـــا النار)[115]

*** افكار المجلسي ونشاطه العلمي في ميدان السياسة**

ان الوجه الفارق للمذهب الشيعي وما يمتاز عـــن ســـائر المذاهـــب الاسلامية هو نظرية الامامة، والتي تتجلى في نواح وابعاد كثيرة من جملتـــها البعد السياسي. وقد ادى اعتقاد الشيعة بان ادارة المجتمع الديـــني ـــ بعـــد الرسول الاكرم ـــ ينبغي ان تكون بيد شخص او اشخاص اختيروا لخلافته من قبل الله؛ هذا الاعتقاد ادى في ضوء تكريس نظرية "الخلافة" الى جعـــل

---

[114] - عين الحياة، ص٥٣ - ٥٧.

[115] - ديوان مثنوي، معنوي، المجلد الثاني، ص١٣٩.

الشيعة لا يتدخلون في الميادين الاجتماعيـــة والسياســية إلا نــادرا. وان الظروف التاريخية والممارسات المعروفة للحكام مع أئمة الشـــيعة وقلــق الحكام من اقبال المسلمين على طاعة الأئمة ـــ وقد رأينـــا الكثـــير مـــن مصاديقه في المصادر التاريخيةـــ ادى الى بقاء الشيعة بعيديـــن عـــن هـــذه الميادين، وعمق الهوة بينهم وبين ممارسة النشاطات في المجالات المذكورة.

وبوفاة الامام العسكري (ع) وبدء الغيبة الصغرى عام ٢٦٠ ثم بـــدء الغيبة الكبرى عام ٣٢٩، انتفت ـــ عمليا ـــ امكانية أخذ زمام الحكومـــة بيد الائمة، لأنه ـــ من وجهة نظر الشيعة ـــ رغم انه كان ينبغي ان تنتقـل الحكومة الى الامام الثاني عشر، لكن هذا الامر لا يحصل عن طريق العمـــل السياسي او القيام بالسيف، بل تمتد يد من الغيب وتفعل ما تريده. ولذلـك فقد بقي الشيعة يحملون هذا الاعتقاد الاساسي وظلوا ينتظـــرون ظـــهور الامام الموعود. وقد ألف الباحثون كثيرا من الكتب حول الآثار والبركـلت التي نتجت عن هذا الانتظار على صعيد التوجهات والاساليب والركـــائز التي قام عليها المجتمع الشيعي، وما لعبه هذا الانتظار من دور مؤثـــر، ولا يتسع المجال هنا للبحث في هذا الجانب.

وبذلك فان نظرية (الامامة) الشيعية التي ابتعـــدت عـــن الخطـــوات المستعجلة لتحقيقها ـــ في ضوء تعاليم وارشـــادات الائمـــة ـــ بســـبب المضايقات والضغوط الشديدة التي كانت تمارسها الحكومـــات القائمـــة آنذاك، غدت ـــ مع بدء عهد الغيبة ـــ لا تمتلك مقومات وارضية القيـــام بمثل هذه الخطوات. وقلنا انه حسب الرأي المقطوع بصحته لدى علمـــاء

الامامية، فان آخر حلقة من سلسلة (الامامة) توجد في مرحلة (الغيبة) وان ظهور هذا الامام ـــ أي محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه ـــ الذي يقترن طبعا بأخذ زمام الحكومة والادارة السياسية للمجتمع ـــ لا يمكن ان يتم عن طريق العوامل العادية والطبيعية، بل هو عمل رباني واسمى من ارادة الأشخاص.

في مثل هذه الاوضاع، اقتصرت البحوث المتعلقة بالامامة على الكتب والحلقات الكلامية وتبلور التشيع على شكل فرقة من الفرق الاسلامية، وتمركز معظم سعي وجهود علماء الشيعة الامامية في هذه الظروف على تأليف الكتب المدافعة بالأدلة والبراهين، فيما يخص الامامة، والرد على الاسئلة والشبهات، واجتذاب واستقطاب المسلمين واقناعهم بهذه النظرية، واعداد الوضع المناسب والارضية الملائمة لعرض ونشر التعاليم الشيعية في جميع المجالات وتثبيت ركائز المؤسسات الشيعية والتنظيمات الصغيرة والكبيرة في كل انحاء العالم الاسلامي.

لكن ما لم يكن مطروحا آنذاك ـــ ربما لعدم الحاجة او بسبب عدم الجدوى او لأسباب أخرى ـــ الحديث في باب كيفية ادارة المجتمع في عصر الغيبة. فاختلاف الظروف الذي حدث بعد حصول الغيبة لم يكن تطورا بسيطا. هذا التطور يعني ـــ ضمنيا ـــ عدم امكانية ادارة المجتمع الديني على يد الامام المعصوم في عهد الغيبة. ويبقى هذا السؤال مطروحا ـــ على الأقل لدى الباحث الذي يدرس ملابسات هذا العهد، ما هي طبيعة البديل

في نظرية "ضرورة الادارة السياسية للمجتمع الديني بواسطة الامام المعصوم"؟

فمن المقبول تماما ان عصر الغيبة يعتبر ــ في نظر العالم الإمامي ــ ورغم انه سوف يستمر لسنين طوال، ليس وضعا طبيعيا بل تسوده ظروف الأزمة، ولكن حتى في ظل الظروف المتأزمة لابد من التعاطي مع المجتمع وتدبير أموره. ولهذا السبب نفسه فانه لمواجهة هذا الوضع المتأزم، اقترحت ــ من اجل الحصول على أحكام الشريعة ــ وأخذت في نظر الاعتبار طرق وأساليب معينة، وفي المجالات الاخرى، ينبغي القيام بمثل هذه الامور.

وحسب اعتقادنا، فان الانهماك الشامل والانكباب التام لعلماء الامامية، في مجال تثبيت ركائز تواجد الشيعة ودورهم في المجتمع الاسلامي وابعادهم عن التفرقة السياسية والتشرذم المذهبي، وانكباب العلماء على الاجابة عن تساؤلات الشيعة في المواضيع والمجالات المختلفة، أدى عمليا الى صرف اهتمامهم عن هذا الجانب المهم والاساسي، تماما.

ومن منظار آخر فان غيبة الامام الثاني عشر حصلت في ظل وجود حكومات تدعي كونها تجسد الخلافة، وبعض الحكومات المحلية او الاقليمية التابعة التي ذاق الشيعة ــ فيما سبق ــ مرارتها وجربوا الحياة في ظلها واكتسبوا تجربة ثمينة في هذا الصدد. ومن هنا فان وقوع الغيبة لم يؤد الى تغيير واضح واساسي في طبيعة ادارة المجتمع الاسلامي من الناحية الظاهرية. بينما حصلت هذه الثغرة وحصل هذا الخلأ في النواحي العلمية وفي السلوك الديني.

وكان الشيعة يعلمون أن عليهم ان ينهلوا التعاليم الدينية من منبع الوحي وظلوا متمسكين بهذا الامر ويسلكون هذا النهج. وطبعا فان معظم التساؤلات تركزت خلال مرحلة الغيبة الصغرى ــ التي كان يتولى فيها النواب الاربعة ربط العلاقة بين الشيعة والامام ــ حول انه من أين يجب أخذ تعاليم الدين ومعرفة معالمه في هذا الظرف الحرج؟ ولو فرضنا ان أجوبة الأئمة في هذا الباب تشمل المجالات السياسية والنواحي الادارية ايضا، ففي ذلك الحين لم يكن هناك من يفهمها من هذه الزاوية ويخرج من قراءتها بهذا النمط من الفهم.

القضية كانت أن الشيعة لم يكونوا يشكون في عدم شرعية الحكومة القائمة، وكانت تلك أهم التعاليم الشيعية، بالرغم من انهم كانت تتاح لهم الفرصة ــ في تركيبة تلك الحكومة ــ لتطبيق سنة المساهمة الاجتماعية ولعب الدور السياسي المتناسب ــ احيانا ــ مع الآراء الشيعية.

علاوة على ذلك كان الشيعة يعون أن بوقوع الغيبة لم يطرأ أي تغيير على ماهوية وجوهر تلك الحكومات وأنها مازالت وستبقى تفتقد الشرعية المطلوبة. اما عندما وصل الصفويون الى الحكم فقد طرحت ــ كما أسلفنا القول فيما مضى ــ تساؤلات جديدة من ضمنها: هل إن قيام الحكومة الشيعية والمشروعة أمر ممكن في عصر الغيبة؟ ماهي مستلزمات هذه الحكومة ولوازمها؟ ماهي الخصائص التي ينبغي أن يتحلى بها الحكام؟ كيف يجب أن يفكر الناس وينظروا إليهم ويرتبطوا معهم وعلى أي اساس تستند علاقتهم؟

لم تطرح لهذه التساؤلات ـــ التي لم تطرح بعضها علنـــا ـــ أجوبـــة صريحة ومنسجمة مع بعضها، والحصول على آراء علماء الامامية في تلـــك الفترة يستلزم بحثا معمقا وجادا. لكن ما نرمي اليه هو معرفة آراء محمـــد باقر المجلسي.

فقد تضمنت خطبته التي ألقاها في مراسم تتويج الشاه السلطان حسين الصفوي اجوبة على قسم من التساؤلات المطروحة آنفـــا وهـــي تحظـــى بالأهمية من زاوية انها تدل على محاولة المجلسي بلورة تخطيـــط او تصـــور لحكومة مقبولة من الناحية الشرعية في عصر الغيبة.[١١٦]

فباعتقاد المجلسي، بعد وقوع الغيبة "أودع الله تعـــالى بمزيـــد لطفـــه ورحمته... مفاتيح حكم البلاد في الكف الكفوءة والقبضة المدبرة للسلاطين العادلين والحكام المقتدرين" لكي يبســـطوا "**جنـــاح الرأفـــة والعدالـــة والتواضع**" على كافة الخلائق ولا يفكروا إلا بصلاح حال الناس واعمـــار البلدان ويعيش الناس بالنعمة والرفاهية في ظلهم. وكان يرى ان "**الحكومـــة الصفوية السامية**" مصداق لهؤلاء السلاطين الذين يعيش في كنف رعايتـــهم سكان هذه الديار "**في ظلهم الوارف بكل دعة واستقرار ورفاه**".

---

[١١٦] – توجد نسخة من خطبة المجلسي بمناسبة جلوس الشاه السلطان حسين على عرش السلطنة، في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي، رقم ١، المجموعة رقم ٢٧٢١، ص٣٥٢ – ٣٥٩، وما يتضمنه هذا الكتاب منقول من النسخة المذكورة.

وكنا قد أشرنا ـــ فيما سلف ـــ الى حسن ظن المجلسي والعلماء المعاصرين له بحكومة الصفويين وشرحنا أسباب ذلك ومبرراته. لكن القسم الثاني من خطبته يتضمن نقطتين اساسيتين:

الاولى: ان ميزة الحكومة المقبولة من وجهة النظر الدينية هي العدالة، وهذه العدالة ينبغي ان تتجلى في جميع النواحي والمجالات، وخاصة في المجال الاجتماعي.

والثانية: توجد امكانية اقامة الحكومة المقبولة (حق) في عصر غيبة المعصوم.

وبالرغم من أن المجلسي لم يقترح خطة كاملة وشاملة وان ما طرحه يشوبه الغموض والابهام والنقص الكبير ـــ فمثلا ليس واضحا لدينا ان الحاكم الذي وضع نصب عينه الرأفة والعدالة الى أي مدى يملك القدرة والحاكمية ـــ لكن المهم انه أشار الى سلوك سبيل يخلص الشيعة من الطريق المسدود الذي جعلتهم فيه الظروف التاريخية، فحدد النظام السياسي البديل الذي يصلح في الوضع الحرج المتأزم وأكد على بعض العناصر الاساسية له.

ففضلا عن العدالة ـــ التي هي الركن المقوم لهذا النظام المقبول والذي كلما ابتعدت عنه الحكومة هبطت مقبوليتها بنفس القدر ـــ فان المجلسي ذكر بان هؤلاء الحكام لا يعتبرون معصومين وتبعا لذلك فليسوا هم أولوا الامر، ولا ينبغي اعتبارهم "ذوي سلطة" تعتبر "اطاعتها اطاعة لله وعصيانها

معصية لله". لأن "الله تبارك وتعالى قصر هذا الامر على طاعة الرسول وأولي الامر وحسب وهم معصومون ومطهرون".[117]

وهذه القضية لا تستلزم عصيان أمر الحكام باعتبار انهم (يقومون بحفظ وحراسة الرعية ودفع شر أعداء الدين عن الناس) وخاصة "عندما يتحلون بالعدالة في السلوك" فحينذاك ينبغي معرفة حقوقهم واداؤها.[118]

وفي الحقيقة أن المجلسي يلفت النظر الى (حقين) ويميز بينهما: الحق الذي يوجد للائمة نظرا لعصمتهم والاختيار الإلهي لهم، والحق الذي يملكه حكام العدل على الناس نظرا لكونهم يمسكون بزمام الادارة السياسية للمجتمع. والحق الثاني ينطلق من الوجوب العقلي "لرعاية مصالح المدينة" ومن باب الاتفاق فان لفهمه وتوضيحه لأتباع المذهب الحق ذو نتائج مباركة.

والعنصر الآخر الذي يشير اليه المجلسي حول حكومة عصر الغيبة هو ضرورة التزام الحكام بـ "شرائع الدين المبين" وقد كانت نظرته الى الصفويين منطلقة من هذه النقطة بالذات. فهم كانوا "يهتمون دائما بتوفير واحترام وتعظيم علماء الدين وكانوا يسيرون الامور ويصرفونها حسب تعليماتهم". وكان يعرب عن تقديره لمؤسس الحكومة الصفوية الذي "كان مروج الدين المبين" واستدعى "خاتم المجتهدين الشيخ علي بن عبد العال من

---

[117] - عين الحياة، ص٤٨٨.

[118] - عين الحياة، ص٤٩٩.

جبل عامل، وعامله بكل اعزاز واكرام ورجع اليه دائما في تصريف امور الدين والدولة".

ويضيف المجلسي نقطة اخرى هي ان الملوك الصفويين كانوا قد عينوا اناسا "في منصب الخلافة والحكومة في الولايات المحروسة" من الذين كانوا "يثقون فيهم ومتأكدين من كونهم لا يتجاوزون احكام الشرع القويم ويتصرفون بموجب العدالة" لئلا "يحصل تعد على الرعايا والبرايا بأي نحو من الانحاء".[119]

وبهذا يكون النظام السياسي المقبول في عصر الغيبة ـ من وجهة نظر المجلسي ـ هو النظام المستند الى العدل والفقه. وعلى هذا الاساس فانه لم يغفل في كتابه ومؤلفاته عن "نصيحة الملوك" ويخاطبهم بالقول **"ان عدل الملوك والامراء من أعظم مصالح الناس، وعدلهم وصلاحهم مؤد لصلاح جميع العباد وعمارة البلاد، وفسقهم وفجورهم يورث اختلال نظام امور اكثر العالمين"**.[120] ويكتب بابا خاصا في "كيفية معاشرة ارباب الحكم مع الرعايا" ويضمنه اشارات ونقاطا قصيرة وموجزة الى بعض وظائفهم، ويلفت نظرهم الى ضرورة قيامهم بمطالعة رسائل أمير المؤمنين الى الولات والمحافظين الذين عينهم في الامصار والبلدان".[121]

---

[119] - مجلة (كيهان انديشه) العدد ٣٣، ص١٢٤.

[120] - عين الحياة، ص٤٨٧.

[121] - عين الحياة، ص٤٩٠ - ٤٩١.

ولا نجانب الصواب ولا نبعد عن الحق لو قلنا إن محمد باقر المجلسي يعتبر رائد الكتابة السياسية بين علماء الشيعة، مع هذا التوضيح بأنه يتناول ووفقا لاسلوبه المعهود يعرج في كتاباته السياسية ايضا على ذكر الاحاديث والروايات، في هذا الشأن، وقد ألف رسالة في "كيفية سلوك ولاة العدل مع كافة العباد ليسمعها ذوو الغفلة" ويحذروا، وليطبقها "ذوو السلطة والحكم" فيصلحوا أعمالهم. وان تأكيده على هذه الحقيقة وهي: **ان صلاح الحكام وفسادهم له الدور الاساس في صلاح الناس وفسادهم**، نقطة تستحق التأمل وامعان النظر.

وقد ألف المجلسي رسالة في فصلين حول آداب سلوك الحاكم والرعية، ويتضمن **الفصل الاول** عهد الامام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) الى مالك الاشتر (ره) الذي يعتبر ــ بحد ذاته ــ ميثاقا سياسيا ونظاما جامعا مليئا بالنقاط المهمة، وقد ترجم الى الفارسية بعد المجلسي مرارا، وكتب بعض العلماء شرحا له. كما كتب بعض الباحثين تأليفات حول مدى صحة نسبة هذه الرسالة الى أمير المؤمنين.

وفي **الفصل الثاني** ذكر ثلاثة أحاديث مهمة "وردت في هذا الباب".

الحديث الاول: رسالة موجهة من الامام علي بن أبي طالب الى عثمان بن حنيف والي البصرة. وقد ذكروا أن حضرته كتب هذه الرسالة إثر سماعه نبأ مشاركة ابن حنيف في مأدبة أقامها أحد أشراف البصرة وأثريائها، وقد بعث الامام هذه الرسالة لابن حنيف وذكره فيها ببعض النقاط والتحذيرات في باب العدالة الاجتماعية.

والحديث الثاني: رسالة موجهة من الامام جعفر الصادق (ع) الى **عبد الله بن النجاشي والي أهواز** في ذلك العصر، من قبل المنصور العباسي. وقد أيد أحد ابرز علماء الرجال الشيعة وهو ابو العباس النجاشي ـ حفيد عبد الله النجاشي المذكور آنفا ـ نسبة هذه الرسالة الى الامام السادس واعتبرها الرسالة الوحيدة التي كتبها الصادق (ع).[122] وطبعا ينبغي التريث والتأمل في هذا الادعاء.

لكن هذه الرسالة تختلف عن عهد الامام علي لمالك الاشتر ورسالته الى عثمان بن حنيف اختلافا اساسيا. فالنجاشي لم يكن معينا في امارة اهواز من قبل الامام المعصوم بل كان واليا من قبل الخليفة العباسي، وطبعا فقد كان قلقا من عمله، ولهذا كتب رسالة الى الامام وطلب منه أن يرشده. وكانت معظم نصائح وتعليمات الامام له بأن يحسن معاملة الناس ويشيع العدل ويلبي مطاليب الرعية واحتياجاتهم ويجتنب اكتناز الذهب والفضة.

الحديث الثالث: من الروايات الاخلاقية التي وردت في (ارشاد القلوب) للديلمي ونقله المجلسي في البحار (ج٧٢، ص٣٥١ - ٣٥٢) وتحتوي هذه الرواية على عتاب شديد موجه للمنصور الدوانيقي وقد وعظه بها امرؤ خلال سفره الى الحج، وحذره من كثير من الامور. ولقد لام الشخص المذكور المنصور العباسي بسبب غفلته عن امور المسلمين، وقطع علاقته بالناس، وتعيين وزراء ظلمة وأعوان سيئين لا يحملونه على

---

[122] - رجال النجاشي، العدد ٢٥٣ و ٥٥٥.

أعمال الخير، ولا ينهونه عن أعمال السوء، وعنفه على رواج الرشوة بين موظفي الحكومة وعمالها، وإقباله على جمع المال، وسأله "كيف يبقى الاسلام قائما اذن مع هذه الاعمال وهذه الممارسات؟!" ثم ذكر له اسلوب حاكم الصين في انصاف المظلومين، وأبدى دهشته قائلا (ما معناه):

[انه كان حاكما مشركا ومع ذلك فقد اعتنى بأحوال عبدة الاصنام الوثنيين واهتم بهم هكذا، بينما انت الذي تؤمن بالله لا يرق قلبك ولا يشملهم لطفك ورعايتك!].

وفي الختام، سأله المنصور: ماالحل اذن؟ فاجابه بالقول: إن الحل هو أن ترافق العلماء والحكماء وتجالسهم وتستشيرهم، وعندما تذرع المنصور بأن العلماء يأبون الاقتراب منه ومجالسته قال له الرجل: (انهم يخشون ظلمك وسوء اعمالك ولذلك يبتعدون عنك) ولو اقبلت على تنفيذ العدالة واشاعة القسط ودفعت للمسلمين حقوقهم "فان الذين ابتعدوا عنك سيعودون لك" و"يعينونك في امور الخير".[١٢٣]

---

[١٢٣] - خمس وعشرون رسالة (بيست وبنج رساله) ص١٣٥ - ١٧٩.

الملحق الاول:

الملا محمد تقي المجلسي

كان الملا محمد تقي المجلسي ابن الملا محمد مقصود علـــي اصفـــهاني وسبط الملا كمال الدين درويش محمد نطنزي، مـــن علمـــاء اصفـــهان المشهورين في العهد الصفوي، وقد ولد في السنوات الاولى مـــن القـــرن الحادي عشر (الهجري القمري).

ويعتبر مقصود علي اول شخص من هـــذه العائلـــة يعـــرف بلقـــب (المجلسي)، ثم أُطلق هذا اللقب بعد ذلك على أَولاده وأَحفاده.

قال **البهبهاني** في مرآة الأحوال (ص ١٠٠، وفي الفيـــض القدســـي ص١٠٥ نقلاً عن المرآة) انه كان رجلاً ورعاً مـــن ذوي الكمـــالات ولا يضارعه في الخطابة وادارة المجالس شخص آخر وكان يلقّب بـــ (المجلســـي) وانتقل هذا اللقب الى أَولاده وأَحفاده فصاروا يلقّبون به.

وكمال الدين درويش محمد النطنزي من تلاميذ **الشهيد الثاني** وأحـــد أربعة علماء قدموا الى ايران في بداية العهد الصفوي. كان النطنزي زاهـــداً معروفاً وركز معظم جهوده على نشر الحديث حتى قيل "انه اول من نشـــر حديث الشيعة الامامية" (اجازات الحديـــث، ص٨٨ و١٢٥ و١٣٥) وفي جميعها قال عنه انه جده لأمه.

وقد تتلمذ درويش محمد ـــ علاوة على **الشهيد الثاني** ـــ علـــى يـــد **المحقق الكركي** أيضاً وكان يعيش في نطنز حتى توفي ودفن فيها ويوجد بهـــا

قبره الآن ويحظى باهتمام الناس (الفيض القدسي، ص١٠٦ - ١٠٨، ومرآة الاحوال، ص٩٩ - ١٠٠) ويعتبر **الملا عبد الله الشوشتري** (المتوفى عام ١٠٢١) **وبهاء الدين محمد العاملي المعروف بالشيخ البهائي** (المتوفى عام ١٠٣٠ او ١٠٣١) أُستاذَي محمد تقي المجلسي الرئيسين وكلاهما من مدرسي حوزة جبل عامل.

ويقول محمد تقي المجلسي إن الشوشتري أقام في اصفهان ١٤ عاماً ولم يتصدّ لأي من المناصب الدينية، وفي ضوء ذلك فقد لعب دوراً كبيراً في نشر الحديث والفقه، بحيث إِنه عندما دخل اصفهان لم يكن عدد طلبة العلوم الدينية فيها يتجاوز الخمسين شخصاً، وعندما توفّي الشوشتري كان اكثر من الف شخص من الفضلاء والطلاب يدرسون العلوم الدينية في اصفهان (روضة المتقين، ج١٤، ص٣٨٢، والفيض القدسي، ص١١١) ودرس هذا العالم الفذ لدى بعض علماء جبل عامل بالنجف الاشرف، وتوفي في اصفهان عام ١٠٢١ ودفن في مشهد (يقارن مع وقائع السنين، ص٥٠٢).

وبهاء الدين العاملي هو الاستاذ الآخر لمحمد تقي المجلسي وهو أشهر من نار على علم ومن نافلة القول تسليط الضوء على ترجمة حياته. وكان قد هاجر بمعية أبيه حسين بن عبد الصمد العاملي، من تلاميذ الشهيد الثاني، الى ايران وتربى فيها ودرس العلوم، وأصبح ـــ لسنين طويلة ـــ شيخ الاسلام باصفهان.

وقد ربى تلاميذ كثيرين وكتب مؤلفات عديدة واهتم كثيراً بالحديث ويبدو من مؤلفاته الاهتمام بكسب الآراء والنظريات الدينية من القرآن والسنة (كما هو الحال في كتابه مشرق الشمسين) وقد ذكر هذه النقطة محمد تقي المجلسي في ترجمة حياته (انظر الفيض القدسي، ص١١١ - ١١٢، وروضة المتقين، ج١٤، ص٤٣٤ - ٤٣٥) وقد فارق الحياة في علم ١٠٣٠ هجري (وقائع السنين، ص٤ - ٥).

وقد خلّف محمد تقي المجلسي مؤلفات قيمة من أبرزها (**روضة المتقين**) و(**لوامع صاحب قراني**). وهذان الكتابان شرحان ــ بالعربية والفارسية ــ لــ (من لايحضره الفقيه) ويعينان المرء كثيراً على فهم الامور الغامضة في هذا الكتاب.

وقد ربى تلاميذ كباراً من أمثال **آقا حسين خونساري وملا صالح المازندراني** وتوفي في اصفهان عام ١٠٧٠. ولوحظ ميله الى التصوّف او على الاقل اهتمامه بالرياضات الشرعية وتزكية النفس، في بعض مؤلفاته وتعتبر من القضايا المثيرة للاهتمام في حياته. لكن محمد باقر المجلسي اهتم كثيراً بالدفاع عن أبيه وبرّأ ساحته من أي سلبية اتُّهِم لها (الفيض القدسي، ص١٠٥ - ١١٨، ومرآة الاحوال، ص١٠٠ - ١٠٢، ووقائع السنين، ص٥٢١).

وقد برز في عائلة المجلسي علماء كثيرون وردت تفاصيل حياتهم في كتب التراجم وخصص **البهبهاني** قسماً كبيراً من كتابه لشرح حياتهم والتعريف بهم (مرآة الاحوال، ص٩٩ - ١٤٥) يضاف الى ذلك، فقد قلل

مؤلف رياض العلماء إن **الحافظ ابو نعيم الاصفهاني مؤلف حلية الاولياء** كان من أجداد المجلسي ويعتقد المجلسي انه كان يؤمن بالمذهب الشيعي (الفيض القدسي، ص١٠٨ - ١٠٩). .

الملحق الثاني:

المير محمد باقر الخاتون آبادي

ان معظم المعلومات الموجودة عن المير محمد باقر أوردها **مؤلف وقـائع السنين والايام** وكاتبو ملاحقه وتتماته. كما سلط الضوء عليه **أغا أحمد بهبهاني، ومحمد علي حزين وعبد النبي القزويني** ايضاً. وشرح البهبهاني في مرآة الاحوال (ص٢٤٦) حياة عدد من علماء اواخر العهد الصفوي وذكر في عِدادهم ان المير محمد باقر هو ابن المير اسماعيل الحسيني الاصفهاني وهـو من مشاهير علماء اصفهان "وكان مكلّفاً بالتدريس في المدرسة السـلطانية وقد توفي قبيل هجوم محمود الافغاني على اصفهان. وقد أورد حزيـن في تاريخه نفس التوضيح بشأنه (ص٦٤).

وقام عبد النبي القزويني في (تتميم امل الآمل) بالتعريف بوالد المير محمد باقر فضلاً عنه هو، واشار الى مترلة الاثنين وفضلهما. فقد كتب قـائلاً: ان المير اسماعيل من العلماء المشهورين بالفضل والتحقيق وقد كتـب شـرحاً للكافي وحاشية على الإلهيات. بَيدَ أنه على الرغم من تعمقه في الابحـاث العلمية فانه لم يكُ ذا ذهنية وقّادة وذكاء حاد (ص٦٩). والمير محمد بـاقر كان يضارع أباه ويناظره في المرتبة العلمية (اذ كان الولَدُ على سرّ أبيـه) وأكسبَهُ تمتُّعه بخصوصيتين شهرة علمية واسعة:

الاولى: انه كان بليغاً وسريع البديهة والجواب.

والثانية: انه كان مقرّباً من الشاه الصفوي وذا حظوة لديه.

ولقد اختاره **الشاه حسين الصفوي** ليكون معلماً له وقدّمه على جميع علماء زمانه، ولذلك لقي اسمى التبجيل والاحترام والتوقير لدى الامراء واركان الدولة، تبعاً للشاه (ص٧٧).

ويستنتج من قول القزويني هذا ان المير محمد باقر ورغم انه كان يعدّ من العلماء، لكنه حصل على مرتبة اجتماعية ومترلة راقية عن طريق كونه معلّماً للسلطان، ويبدو أن ما ادعاه مؤلف (تذكرة الملوك) ليس بعيداً عن الواقع وهو ان المير محمد باقر كان ادنى علماً من **أغا جمال الخونساري**.

وتربط الخاتون آبادي (مؤلف وقائع السنين) علاقة قرابة مع المير محمد باقر ولذلك فانه سلط مزيداً من الضوء على حياته، رغم انه يلاحَظ في مضامين كتابه بعض المبالغة، وطبعاً ينبغي أن لاننسى أن معظم هذه المضامين والاستنتاجات الواردة في كتابه من اقلام كتّاب تتمات وتكملة الكتاب.

ومما اورده وما كتبه كتّاب تتمات الكتاب:

ان المير محمد باقر ابن المير محمد اسماعيل الخاتون آبادي ولد في عام ١٠٧٠ للهجرة (وقائع السنين، ص٥٢١) ابوه عم مؤلف وقائع السنين ومن العلماء المعاصرين لمحمد باقر المجلسي وقد توفي أبوه في سن الخامسة والثمانين في سنة ١١١٦ ووري الثرى في مقبرة بابا ركن الدين. وخلّف كثيراً من آثار الخير والاماكن ذات النفع العام في اصفهان وخاتون آباد (الوقائع، ص٥٥٥ - ٥٥٦).

كان المير محمد باقر عالماً يحظى باهتمام الشاه واحترامه بشدة، وكان معلّماً للشاه ويرافقه في مجالسه الخاصة والعامة، وفي حله وترحاله، كأنيس وجليس. وبسبب حب الشاه الشديد له:

(فقد دعاه نواب أشرف في رمضان عام ١١١٥ الى تناول طعام الافطار ــ ومعه أبوه ــ وتحدثا حول احكام الشرع سبع ساعات ثم طلب من "العلامة مير محمد باقر" ان يكتب رسالة في واجبات الصلاة وبعدها رسالة اخرى في شرائط وآداب الدعاء. وقبل ذلك بشهرين طلب الشاه من المير محمد باقر "الذي كان جامعاً لكل الكمالات الظاهرية والمعنوية" أن يترجم تفسير مجمع البيان مع شرحه، الى اللغة الفارسية) (المصدر نفسه، ص٥٥٢).

ووقعت حادثة مهمة في ذي القعدة من العام نفسه. فقد توفي **الشيخ محمد جعفر القاضي** الذي كان قد عين شيخا للاسلام في اصفهان بعد المجلسي، في شهر شعبان عام ١١١٥ (نفس المصدر، ص٥٥١). وكان الشاه ينوي تعيين شيخ جديد للاسلام، ويبدو ان الجلسات المطولة التي عقدها في شهر رمضان كانت بهدف التمهيد لهذا الامر. اجل، فقد أصر الشاه وحاشيته اصرارا شديدا على "**وحيد عِصره، عديم النظير، الذي بلغ الكمال في كل أوصافه وصفاته، المير محمد باقر... بأن يقبل تكليفه بمنصب شيخ الاسلام**".

إلا ان المير امتنع عن القبول بذلك ورفض تسنم منصب شيخ الاسلام وقدم "الاسباب الشرعية" التي تجعله يعتقد بـ "عدم مشروعية هذا

المنصب". بَيدَ أن الشاه لم يكفّ عن الاصرار والالحاح عليه وقال: "لابد ان تقبل تسنم هذا المنصب" (المصدر نفسه، ص٥٥٤).

ولم يذكر المؤرخون ماهي "الاسباب الشرعية التي قدمها المير محمد باقر لتوضيح عدم مشروعية قبول هذا المنصب" لكن ما نقلوه عما قاله الخاتون آبادي نفسه يوضح المراد. فعندما يئس الشاه من حمله على قبول تسنم منصب شيخ الاسلام واقتنع بأن المير ينبغي ان يعفى من ذلك طلب منه ان يعرّف له هو شخصاً بديلاً عنه، فأجاب السيد: "**عندما لا أعتمد على نفسي في النهوض بهذه المهمة فكيف يمكنني الاعتماد على غيري!؟**" (المصدر نفسه). هذه العبارة تدل على ان السيد الخاتون آبادي كان يرى نفسه يفتقد الشرط اللازم للتصدي لمشيخة الاسلام، أي لم يكن يعتبر نفسه مجتهداً.

وبعد فترة قصيرة جاء **أغا جمال الخونساري** الى مجلس الشاه وطلب "نواب أشرف" مرة اخرى منه ان "يقنع السيّد الخاتون آبادي بقبول المنصب الذي يعرضه عليه الشاه". بَيدَ أن أغا جمال الخونساري ضم صوته الى صوت المير محمد باقر وأقنع الشاه بان يصرف النظر عن هذا الطلب. اذ استدل الخونساري في اقناع الشاه بالقول إن شرط تسنُّم مشيخة الاسلام هو تمتع الشخص بالاجتهاد. لانه عندما طلب منه الشاه ان يعين له شخصاً ويرشحه أجابه: "يوجد جمع ـــ من العلماء ـــ ... ليس بينهم أي مجتهد وهم غير مهيئين شرعاً لتسنّم هذا المنصب. ولكن يمكنك ان تختار أياً منهم

اكثر تديُّناً واكثر علماً من اجل تسيير امور الناس الدينية" (المصدر نفسه، ص٥٥٤).

وبذلك نجد ان المير محمد باقر صرف النظر وأبى القبول بتسنم هذا المنصب "بكل شهامة وترفّع وتديّن" ووقع الاختيار بعدئذ على **المير محمد صالح الخاتون آبادي** صهر العلامة المجلسي، لانه كان اكثر لياقة "وأشد طلباً للعلم" من "المجموعة التي كانت توجد آنذاك" (المصدر نفسه، ص٥٥٥).

ولكن هذه الواقعة لم تقلل من محبة الشاه الصفوي للمير محمد باقر بحيث إنه بمجرد انتهاء بناء مدرسة (جهارباغ) باصفهان عام ١١١٨ أسند "مهمة التدريس فيها الى علاّمة العلماء الامير محمد باقر" (المصدر نفسه، ص٥٥٦). وفي عام ١١١٩ طلب من المير محمد باقر ان يرافقه في سفره الى مشهد التي فيها مدفن الامام الرضا (ع) ومع ان شيخ الاسلام المير محمد صالح كان ـــ حسب المراسيم الرسمية والتقليد المعهود ـــ يرافق الشاه خلال السفر المذكور لكن الشاه كان "يتحدث طيلة طريق السفر مع علامة العلماء المير محمد باقر" وعندما وصل ركب الشاه الى طهران اذن الشاه للمير محمد صالح بالانصراف وبقي المير محمد باقر وأغا جمال الخونساري في المعسكر السلطاني. (المصدر نفسه).

اضافة الى ذلك كان الشاه "يستشير حضرة العلامة المير محمد باقر في معظم اعماله" وكانت "لديه ثقة واعتماد كاملين بحضرة الاستاذ" (المصدر نفسه، ص٥٥٧) ولذلك فعندما تم بناء المدرسة السلطانية عام ١١١٢ فانه

كلّف (العالم الكبير الفذ المجتهد الامير محمد باقر) بالتدريس فيها، بَيـــد ان الخاتون آبادي "ومراعاةً للآداب" طلب من الأغا جمال الخونساري ان يبدأ الدرس، ثم تلاه هو فأخذ يدرّس "بكلام فصيح وتعبير بليغ" (المصدر نفسه، ص٥٦٥).

وهذا التقرير التاريخي يدل على نقطة اخرى وهي ان: الأغا جمال كان يتمتع بدرجة علمية اعلى من المير محمد باقر، وكان الاخير يعرف قـــدره ويوليه الاحترام والاكرام الذي يستحقه.

وفي تلك الفترة، اخذت العلاقة بين الشاه وشيخ الاسلام آنذاك المـــير محمد صالح ــ الذي لم يكن راغباً كثيراً في انتخابه لهذا المنصب ــ تضعف وتفتر تدريجياً حتى آلت الامور الى استقالته وعزله في ربيع الآخر من عـــام ١١٢٤ (المصدر نفسه، ص٥٦٥).

وحاول المير محمد باقر ان يقنع الشاه بعدم الاقدام على ذلك واعـــادة النظر في قراره وابقاء المير محمد صالح في نفس المنصب لكن الشاه لم يقبـل، حتى عاد ــ مير صالح ــ مرة اخرى الى منصبـــه في ذي الحجـــة ١١٢٥ (انظر المصدر نفسه). ويبدو ان المير محمد باقر لم يجد بُدّاً مـــن الانصيـــاع للقبول بمشيخة الاسلام خلال هذه الفترة القصيرة لأن الشاه كان قد استردّ جميع صلاحيات المير محمد صالح وامكاناته عندما عزله، وفوّضـــها للمـــير محمد باقر (المصدر نفسه). كما ان اسم المير محمد باقر قد ذُكـــر خـــلال احداث عام ١١٢٢ ووصف بأنه "شيخ الاسلام" (المصدر ذاته، ص٥٦٢).

والاهم من ذلك انه كان هناك منصب اسمه (رئاسة العلماء) وقد اسند في هذه الفترة الى المير محمد باقر:

[ففي اواخر شهر ربيع الثاني عـــام ١١٢٤... قرر نواب اشرف ان يعيّن حضرة مجتهد الزمـــان الأمير محمد باقر ــ سلّمه الله ــ رئيســـاً لكـــل العلماء والاشراف والعظماء وألاّ يكون بمقـــدور أي امرئ ان يتقدم على موقف او مجلس مجتـــهد الزمان هذا في البلاط الشاهنشاهي... والخلاصة انه لا ينبغـــي لأيٍّ مـــن المســـؤولين والعلمـــاء والسادات التقدم على المشار اليه وقد امر الشاه الامراء بالذهاب اليه وتهنئته وان لا يقصـــوا ولا يتأخروا لحظة في تبجيل واكرام واحترام علامـــة العصر المذكور] (المصدر نفسه، ص٥٦٦).

وهذا هو المنصب الذي ذكره مؤلف "تذكرة الملوك" وقال عنـــه انـــه منصب الـــ "ملاّ باشي".

وجاء في تقرير نشر في (وقائع السنين) ان بعضاً من المحيطين بالشـــــاه ورؤساء البلاط لم يكونوا راضين عن قرار الشاه واختياره لهذا العـــالم. وفي عام ١١٢٧ ازداد سعر الخبز في اصفهان فادعى بعضهم ــ كما في وقـــائع السنين ـــ ان سبب الغلاء هو المير محمد باقر حتى شاع هذا الزعم "بـــــين العوام وكأنه حقيقة واقعة".

وبعد فترة، هاج الناس واستشاطوا غضباً وتحركوا نحو مترل السيّد محمد باقر وهاجموه، وعندما وصل الخبر الى الشاه اتخذ الاجراءات اللازمة وامر بالتدابير المناسبة، لكن **فتح علي خان** الذي كان يشغل منصب "قوللر آقاسي" آنذاك ثم صار في منصب "اعتماد الدولة" بادر الى حيلة ماكرة وتسبب في ضرب وجرح الاشخاص الموجودين في بيت المير محمد باقر.

وبعد انتهاء الفتنة وخمود نيران الغائلة، أصدر أمراً باعدام **كركين خان الكرجي** الذي اجرى الخطة الماكرة على يديه، بيد انه عندما وصل الخبر الى المير محمد باقر تدخل في الامر وحال دون وقوع ذلك.

والحقيقة ان الهجوم على بيت السيد محمد باقر وانتهاك حرمته ــ الذي تم بتأليبٍ وتدبير من مسؤولي البلاط، ووجه برد فعل من قبل الناس والعلماء، فأغلقوا المساجد وعقدوا التجمعات لكن "ذلك لم يكن مجدياً" لأن الشاه لم يعد يملك ارادته. وبتعبير مؤلف تكملة وقائع السنين:

[من الامور الغريبة والمدهشة ان الشاه لم يدرك تلك الخدعة ولم يع ذلك المكر الذي دُبِّر بليلٍ، ولم يسأل احداً عن سرّ ما حدث، فضلاً عن أنه لم يؤاخذ ولم يحاسب احداً عما حصل] (المصدر نفسه، ص٥٦٧ – ٥٦٩).

وكان قد اشتد المرض بالمير محمد باقر، بعد ان كان قد ألمّ به وجع الصدر، لكن "هذه الحادثة زادت من شدة مرضه وآلامه" وتوفي في شهر ربيع الاول ١١٢٧ اثر اصابته بمرض ذات الرئة (المصدر ذاته، ص٥٦٩).

للمزيد من الاطّلاع والمطالعة حول المجلسي

لا يخفى ان الشخصية العلمية البارزة والمترلة الاجتماعية والدينية الرفيعة لمحمد باقر المجلسي، سجّلت اسمه واذاعت صيته ابتداءً من العصر الذي عاش فيه، وتحدثت عنه كتب التراجم والتاريخ وتحدث عنه مؤيدوه ومعارضوه في مؤلفاتهم. وكان رائد الكتّاب في هذا المضمار **محمد بن الحسين الحر العاملي** الفقيه والمحدّث المعاصر (المتوفى في ١١٠٤) ومؤلف موسوعة الاحاديث والروايات الفقهية (**وسائل الشيعة**) الذي ذكر المجلسي بكل احترام وتكريم في (**أمل الآمل**).

كما ان **المير لوحي السبزواري** ذم المجلسي وانتقص منه في العصر نفسه، في كتابه (**كفاية المهتدي**).

وقام ثلة من تلاميذه بالكتابة عنه والتعريف به ومن ضمنهم **الملا محمد علي الاردبيلي في (جامع الرواة) والملا عبد الله افندي في (رياض العلماء) والسيد نعمة الله الجزائري في (الانوار النعمانية) والمير محمد صالح الخاتون آبادي في (حدائق المقرّبين).**

وبعد ذلك، نادراً ما نجد ان كتاباً يخص أوضاع وتاريخ ورجال ايـران او الشيعة عموماً، سواءً من الناحية السياسـية، او العلميـة او النواحـي الاخرى، الا ويتطرق الى ذكر محمد باقر المجلسي.

ومن ضمن الذين سلطوا الأضواء على حياته: **عبد العزيز دهلـوي في (تحفة اثنا عشريه)** أي التحفة الاثنا عشرية **وادوارد بـراون في (تـاريخ ادبيات ايران)** أي تاريخ الادب الايراني **والدكتور ذبيـح الله صفـا في (تاريخ ادبيات در ايران)** أي تاريخ الادب في ايران **والدكتـور السـيد حسين نصر** في مقالة (مكتب اصفهان) في كتابه **(تاريخ فلسفه در اسلام)** أي تاريخ الفلسفة في الاسلام، **والدكتور عبد الهادي حـائري في** مقالـة (المجلسي) بكتاب **(دائرة المعارف اسلام)** أي دائرة المعـارف الاسـلامية (طبع ليدن)، **وسيفوري في (ايران در عهد صفويان)** أي (ايران في عـهد الصفويين)، **والاستاذ محمد تقي دانش بجوه في (فهرست كتاب خانـه اهدايي سيد محمد مشكوة به دانشكاه تهران)** أي (فهرست الكتب المهداة من السيد محمد مشكاة الى جامعة طهران)، **وخير الديـن الزركلـي في (الاعلام) وعمر رضا كحّالة في (معجم المؤلفين).**

وذكر المرحوم **مصلح الدين مهدوي في (زندكينامة علامة مجلسي)،** أي ترجمة حياة العلامة المجلسي)، ومؤلفـو **(كتابشناسـي مجلسـي)** أي التعريف بمؤلفات المجلسي، فهرساً كاملاً ــ نسبياً ــ للمصادر والمراجـع

المفيدة في الاطلاع على حياة المجلسي، ومراجعتها تنفع الباحثين وتفيدهم فوائد جمة.[1]

وفضلاً عن المصادر العامة، فان هناك كتابات اخرى دُوِّنت حول المجلسي وكتبه بشكل خاص، بعضها على شكل كتب مستقلة وبعضها الآخر كتبت كمقدمات لكتب المجلسي، واولها رسالة **"در بيان عدد تأليفات علامه مجلسى"** أي "في بيان عدد تأليفات العلامة المجلسيَ" بعد وفاته، وذلك من قبل **محمد حسين خاتون آبادي** وقد تحدثنا عنها في الفصل الخاص بمؤلفات وتلاميذ المجلسي. ونضيف هنا بانه عُثر فيما بعد على مؤلفات اخرى للمجلسي وادخلت عليها تعديلات ومعلومات اخرى.

وفي هذا الصدد، انجز في السنوات الاخيرة عملان مستقلان آخران:

الاول: رسالة جامعية للحصول على رتبة مدرس للغة والادب الفارسي من جامعة (تربيت مدرس) أي إعداد المدرّسين، عنوانها **(علامه محمد باقر مجلسى وآثار فارسى)** أي (العلامة المجلسي ومؤلفاته باللغة الفارسية) قامت بتأليفها **السيدة مهين بناهي**، تحت اشراف حضرة الشيخ دواني. وكتبت هذه الرسالة عام ١٣٦٥هـ . ش/ ١٩٨٦م، ثم طبعت من قبل مؤسسة (جهاد دانشكاهى) أي الجهاد الجامعي.

[1] - (زندكينامة علامه مجلسى) أي حياة العلامة المجلسي، ج١، ص٦٨ - ٧٥، و(كتابشناسي مجلسى) أي قائمة كتب المجلسي، ص٥٤ - ٦١.

الثاني: كتاب عنوانه (**كتابشناسى مجلسى**) أي التعريف بكتب المجلسي والمؤلفات التي تخصه، وهو من تأليف **السيدين حسين دركاهي وعلي اكبر تلافي درايايي**. وقد أعد المؤلفان فهرساً بمواصفات كتب المجلسي. ويتضمن الفهرس ــ علاوة على التعريف بمواصفات الكتب المختلفة وتبيان موضوعاتها ــ ذكر مكان حفظ النسخ المخطوطة والاشارة الى الطبعات المختلفة للكتب، وكذلك الترجمات، والتلخيصات والشروح المتعلقة بكل كتاب منها.

وبما ان لكل واحد من مجلدات البحار حكاية خاصة به تختلف عن باقي المجلدات، فقد تم التعريف بكل منها بشكل مستقل وذُكرت التوضيحات، المتعلقة به من نواحٍ مختلفة. ومما زاد في فائدة الكتاب التعريف بعدد من الكتب والتأليفات التي لم ترد في رسالة الخاتون آبادي منها: جواب المسائل الثلاث، وخطبة جلوس السلطان حسين على عرش الملوكية ووصية العلامة المجلسي مع صورته. كما قام المؤلفان بتصحيح رسالة تذكرة الأنساب لحيدر علي المجلسي، والرسالة المذكورة للخاتون آبادي، بناء على النسخ المخطوطة لهما، وأورداها في الكتاب.

وتذكرة الانساب او (انساب خاندان مجلسي) رسالة قام بتأليفها **حيدر علي المجلسي** وهو من احفاد الملا عزيز الله اخ محمد باقر المجلسي بشأن (**سلسلة النسب الرفيع لصاحب المعالي والالقاب المقدسة، العلامة الفهّامة، جامع المعقول والمنقول، وحاوي الاصول والفروع، الآخوند الملاّ محمد باقر المجلسي**).

والمؤلف من علماء عائلة المجلسي، وقد وُلد في عام ١١٤٦ وتـوفي في ١٢١٤. ويُعلَم من مقدمة الرسالة ان "عدداً من اخوته في الايمـان ومـن اقاربه وزملائه العلماء" طلبوا منه "في ضوء الحذق والمهارة اللتين يمتاز بهما في هذا المجال" ان يكتب (تذكرة لهم) فقام بتأليف رسالة تتضمن شـجرة انساب عائلة المجلسي.

وقام بطبع هذه الرسالة ــ علاوة على مؤلفـي (التعريـف بكتـب المجلسي) الكاتب القدير الشيخ علي دواني مع كتاب(مرآت جهان نما) أي مرآة أحوال العالم، وذكر في المقدمـة خصـائص النسـخة، وطبعاتهـا، والموضوعات الاخرى التي تندرج في عداد التعريف بالكتاب، بـالتفصيل. ووفقاً لهذه المقدمة، فان تأليف الرسالة تم عام ١١٩٤ وتوجد عدة نسـخ منها بخط المؤلف.[٢]

وكتاب **(مرآت الاحوال جهان نما) من تأليف أغا أحمد بهبهاني** حفيد الوحيد البهبهاني الفقيه الشيعي الامامي المعروف. وهذا الكتاب يتضمـن شرحاً لمذكرات سفر المؤلف في مدن ايران، والجزيـرة العربيـة والهنـد، ويتضمن نقاطاً مهمة في الاوضاع الاجتماعيـة والسياسـية والحـوادث التاريخية في العالم الاسلامي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقـد كُتِبَت عدة مقالات حول هذا الكتاب.

ويتصل مؤلف الكتاب ــ كأبيه وجده ــ بعائلـة المجلسـي إذ إن ام الوحيد البهبهاني هي حفيدة الملا محمد صالح المازندراني، وهو صهر المـلا

---

[٢] - مرآة الاحوال، ص٢٥٣ - ٢٧٥.

محمد تقي الاصفهاني. ولذلك فان أغا أحمد خصص فصلاً في كتبه للتعريف بعائلة المجلسي كما (كتب عدة صفحات حول النسب السامي الرفيـــع... للملا محمد تقي المجلسي). كما تطرق الى ذِكر محمد باقر المجلسي المشـــهور "كالشمس في رابعة النهار" بشكل مفصّل، مشـــيراً الى كلمـــات بعـــض المؤلفين عنه ومن بينهم عبد العزيز دهلوي، وذكر فهرساً لكتبه كما عـرّف بأخلافه ـــ احفاده ـــ أيضاً.[٣]

والنقطة المهمة حول هذا القسم من الكتاب هي أن أغا أحمـــد كـــان مطّلعاً على رسالة حيدر علي المجلسي، ولأن تلك الرسالة كانت "في غايـــة الايجاز وتخلو من تبيان الاحوال" وعلاوة على ذلك فان افراداً آخرين ولدوا لهذه العائلة فيما بعد و"عدد من افراد العائلة لم يرد ذكر أحوالهم بسبب بعد المؤلف عنهم وعدم اطلاعه عليهم" فانه قرر ان يتفادى تلك النواقـــص.[٤] وبذلك يمكننا اعتبار هذا القسم من (مرآة الأحوال) تتمة لكتاب حيـــدر علي المجلسي تذكرة الانساب.

ويضاف الى ذلك، فان هذا الكتاب والقسم المتعلق بعائلة المجلسي يعتبر أهم مصدر لكتاب **المحدّث النوري (الفيض القدسي)** وقد نقل النـــوري موضوعات عن الكتاب المذكور في العديد من صفحـــات كتابـــه، ولأن الفيض القدسي يعتبر اول ترجمة مستقلة لحياة العلامة محمد باقر المجلسي فان المؤلفين الذين تلوه استفادوا منه كثيراً، وبعبارة اخرى، فان (مرآة الأحوال)

---

[٣] - مرآة الاحوال، ص١١٢ - ١٢٦.

[٤] - مرآة الاحوال، ص٩٦.

هذا يعتبر ــ بواسطة واحدة ــ من أهم المراجع والمصادر التي استفادوا منها.

بيد ان علينا ان نتطرق عند الحديث عن تراجم حياة المجلسي المستقلة الى الفيض القدسي قبلْ غيره، لأن له فضل الاقدمية علىغيره وان حسين النوري ــ مؤلفه ــ كان ذا خبرة واسعة بالحديث ويملك مصادر مهمة وألف كتابه في عام ١٣٠٢ لكي يوضع في مقدمة الطبعة الحجرية لبحار الانوار.

ويحتوي **الفيض القدسي** على ستة فصول:

فالفصل الاول: يتضمن تقريراً عما كتبه مؤلفو كتب التراجم والسِّيَر عن احوال المجلسي واشاروا فيه الى نشاطاته وأعماله.

والفصل الثاني: يتضمن فهرساً بمواصفات وخصائص مؤلفات المجلسي وكتبه، وقد تحدث المحدث النوري حول بعض الكتب المنسوبة للمجلسي ومنها (تذكرة الأئمة) فذكر العديد من النقاط بشأنه. علاوة على ذلك فان المؤلف ذكّر بنقطتين مهمتين في هذا الفصل. الاولى: تبيان وجرد الكتب ذات العلاقة مع مؤلفات المجلسي، سواء ما تمت ترجمته منها الى العربية او كتبت له مستدركات وتتمات وتلخيصات. والثانية: إعداد فهرس للكتب التي ينبغي مراجعتها من اجل إعداد "مستدرك البحار". وحافز النوري الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب والفهرست رغبته في تحقيق امل المجلسي بتأليف مستدرك البحار.[٥]

---

[٥] - البحار، ج(١٠٢)، ص٦٠ - ٦١ وج١، ص٤٦.

الفصل الثالث: يذكر المؤلف ثمانية عشر استاذاً من اساتذة المجلسي ويقدم نبذة للتعريف بكل واحد منهم، ثم يذكر تسعة وأربعين من تلاميذ المجلسي بهذه الطريقة.

والفصل الرابع: خصصه المؤلف لتسليط الضوء على حياة محمد تقي المجلسي وعائلته، ويتضمن معلومات تفصيلية حول الدرجات والمراتب العلمية للمجلسي الاول واولاده، ومن ضمنهم آمنة بيكم ابنته الفاضلة والعالمة، وبعض العلماء المنتسبين لهذه العائلة، الذين ظلوا مجهولين في بقية المصادر والمراجع او انهم لم يعرّفوا كما يجب في الكتب الاخرى. واكد في ختام الفصل ان الترجمة الكاملة لحياة كثير من علماء هذه العائلة او الذين انضموا اليها، لا يتسع لها صدر هذه الرسالة، وقد اكتفى بما هو ضروري، وسلط الضوء على حياة الذين لا توجد مصادر كثيرة تتحدث عن حياتهم او الاشخاص المعروفين اقل من غيرهم.

اما **الفصل الخامس**: فانه مخصّص لأبناء المجلسي واحفاده وخاصة العلماء من ذريته، ومن أشهرهم المير محمد حسن الخاتون آبادي ابن المير محمد صالح، وهو من أسباط المجلسي، وهو ذاته الذي كتب رسالة في "تبيان عدد مؤلفات العلامة المجلسي".

وفي **الفصل الاخير**: قام المؤلف بذكر تاريخ ولادة ووفاة المجلسي وبعض كراماته، وأيّد بعضها مشيراً الى بعض الحكايات المصطنعة في هذا الصدد، أيضاً.

وكما ذكرنا سابقا، فان مؤلف الفيض القدسي ونظرا لامتلاكه مصادر موثقة وجيدة ونادرة ـ احيانا ـ وبسبب حنكته في التحقيق والتتبع وخبرته في موضوع التراجم ـ وهو ما تدل عليه خاتمة مستدرك الوسائل ـ فقد اورد في هذا الكتاب معلومات ومواضيع غدت لمن بعده من المؤلفين والباحثين مصدرا أساسيا، دائما.

ومن ضمن مصادره مرآة الاحوال للبهبهاني ووقائع السنين والأعلام* للخاتون آبادي وقد تمت طباعتهما كلاهما في السنوات الاخيرة، وفي عصر المؤلف لم تكن نسخهما كثيرة وفي متناول اليد.

وقد تم طبع الفيض القدسي ضمن المجلد الاول للطبعة القديمة من البحار المعروفة بطبعة الكمباني، وفي الطبعة الجديدة وضع في بداية مجلد الاجازات (ج١٠٥ وفي بعض الطبعات ومن ضمنها الطبعة التي استفدنا منها في تأليف هذا الكتاب في المجلد ١٠٢). كما تم مؤخرا اصدار الترجمة الفارسية له.

والترجمة الاخرى لحياة المجلسي والتي لا تخلو الاشارة الموجزة اليها من الفائدة؛ فصل من كتاب (**كلزار حجة بلاغي**) أي روض الحجة البلاغي، بعنوان (خلاصة أحوال العلامة المجلسي، حول اساتذته وتلاميذه ومؤلفاته بالعربية والفارسية)، وهو من تأليف الحجة البلاغي.

---

* – **اورد المؤلف المحترم اسم هذا الكتاب في قائمة المصادر باسم (وقائع السنين والأعوام) واحسب ان هذا خطأ طباعي ـ المترجم: جبارة.**

ويتضمن هذا الفصل ــ وهو كمعظم أقسام الكتاب بخــط المؤلــف ونُظّم باسلوب خاص ــ فضلاً عن فهرس أسماء أساتذة وتلاميذ المجلســي ومؤلفاته وفقاً لكتاب الفيض القدسي، موضوعات ومعلومات قيمة هــي كالتالي:

صورة وصية المجلسي بخط يده مع ترجمتها،[٦] وفهرساً لمن دفنوا في مزار ومرقد المجلسي "وكلهم من العلماء ذوي الدرجات والمراتــب المختلفــة والمؤلفات والكتب"، وتقريراً حول منصب "امام الجمعة" و "شيخ الاسلام" منذ العهد الصفوي حتى عصر المشروطة وما بعده، ورسائل بعض الفقــهاء والمحققين في القرن الحالي حول المجلسي وبحار الانوار، والقسم الاخــيرعلى جانب كبير من الأهمية.

وبموجب رسالة المؤلف التي وجهها الى المرجع الشيعي الفقيد المرحــوم الحاج أغا حسين البروجردي (المتوفى عام ١٣٤٠ هجري شمسي) فقد كان ينوي تأليف كتاب حول محمد باقر المجلسي مع ترجمة كتــاب "الفيــض القدسي" الى اللغة الفارسية. ولذلك فقــد بعــث برســائل عديــدة الى المتخصصين والمطلعين على هذا الموضوع، وطلب منهم ان يزودوه بكل مـا يعرفونه من "معلومات جديدة حول الكتب المخطوطة والمطبوعة وســائر المؤلفات المتعلقة بالمجلسي وشخصيته وعائلته، وعلمــاء هــذه العائلــة"

---

[٦] – قال المؤلف ان وصية المجلسي وترجمتها باللغة الفارسية نشرت قبل ذلــك في نشرة بارس السنوية، بسعي المرحوم السيد محمد مشكاة.

والرسائل المذكورة مؤرخة في شهر آذر ١٣٢٥/هـ . ش كانون الثاني ١٩٤٦.

ومن خلال الاجابات الموجودة في هذا الكتاب، يُعلَم أنه وجَّه مثل هذه الرسالة ــ علاوة على المرحوم البروجردي ــ الى السيد محمد حجة كوه كمري والسيد محمد تقي الخونساري، وكلاهما من مراجع التقليد لدى الشيعة في قم، والى الميرزا محمد فيض وهو من الفقهاء البارزين في الحوزة العلمية بقم، والشيخ فضل الله الزنجاني المعروف بشيخ الاسلام من اوسع العلماء الشيعة اطلاعاً، والعلامة محمد القزويني المحقق والباحث الكبير في العقود الاخيرة.

وبعض الاجوبة لم تكن تتضمن نقاطاً جديدة وقال كاتبوها ــ بكل تواضع وصراحة ــ انهم لا يملكون معلومات جديدة حول الموضوع المطروح في الرسالة واشار المرحوم القزويني الى ان رسالة "الفيض القدسي التي كتبها المرحوم الحاج الميرزا حسين النوري تعتبر بحق مصداقاً للقول "كل الصيد في جوف الفَرا" وصرّح انه لا يملك أي معلومات جديدة في هذا الباب" و"لم يبحث في هذا الموضوع و لم يحقّق فيه في أي حين من الاحيان".[٧]

---

[٧] - يقول الشيخ علي دواني في مقدمة كتاب المهدي الموعود (ص٨٧) ان المرحوم البروجردي كتب في جوابه على رسالة البلاغي انه نظراً لأسباب كثيرة ذكرها "فانني اعتذر عن كتابة الجواب المطلوب نظراً لكثرة الموانع والأعمال لديه".

اما جواب المرحوم شيخ الاسلام الزنجاني فانه يتضمن معلومات مفيـدة من حيث التعريف ببعض النسـخ المخطوطـة للبحـار وخصائصـها، والاجازات المكتوبة بخط المجلسي نفسه. وهكذا الامر بالنسـبة لجـواب المرحوم السيد محمد حجة كوه كمري الذي هو اكثر الاجوبة تفصيـلاً، ويتضمن نقاطاً قيمة ونافعة، ويعتبر المرحوم (حجة) مـن بـين المطلعـين والخبراء العارفين بالمصادر والروايات وشخصاً يقل نظيره علـى صعيـد الشيعة الامامية، فضلاً عن تمتُّعه بمنزلة فقهية سامية[8] وتعتبر أقواله مصداقـاً لـ "ولا ينبِّئُكَ مثل خبير".

فقد أشار الى "قدر كبير من الموضوعات المتعلقة بمؤلفات هذا الرجـل الفذ الجامع الأعظم لبحار الانوار.... وذكر معلومات علمية نادرة ونقاطـاً تخصصية دقيقة... وقد جمعها خلال دراساته وتحقيقاته" ولكن "قلة الوقـت وكثرة المشاغل" كانت قد حرمته من جمع هذه النقاط المتفرقـة. وطفـق يتحدث عن فرادة وشمولية بحار الانوار و"جودة تنظيمه وحسـن ترتيبـه واشتماله على الآيات الكريمة المتعلقة بالروايـات والاخبـار" وكذلـك "توضيحات وأقوال وتذييلات" المجلسي "المليئة بالبلاغة الادبيـة والنقـاط التاريخية والأبحاث النظرية".

---

[8] – لمعرفة ترجمة حياته وأحواله راجع: آثار الحجة/ ج١، ومجلة (نور علم) العدد العاشر، خرداد ١٣٦٤ ـ مايس ١٩٨٥ ـ مقالة بعنوان (نجوم امت) أي نجوم الامة.

ثم يوضح الدافع الاساسي والحافز الذي دفع المجلسي لتأليف البحار ــ وفقاً للادلة والقرائن الموجودة ــ واشار الى نقطة دقيقة هي انه لا شك ان المجلسي لم يكن يعتمد على كثير مما نقله وكان "هدفه الوحيد جمع الروايات وحفظها".

كما يذكر اموراً في اصلاح المعلومات المتعلقة بمواصفات البحار، ويمعن النظر ويدقق في النسخ المخطوطة الموجودة للبحار، وطريقة تأليفه وكيفية استعانة المجلسي بتلاميذه وبالكُتّاب المستنسخين، وباعتقاده فان الجمع بين القرائن والادلة المختلفة يوصلنا الى نتيجة (مفادها ان المؤلّف قسم الكتاب الى اجزاء ثم كلّف بتدوينه تلاميذه والمقربين منه فكانوا يعملون بموجب تعليماته، وينقلون الاخبار من مظانّها ويضعونها في الكتاب حسب الترتيب الذي يحدده لهم، وهو الذي يحدد عناوين الابواب والفصول، ويبادرون الى وضع الاخبار في الابواب المناسبة. وعندما تكون هناك اخبار بحاجة الى توضيح وبيان يتركون مكاناً فارغاً فيقوم المؤلف بكتابة التوضيحات اللازمة لها).

وبالرغم من ان السيد عبد الحجة* البلاغي لم يتمكن من تحقيق امله بتأليف كتاب شامل عن المجلسي عبر ترجمة (الفيض القدسي) الى الفارسية فان هذا الفصل من كتابه (كلزار) أي الروض ورغم طريقته غير الصائبة

---

* - ذكر المؤلف اسم هذا العالم هنا بهذه الصيغة واكتفى في باقي المواضع بالقول انه (حجت بلاغي) بدون (عبد) ــ المترجم: جبارة.

فانه يعتبر من مصادر البحث والتحقيق بشأن المجلسي نظراً لاحتوائه على هذه المعلومات الفريدة من نوعها.

والنص الثالث يتعلق بمقدمة الشيخ دواني لترجمة الجزء الثالث عشر من البحار والمعنون بـ (مهدي موعود) أي المهدي الموعود. وقد ذكر الشيخ دواني ان ترجمة الجزء الثالث عشر من البحار انيطت به بتوجيه من المرحوم البروجردي، وتحدث المترجم في مقدمة الكتاب عن طريقة وخصائص هذه الترجمة واختلافها عن غيرها من الترجمات السابقة. وقد تحدث المترجم في مقدمة الكتاب ذات (١٨٠) صفحة عن المجلسي، ابتداءً من ص٥١ حتى ١٣٨.

والقسم الاكبر من حياة المجلسي هذه تنطبق مع ماورد في الفيض القدسي ولا تحتاج الى توضيح. وبالطبع ينبغي الاخذ بنظر الاعتبار كونها مكتوبة باللغة الفارسية في الوقت الذي لم تكن فيه مصادر مناسبة باللغة الفارسية حول حياة المجلسي.

وقدم الشيخ دواني تقريراً مفيداً عن البحار ونقل رسالة المرحوم حجت كوه كمري الجوابية على رسالة عبد الحجة البلاغي، نقلاً عنه. علاوة على ذلك فانه قام ــ قبل غيره من المؤلفين ــ بدراسة ونقد آراء ادوارد براون والسير جان ملكم بشأن المجلسي. ويلاحظ في هذا الموضوع التأكيد كثيراً على كون المجلسي معارضاً للصوفية ومناوئاً للمتصوفة، ونقل الكاتب بعض ماورد في كتب المجلسي حول الصوفين.

كما ان الشيخ دواني عزم ــ بعد كتابة سيرة حياة المجلسي ــ علــى تأليف كتاب مفصل بشأن المجلسي[9] ويبدو ان كتابا آخــر أصــدره دواني عنوانه (**علامه مجلسى، بزرك مرد علم ودين**) أي العلامة المجلسي الرجــل الفذ في مجال العلم والدين، تحقيقا لعزمه ذاك.

والكتاب المفيد الآخر في هذا الصدد عنوانــه (**زندكينامــه علامــه مجلسى**) أي سيرة العلامة المجلسي، من تأليف السيد مصلح الدين مهدوي، وقد صدر في السنوات الاخيرة. ومؤلف الكتاب من المؤلفــين والمحققــين المثابرين في هذا العصر، وله العديد من المؤلفات الخالدة.[10]

ويتضمن هذا الكتاب ذو المجلدين معلومات قيمــة وكثــيرة وســعى المؤلف الى طرح كل ما يخص المجلسي وجميع ما يرتبط به بشــكل مــن الاشكال. وتطرق المؤلف في صفحات الكتاب الى موضوعات من قبيــل: سيرة حياة المجلسي المفصلة، وولادته، وفترة دراسته، وأحوالــه النفســية والمعنوية، ووضعه الجسمي، ومزاجه، والصور المنســوبة لــه، ومكتبتــه الخاصة، والمكتبات التي استفاد منها، واسفاره، واعماله، ومؤلفاتــه، وأورد بحثا حول بحار الانوار، حيث شغل حيزا كبيرا من الكتاب.

---

[9] – مهدي موعود، ص٥٣.

[10] – حول سيرة ومؤلفات هذا الكاتب الفقيد، تراجع: مجلة مرآة التحقيق والبحث (آينه بجوهش) السنة السادسة، العدد الثاني، رقم التسلسل ٣٢، خرداد ــ تير ١٣٧٤ هــ . ش المصادف مايس ــ حزيران ١٩٩٥م، ص١١١ – ١١٣.

وتحدّث المؤلّف عن امور كثيرة ونماذج وافرة من ذكاء المجلسي ودقـــة آرائه العلمية ورؤيته للحديث والروايات المنســـوبة الى الائمـــة وكتـــب الحديث. وقد أورد هذا التأكيد في ضوء ما شاع في سنيّ تأليف الكتاب في أذهان عامة الناس وربما حتى الكتّاب والمؤلفين والباحثين، من ان المجلســـي أورد في كتبه كل رواية لا اساس لها وكل خبر غير صائب ونقل كماً كبيراً من المرويات، غثها وسمينها، ونظر اليها على أنها مقبولة لديه دون تفريـــق فيما بينها.

ومن الموضوعات الاخرى التي تطرق اليها الكتاب: دراســـة أقـــوال المستشرقين حول المجلسي، وبحث في اوضاع العهد الصفـــوي، واحـــوال الصوفيين، وانتقاد المجلسي للتصوف، وعوامل انقراض الحكومة الصفويـين، وعائلة المجلسي، واساتذة المجلسي وتلاميذه، وبعـــض الاعتراضـــات الـــتي وردت عليه، وابحاث اخرى.

وبادر المؤلف الى نقد بعض التقارير الواردة، وسِيَر عدد من المشـــاهير الذين ذكرت أسماؤهم في الكتاب.

ولو غضضنا النظر عن رداءة طباعة الكتاب وعدم انسجام وترتيب ـــ مواضيعه نسبياً ـــ فانه يعتبر من الآثار القيّمة بشأن محمد باقر المجلسي، وقد صدر في اصفهان عن حسينية عماد زادة.

مصادر الكتاب

اولاً: الكتب

(١) الكتب الفارسية والعربية

- عبد الكريم كزي اصفهاني، تذكرة القبور، طبعة باقري بيدهندي، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧١.

- عبد الرضا هوشنك مهدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، طهران، امير كبير، ١٣٦٤.

- نظام الدين مجير شيباني، تشكيل شاهنشاهي صفويه، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٤.

- محمّد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ق.

- الشريف الرضي، نهج البلاغة، ترجمة الدكتور السيد جعفر شهيدي، طهران، الناشر (انتشارات وآموزش انقلاب اسلامي) الطبعة الرابعة، ١٣٧٤.

- حسين محبوبي اردكاني، تاريخ مؤسّسات تمدني جديد در ايران، طهران، الناشر: اتحاد طلبة جامعة طهران، ١٣٥٤.

- نصر الله فلسفي، زندكاني شاه عباس اوّل، طـــهران، المنشـــورات العلميّة، الطبعة الثانية.

- تاريخ عالم آراي صفوي، بسعي يد الله شكري، طهران، الناشـــر مؤسسة اطلاعات، ١٣٦٣.

- حسين نوري، مستدرك الوسائل، طبعة بالأوفست عـــن الطبعـــة الحجرية، ١٣٢١ق .

- دائرة المعارف بزرك اسلامي، تحت اشـــراف كـــاظم موســـوي بجنوردي، طهران، مركز دائرة المعارف بزرك اسلامي.

- عبد الحسين نوايي، شاه طهماسب صفوي، طهران، منشـــورات ارغوان، ١٣٦٨.

- دانشنامه جهان اسلام، تحت اشراف السيّد مصطفى مير ســـليم، طهران، الناشر بنياد دائرة المعارف اسلامي.

- تاورنيه، سفرنامه تاورينه، ترجمة ابوتراب نوري، اعاد النظر فيـــه واضاف له حميد شيراني، اصفهان، الناشر: كتابخانه سنايي، ١٣٦٣.

- عبد الوهاب فريد، اسلام ورجعت، طهران، الناشر: كتاب فروشي دانش، ١٣١٨.

- محمّد حسن النجفي، جواهر الكلام في شرح شـــرايع الاســـلام، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٩٨١م.

- محمّد باقر المجلسي، عين الحياة، طهران، منشورات قائم.

- سرجان ملكم، تاريخ ايران، ترجمة ميرزا حيرت، طهران، الناشر: دنياي كتاب، ١٣٦٢.

- جهان كشاي خاقان (تاريخ شاه اسماعيل) مقدمة وملاحق: الله دتا مضطر، اسلام آباد، مركز تحقيقات ايران وباكستان، ١٣٦٤.

- فخر المحقّقين، ايضاح الفوائد في شرح القواعد، قم، المطبعة العلميّة، الطبعة الاولى، ١٣٨٧ق.

- الشهيد الثاني، الروضة البهيّة في شرح اللّمعة الدمشقيّة، طبعة السيد محمّد كلانتر، قم، المنشورات العلميّة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ق.

- يوسف البحراني، الحدائق الناضرة، قم، الناشر: انتشارات اسلامي، ١٣٦٣ الى ١٣٦٧.

- استرآبادي، الفوائد المدنيّة، دار النشر لأهل البيت (ع)، (بدون مكان وزمان الطباعة).

- محمّد عبد الحسين محسن الغراوي، مصادر الاستنباط بين الاصوليّين والاخباريين، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٣ق.

- حسن طارمي، تاريخ فقه وفقها (٢)، طهران، الناشر: جامعة بيام نور، ١٣٧٤.

- فيض كاشاني، تفسير صافي، بيروت، منشورات اعلمي، ١٣٧٤.

- محمّد علي حزين، تاريخ حزين، اصفهان، الطبعة الثالثة، ١٣٣٢ش.

- كامل مصطفى شيبي، تصوّف وتشيّع، ترجمة علي رضا ذكاوتي قراكوزلو، طهران، الناشر: امير كبير، ١٣٥٩.

- رشيد الدين ميبدي، كشف الاسرار وعدّة الابرار، طهران، الناشر: امير كبير، الطبعة الثالثة، ١٣٦١.
- عبد الكريم قشيري، لطائف الاشارات، تحقيق ابراهيم بسيوني، مصر، ١٩٨١م.
- محمّد باقر المجلسي، خطبة در جلوس شاه سلطان حسين صفوي، الناشر: مكتبة مجلس الشورى الاسلامي رقم ١، مجموعة رقم ٢٧٢١.
- محمّد باقر خونساري، روضات الجنّات، قم، الناشر: انتشارات اسماعيليان، ١٣٩٠ الى ١٣٩٢ق.
- عبد الحسين نوايي، شاه اسماعيل صفوي، طهران، الناشر: ارغوان، ١٣٦٨.
- ابو ريحان البيروني، تحديد نهايات الاماكن، ترجمة احمد آرام، طهران، منشورات جامعة طهران، ١٣٥٢.
- حسين مكّي، مدرس، قهرمان آزادي، الناشر: بنكاه ترجمه ونشر كتاب، ١٣٥٨ - ١٣٥٩.
- علي اكبر دهخدا، لغة نامه دهخدا، طهران، مؤسسة لغت نامه دهخدا.
- محمّد تقي المجلسي، لوامع صاحب قراني، قم، ١٤١٦ق.
- ابن بابويه، الخصال، طبع علي اكبر غفاري، قم، انتشارات اسلامي، ١٣٦٢.
- السيد ابو القاسم الخوئي، البيان، قم، ١٣٩٤ق.

- غلام حسين مصاحب، دائرة المعارف فارسي، الناشر فرانكلين، ١٣٤٥.

- افندي، عبد الله، تعليقة امل الآمل، تحقيق سيد احمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠ق.

- حيدر علي مجلسي، تذكرة الانساب (ملحق التعريف بكتب المجلسي).

- الشهيد الثاني، الدراية، طهران، المجمع العلمي الاسلامي، ١٤٠٤ق.

- محمّد علي توحيدي، مصباح الفقاهة.

- ابو العباس نجاشي، الرجال، قم، انتشارات اسلامي، ١٤٠٧ق.

- محمّد بن حسن الصفار القمي، بصائر الدرجات، طبع محسن كوجه باغي تبريزي، قم، ١٤٠٤ق.

- حسن زاده آملي، قرآن وعرفان وبرهان از هم جدايي ندارند، طهران، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، ١٣٧٠.

- نايب الصدر شيرازي، طرايق الحقايق، طبع محمّد جعفر محجوب، ١٣٣٩.

- كامل مصطفى شيبي، الصلة بين التصوّف والتشيّع، بيروت، دار الاندلس، ١٩٨٢م.

- انصاري، كتاب المكاسب، تبريز، ١٣٧٥ق.

-شيرواني، حاج زين العابدين، بستان السياحة أو (سياحت نامه)، طهران، سنايي، بدون تاريخ الطبع.

- جعفر المهاجر، الهجرة العاملية الى ايران في العصر الصفـــوي، **دار** الروضة، لبنان، ١٤١٠ق.

- محمّد باقر مجلسي، بيست وبنج رساله فارسي، تحقيق السيد مـهدي رجائي، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٢ق.

- اتان كلبرك، مكتبة ابن طاووس، ســيد علــي قرائــي ورســول جعفريان، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٧١ق.

- محمّد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح اخبار الرّســول، تحقيــق السيد هاشم رسولي، دار الكتب الاسلامية، طـــهران، الطبعــة الثانيــة، ١٤٠٤.

- صدر الدين محمّد بن ابراهيم شيرازي، شــــرح اصــول الكــافي، تصحيح محمّد خواجوي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طـــهران، ١٣٦٦.

- صدر الدين محمّد بن ابراهيم شيرازي، رساله سه اصل، الناشـــــر: انتشارات مولى، ١٣٤٠.

- صدر الدين محمّد بن ابراهيم شيرازي، كسر اصنام الجاهلية، تحقيــق محمّد تقي دانش بجوه، جامعة طهران، ١٣٤٠.

- محمّد باقر مجلسي، ملاذ الاخيار في فهم تهذيب الاخبار، تحقيق سيد مهدي رجائي، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦ق.

- محمّد باقر مجلسي، مشكوة الانوار، تحقيق عبد الحســين طــالعي، اصفهان، حسينية عماد زادة، ١٣٧١.

- حجّت بلاغي، كلزار حجة بلاغي، طبع في سنة ١٣٥٠.

- محمّد باقر مجلسي، مهدي موعود، ترجمـــة وتقـــديم علـــي دواني، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الثامنة عشر.

- دركاهي وتلافي، كتاب شناسي مجلسي، طهران، الناشـــــر بنيـــاد فرهنكي امام رضا (ع)، الطبعة الاولى، ١٣٧٠ ش.

- محمّد باقر مجلسي، كتاب الاربعين (شرح اربعين)، قم، دار الكتـــب العلمية، ١٣٥٨ ش.

- يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، طبع محمّد صادق بحر العلوم، قـــم، مؤسسة آل البيت.

- ادوارد براون، تاريخ ادبيات ايران (از آغاز عهد صفوية تا زمـــــان حاضر)، ترجمة رشيد ياسمي، طهران، ابن سينا.

- تنكابني، قصص العلماء، طهران، كتابفروشي علميّة اسلامية.

- حسين النوري، الفيض القدسي (طبع في بحار الانوار، ج ١٠٢).

- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ق.

- اردبيلي، جامع الرواة، بيروت، ١٤٠٣ ق.

- محمد بن حسن حر عاملي، امل الآمل، طبع سيد احمد حسيني، قم، ١٣٦٢ ق.

- انصاري، فرائد الاصول، طبع عبد الله نـــوري، قـــم، انتشـــارات اسلامي، ١٤٠٧ق.

- مير عبد الحسين خاتون آبادي، وقايع السنين والاعوام، طـــــهران، كتاب فروشي اسلامية، ١٣٥٢ش.

- آقا بزرك الطهراني، الذريعـــة الى تصـــانيف الشـــيعة، بـــيروت، ١٤٠٣ق.

- احمد بهبهاني، مرآت الاحوال جهان نما، تحقيق علي دواني، طهران، امير كبير، ١٣٧٠ش.

- سيد احمد حسيني، اجازات الحديث، قمي، مكتبة آية الله المرعشي.

- سيد احمد حسيني، تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٠ق.

- عبد الله افندي، رياض العلماء.

- محمد تقي المجلسي، روضة المتقين، قم، ١٣٩٩ق.

- ابو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، طبع عبـــد الرحمـــان بـــدوي، القاهرة، ١٣٨٣ق.

- محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، طبع عبـــد الرحيـــم رباني شيرازي، ١٤٠٣ق.

- رسول جعفريان، دين وسياست در عصر صفوي، قم، انتشـــارات انصاريان، ١٣٧٠ش.

- ميرزا سميعا، تذكرة الملوك، بسعي محمد دبير سياقي، طهران، امـــير كبير، ١٣٦٨ش.

- مينورسكي، سازمان اداري حكومت صفويان، ترجمة مسعود رجب نيا، ١٣٦٨ش.
- لارنس لكهارت، انقراض سلسلة صفوية، ترجمة مصطفى قلي عماد، طهران، مرواريد، ١٣٦٤ش.
- مريم مير احمدي، دين ومذهب در عصر صفوية، مريم مير احمدي، طهران، امير كبير، ١٣٦٣ش.
- المؤتمر الثامن للبحوث الايرانية، المجلد الثالث، بسعي محمد روشن، طهران، ١٣٥٨ش.
- مصلح الدين مهدوي، زندكينامه علامه مجلسي، حسينية عماد زادة، اصفهان، ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، المجلد الخامس، طهران، ١٣٧٠ ش.
- ويلم فور، بر افتادن صفويان وبرآمدن محمود افغان، ترجمة ابو القاسم سري، طهران، توس، ١٣٦٥ش.
- كروسينسكي، سفرنامه كروسينسكي، ترجمة عبد الرزاق دنبلي، طبع مريم مير احمدي، طهران، ١٣٦٣ش.
- محمد حافظ اصفهاني، سه رساله در اختراعات صنعتي، طبع تقي بينش، منشورات بنياد فرهنك ايران، ١٣٥٠ش.
- جعفر سبحاني، الالهيات، قم، ١٤١٣ق.
- صدر المتألهين، الشواهد الربوبية، طهران، مركز نشر دانشكاهي، ١٣٦٠ش.

- الغزالي، ابو حامد، احياء علوم الدين، القاهرة.

- محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، القاهرة، المكتبة المصرية، ١٩٧٧م.

- تاج الدين خوارزمي، شرح فصوص الحكم، طهران، مولى، ١٣٦٤ش.

- محمد رازي، آثار الحجة، قم، كتابفروشي، برقعي، ١٣٣٢ش.

- اسكندر بيك تركمان، تاريخ عالم آراي عباسي، الطبعة الثانية، ١٣٦٤ش.

- حسين نوري، دار السلام، قم بدون تاريخ الطبع.

- ابو الحسن قزويني، فوايد الصفوية، تصحيح مريم مير احمدي، طهران، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، ١٣٦٧.

- سيد محسن الامين العاملي، اعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣ق.

- سيد محمد حسين حسيني طهراني، مهرتابان، بدون زمان ومكان الطبع.

- اعجاز حسين كنتوري، كشف الحجب والاشعار عن اسماء الكتب والاسفار، قم، ١٤٠٩ق.

- عبد العزيز دهلوي، تحفه اثنا عشرية، باكستان، ١٣٩٦ق.

- سيد جعفر آل بحر العلوم، تحفة العالم، طهران، مكتبة الصادق، الطبعة الثانية، ١٣٦٠.

- سيد احمد زنجاني، الكلام يجر الكلام، قم، ١٣٢٩.

- امام خميني، كشف اسرار، قم.

- خان بابامشار، فهرست كتابهاي جابي عربي، ١٣٤٤.

- احمد بن احمد زروق، حكم ابن عطاء الله، طرابلس الغرب.

(٢) الكتب الانجليزية

- Roger M. savory, studies on the History of Safawid Iran, Variorum Reprints, London 1987.

- Roger M.savory, Iran Under the Safavids, Cambridge University Press, 1980.

- Encyclopaedia Iranica U S A 1990.

- The Encylopaedia of Islam, Leiden, Brill, 1986.

(٣) المطبوعات والصحف

- كيهان فرهنكي، من منشورات مؤسسة كيهان، طهران.

- كيهان انديشة، قم، من منشورات مؤسسة كيهان.

- آئينه بجوهش، مجلة خاصة لنقد الكتب، تصدر عن مركز المعلومات والكتب، قم.

- نور علم، مجلة صادرة عن جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم.

- تحقيقات اسلامي، مجلة مؤسسة دائرة المعارف الاسلامية، طهران.

- مقالات وبررسيها، نشرة كلية اصول الدين جامعة طهران.

- مجلة تاريخ العلوم العربية والاسلامية، مؤسسة الدراسات الاسلامية، فؤاد سزكين، فرانكفورت، المانيا.

الفهرس المفصل